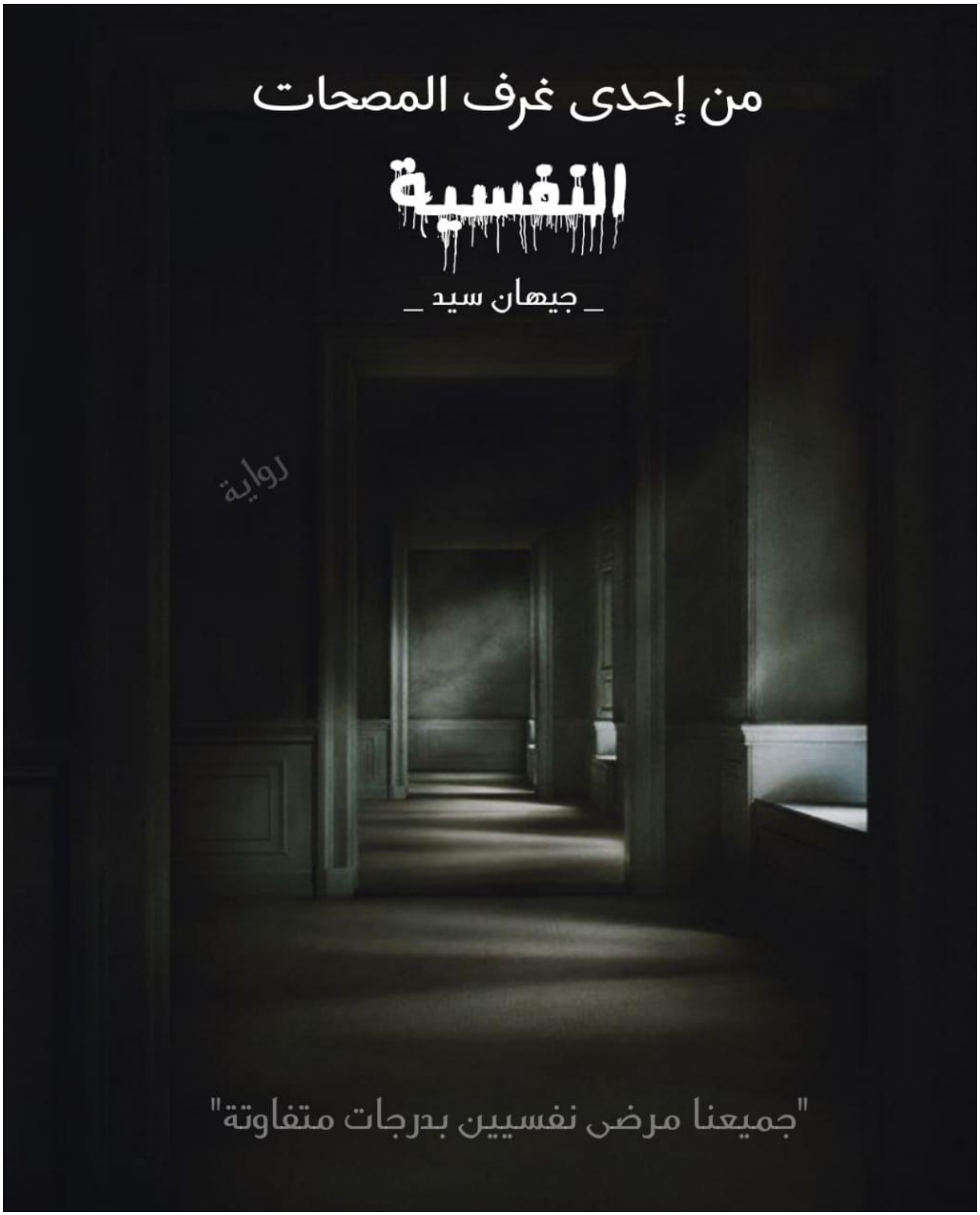
من إحدى غرف المصحات
النفسية
_ جيهان سيد _
رواية
"جميعنا مرضى نفسيين بدرجات متفاوتة"

رواية

من إحدى غرف المصحات النفسية

جيهان سيد

هل لديك الرغبة في الدخول
لعالم الأمراض النفسية؛ فهيا
بنا لندخل الغرفة الأولى لنرى ما
بداخلها ومن بعدها أنصت جيداً
لما يحدث في الغرف المجاورة ..

من إحدى غرف المصحات النفسية

– جيهان سيد –

" جميعنا مرضى نفسيين بدرجات متفاوتة "

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٢/٧٠٦٤

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٩٤-١٠٤٩-٤

الغرفة الأولى

= مريضة الغرفة الأولى :- منذ قديم الأزل يدور في ذهني سؤالٌ لم أجد له جوابًا مُقنعًا ..
- الطبيب :- وأنا مهمتي تتلخص في أن أساعدك حتى تجدي إجابات لما يدور في عقلك ..
= من الذي قال أن التجارب الفاشلة تجعلك أقوى ؟
- لا بد أنه شخص مرَّ بتجربة قاسية في حياته واستطاع تخطيها..
= أنت كاذب
- نعم ؟
= كما سمعت أنت تكذب أيها الطبيب لا يوجد شخص تخطى مرحلة صعبة في حياته إلا وقد خسر العديد من الأشياء معها، أعتقد أنه لا يوجد شخص استطاع تخطي تجربة قاسية في حياته من الأساس، فمن قال هذه المقولة الكاذبة هو شخص جبان لم يقوى على مواجهة من حوله بحقيقة خوفه من فقدان شيء ما فأوهمهم أنه لم يعد يهتم لكن في الحقيقة هو أضعف مخلوقًا يمكن أن تراه، أصبح شخصًا هَشًا لن ينتظر قشة حتى تقسم ظهره ..
- هذا ليس صحيحًا، فهناك من يتخط...
= معذرة على مقاطعتك ولكن هل لكَ أن تشرح لي لِمَا لم تتزوج بعدما تركتك زميلتك ؟ لِمَا لم تتخطى هذه الأزمة وتنشىء أسرة جديدة !
- هذا ليس مجالاً للنقاش ولكنني لم أجد زوجة مناسبة ..
= لم تعجبني هذه الكذبة فهي تقليدية جدًا عزيزي الطبيب ألم تدرسون في كلية الطب ما يُدعي بالـ creativity !!، ليس علينا، لِمَا لم تُشفى الفتاة التي تقطن الغرفة بجانبي بعدما رأت والدها مع صديقتها يتحدثان بما عليهما فعله تجاه الجنين !! لِمَا يستيقظ حازم كل مساء ويتحدث مع الحائط مُناديًا ابنه الذي فقده قبل أن يُولد ! لِمَا يستفيظ مريض غرفة ١٢٦ على صراخ وهلع الساعة الحادية عشرة !! دعني أخمن ربما لأنه في هذا الوقت أكتشف خيانة زوجته له مع والده ؟
- أنكِ تجلبين مواقف صعبة للغاية لا يتخطاها أي شخص سوى بعد عدة مراحل وإلا لِمَا كنتم هنا جميعًا !!
= ومن الذي يحدد درجة صعوبة الموقف، أليس الشخص الذي يعاصره ؟ أقسم أنك تكذب وتعلم أن ما أقوله صحيحًا فكلٌ منا له تجارب مؤلمة لن يتخطاها قط وستظل تُضعفنا وتُهلك قلوبنا حتى نستسلم لها حينها ربما سنجد قليلاً من الراحة فلقد أخبرتني جدتي أن ما عند اللّه أفضل بكثير من هذه الدنيا الفانية ..
- تتحدثين هكذا لأنكِ مريضة.
حسنًا هذه الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن إنكارها فجميعنا مرضى نفسيين بدرجات متفاوتة ..

الغرفة الثانية

- الطبيب :- أتمنى لو أن كل تلك الفترة التي تركتكِ فيها ساهمت فى تعليمك شيئًا ..
= مريضة الغرفة الثانية :- نعم لقد تعلمت شيئًا هامًا أيها الطبيب، تعلمت أنني سيئة للغاية ..
-ولكن ..
= عذرًا على مقاطعتك ثانيةً ولكنني هنا لكي أتحدث وليس لأنصت.
- معذرةً، تفضلي.
= اعترف أنني أمتلك أسوء أسلوبًا بشريًا على الإطلاق فهذه شهادة كل من تعامل معي، لقد رأيتها في أعينهم قبل أن أسمعها بأذني، لقد نعتني البعض بالـ متمردة، عنيدة، متعجرفة، قليلة الحياء، عنيفة، قاسية .. إلخ
- أنتي...
= أخبرتك ذات مرة بأني أريد التحدث !!
عفوًا أعتذر على اِندفاعي معكَ ولكنني اعترفت بأنني سيئة الردود ..
ذات يوم تشاجرت مع صديقتي فلا أعلم ماذا حدث بيننا حتى رأيت يدي ترتفع لأعلى وصفعتها على وجهها ونعتها بأقبح الألفاظ، لم أعي لذلك إلا وأنا في مكتب المدير أوقع على قرار فصلي أسبوعًا من المدرسة !
عندما ذهبت للمنزل قام والدي بتعنيفي قام بصفعي صفعةً تشبه تلك الصفعة التي زينت وجه صديقتي صباحًا قام بتوبيخي حتى أنه قص جزءًا من شعري جَزءًا عما بدر مني ..
عدت للمدرسة بعد أسبوع وأنا مطأطئة الرأس أشعر بالخذلان حتى إن عادت صديقتي لتحاول صفعي، لا أريد أن أقص عليكَ ماذا حدث ولكن أضطر والدي نقلي لمدرسة آخرى ..
- هل تودَّي قول أن والدكَ سببًا في هذا؟
= دعني أكمل، مرت الأيام وها أن في الفرقة الثالثة في كلية الطب النفسي أنهال على المراقب وأبرحه ضربًا لأنه اتهمني بالغش !
ذات يوم وضعت قلبي في قبضة يد شخص ولقد كان نعم العاشق لكنه لم يتحمل أسلوبي المتعجرف فتركني ..
مواقف عديدة في حياتي لا تُحصى تثبت لنفسي قبل الجميع أني أمتلك رد فعلاً سيئًا ولا أدري كيف يخرج مني ولا أشعر به إلا بعد حدوثه، حينها لا ينفع ندمي أحدًا ..
- ولكن الندم هو بداية الحل.
= وهل ندمت على تركك لخطيبتك ؟
- الطبيب فقط من له حق السؤال.
= حسنًا ولكن حتى الندم أحيانًا لا يُجدي فأنا ندمت كثيرًا ولم يغير ذلك شيئًا أتعلم لماذا ؟
- لماذا؟
= لأن الجميع نظر لأسلوبي القاسي ولم ينظر لما وراءه ! لم ينظر للمادة الخام التي تشكله، المفاعلات التي تنشطه وتشعله، لم ينظر أحد للأسباب ..
يحاسبني الجميع عما يخرج مني ولا يحاولون مساعدتي في إصلاح ما يُخرجه، لم يعلم الجميع بما

عانيته في حياتي، بما رأيت حتى أقسى، بما جاهد قلبي حتى يتحجر، يظنون أنفسهم يعلمون كل شيء وهم لا يفقهون إلا أنني لا أُحتمل، هل فكر أحد يومًا لما لم أعد أُحتمل، هل كرَس أحدهم لي وقتًا لمساعدتي، هل ظن أحد يومًا أني أعاني أشد العناء من هذه القسوة !! لم ولن يساعدني أحد فأنا أخطو بمفردي ..

- تتحدثين هكذا لأنكِ مريضة.
حسنـًا هذه الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن إنكارها فجميعنـا مرضـى نفسيين بدرجات مـتفاوتة..

الغرفة الثالثة

اليوم كان هادئًا فلم يسمع الطبيب صراخ المرضى المعتاد أو حتى حديثهم الذي لا ينقطع فقد عمَّ الهدوء عليهم ، فاختار غرفة عشوائية وطرق على بابها وهَمَّ لفتح الباب ولكنه كان مغلقًا من الداخل !! فغضب الطبيب وصاح، عجبًا ما هذا الإهمال كيف يسمحون لمريض أن يتحكم في إغلاق غرفته عليه فهذا خطرًا للغاية ولكنني لا استطيع استخدام العنف حاليًا فلا أعلم ما مدى خطورة ما وراء هذا الباب، فطرقت الباب برفق تارةً وناديت تارةً أخرى حتى استسلم قاطن الغرفة وهَمَّ لتلبية النداء ..

انفتح الباب تدريجيًا ليظهر رجل ضعيف نحيل الهيئة مُطأطِىء الرأس تتحرك عيناه يمينًا ويسارًا في خوف وهلع ..

ما إن تقدمت خطوات بسيطة هرع المريض واختبأ خلف الستار ومازالت يداه ترتعشان ..

- الطبيب :- أهدأ أهدأ لم آتِ لأخيفك، أهدأ فضلاً فلن أقترب منكَ.

صمت رهيب يحتل حنجرة المريض

- أهدأ أهدأ أنا جالس هنا لن أتحرك ..

= مريض الغرفة الثالثة :- لِما لِم..ـا أتيـ..ـت إلـى هـ..نـا !!

- لِما كل هذا التوتر فلم أفعل لكَ شيئًا حقًا !

= هل تظن أنني أخشاك !!

- حسنًا ما هو الأمر !!

= أغلق هذا الباب المفتوح أولاً ألا تعلم بڤيرس كورونا المنتشر حاليًا !! ألا تخشى أن الهواء القادم لربما يحمل هذا الكوفيد ! وكيف ينعتوك بطبيب ولا ترتدي ماسكًا أو جوربًا !!

- هل تمزح ! هل كل هذا الهلع من أجل ڤيرس توصل العالم للقاح من أجله !

= بالفعل أخذت اللقاح ولكن ما الضرر من مزيد من الوقاية ؟

- عفوًا هل تقصد أنك حصلت على اللقاح !

= نعم بالطبع

- .....

= خذ هذا المطهر وعقّم يداك وفضلاً أرتدي هذه الكمامة.

- هذا سيجعلك أفضل ؟

= نعم وسيجعلك أيضًا.

- فعلت، هلاّ تخبرني ما هي مشكلتك ؟

= لا أعاني من أية مشاكل بل أسرتي تبالغ في الأمر !

- أسرتك التي تبالغ !! نعم نعم بالطبع، حسنًا وبماذا تتهمك بدافع المبالغة ؟

= زوجتي تقول أنني أعاني من الوسواس القهري، تعتقد أن الخوف من مشاكل الحياة والسعي للإبتعاد عنها مرض ! فما إن نصحتها بحماية نفسها وبيتنا تنهال عليّ بالصراخ، حتى ابنتي الصغيرة سئمت من خوفي عليها واتهمتني بالجنون حتى أنها ثارت عليّ هي وأمها وتركتا المنزل، اعْتَدْت على غيابهما ولكن بدأت امتحانات ابنتي فذهبت لمنزل جدتها التي تقطنه وجئت لها بجميع الكتب

والملازم الخاصة بمجال دراستها في جميع أنحاء العالم وقمت بطباعتها فصرخت في وجهي وقالت لي أني أحتاج الخضوغ لعلاج لأنها أنهت مرحلتها التعليمية منذ أكثر من عامين، لا أعلم هل ما قالته صحيحًا أم لا لكنني، كنت أخشى عليها من الرسوب !

- ولذلك جئت إلى هنا، أليس كذلك ؟

= بالطبع لا، لكن بتراكم المواقف طلبت زوجتي الطلاق وخضعت لرغبتها لأنها لم تكن تشبهني قط، فكانت مهملة، لا تهتم بالنظافة، لا تخشى الغد، لا تفكر كثيرًا، تتواكل ...إلخ

ولأنها أم ابنتي الصغيرة فتركت لهم شقتي وجزءًا كبيرًا من مالي الخاص، وذهبت لأقطن إحدى غرف الفنادق الشهيرة ولكنهم لم يخضغوا لتعاليمي حتى أن مديري الخاص -وهو والد زوجتي- طردني من العمل كرد اعتبار لإبنته الغالية، فلم أجد مكانًا يآويني فذهب بي عقلي أن أقطن إحدى المستشفيات لربما هما على حق ويتم علاجي من المرض الذي لا أعترف بوجوده، ولربما تكن مهتمة بالنظافة والنظام التعقيمي خصوصًا في ظروف تفشي الڤيرس الجديد لكنني كنت مُخطئًا، فالطبيب الخاص بي لا يرتدي كمامته ولا جوربه ولا حتى يهتم لغلق الأبواب !

- ألا ترى أنه يجب عليك الإعتراف بمشكلتك حتى تجد الحل ؟

= هل اعترفت بالخطأ الذي أقترفته عندما تركت خطيبتك !

- ليس لكَ شأنًا ..

= حسنًا وأنت أيضًا لا تملك شأنًا في مشكلتي !

- ألا ترى أنك تعاني من شيء ما ؟

= أنتم من تعانون، فأنتم لا تعطون الشيء حقه، لا تهتمون بالغد والأسباب، أنا من على حق وأنتم المهملون.

- تتحدث هكذا لأنكَ مريض.

حسنـًا هذه الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن إنكارها فجميعنـا مرضى نفسيين بدرجات متفاوتة ..

الغرفة الرابعة

استيقظت مُبكرًا حيث هاتفني زميلي الدكتور مراد ليخبرني بأن مريضة غرفة 4 C ثار جنونها وظلت تصرخ وتلقي بكل شيء أمامها فعليّ الحضور في الحال ..
عندما وصلت المستشفى لم أجد ما أخبرني به د.مراد بل وجدت الهدوء يعَّم الغرفة المزعومة فطرقت الباب ثلاث طرقات ثم دخلت فوجدت مريضة هذه الغرفة تقطن إحدى الجدران تنظر للحائط وتبكي في صمت فكانت تردد جملة واحدة "ليس لي ذنبًا هم من فعلوا بي ذلك .. "
اقتربت منها وجلست في الجدار المقابل وسألتها من هم وماذا فعلوا !، أدارت وجهها نحوي وصوَّبت نظرتها تجاه عيني وقالت في حدة "أشعر أنني ضحية كل من حولي .. "
- الطبيب :- عفوًا!!
= مريضة الغرفة الرابعة :- كما سمعت، لم أكن سوى رد فعل لأفعالهم الشنيعة، لم أكن سوى رد فعل ساهموا هم في إنتاجه ..
- من هم ؟
= جميع من حولي ..
- هل توضحي لي أكثر ؟
= لقد تصديت لأمي لأنها اختارت أبي شريكًا لحياتها، كان بئس الشريك، كان يقوم باهانتها وصفعها مرارًا وتكرارًا أمامنا وأمام كل من يقطن العمارة حتى أن أولاد الجيران كانوا ينظرون إليّ ويقولون لقد سمعنا أمك تصرخ ليلة أمس هل أفقدها والدك حاسة جديدة من حواسها، فقد كنت أصمت، لأنني وأنا في سن السابعة من عمري فقدت أمي حاسة السمع إثر عدة صفعات منه ولازمت غرسة القوقعة الصناعية، وفقدت أمي عيناها اليسرى وأنا في سن السادسة عشرة حيث ألقى بأمي من على الدرج فسقطت على جانبها الأيسر والجيران هم من قاموا بإسعافها وأنا كنت أبكي أمامها ولا أعلم ماذا عليّ فعله !!
الغريب في الأمر أن سبب تمسك أمي به هو عدم إصابتي بمرض نفسي عندما أجد أمي وأبي منفصلان !!
- أمكَ هي من تحتاج الخضوع لعلاج نفسي ..
= لم تُغلق الدائرة عليهما فحسب، هم فقط كانوا الحيز الأكبر والأبشع والذي لم ولن أتعافى منه يومًا ..
ما رأيته في المكان الذي ساهم في تنشئتي لم يكن بالسهل عليّ، لم يكن من الممكن تخطيه فلم يقف الأمر عند الإهانات والاعتداءات بل رأيت بسببهما ما يمكنه تدمير عالم بأكمله، فالطفل عبارة عن إناء يمسك طرفاه أبيه وأمه، هما من يقومان بمِلء أساسته ثم تقوم الحياة بملء الجزء الباقي، فمهما فعل بعد ذلك من يتخلص أبدًا من وديعة الأساس ..
- ولكن هناك أشخاص تعرضوا لضغوطات ومشاكل ظنوا أنهم لن يُشفوا منها ولكن الأمر مَرَّ ..
= ومن قال لك أنني لم أتخطى ضغوطًا ومشكلات !! فقد كان كل يوم في عمري يكسبني شيئًا حميدًا وثلاثة وعشرين شيئًا سيئًا.
- عفوًا ولكن لِما هذا العدد تحديدًا !!

= لأن اليوم به أربعة وعشرين ساعةً، فكل ساعة تمر عليّ تكسبني شيئًا ..
لقد مررت بكسرات نفس كثيرة وخذلان وكل شيء يمكن أن تبغضه ولن أخبرك أنني كنت ملاكًا، لا بل كان لي رد فعل ليس مساويًا في المقدار فحسب بل كان يفوقه أضعافًا، كما أخبرتك مسبقًا لم أكن سوى رد فعل ساهموا هم في إنتاجه ..
- هل ندمتي على أية ردود أفعال لكِ ؟؟
= نعم كثيرًا ولكن تعلم هم من يستحقون ذلك فبينما كانوا يتعاملون معي كـ سوية كانت تتصارع الأمراض النفسية بداخلي مَن ستلتهمني أولاً ..
- لقد سمعت هذه الجملة من قبل ولكن لا أتذكر قائلها !!
= ألم تكن ذا رد فعل سيء مكتسب من قبل ؟
- بلى
= تجاه خطيبتك أليس كذلك ؟
- لا، لم تكن تستحقه أبدًا، لم تكن تستحق ما فعلته معها ولكني كنت مُجبرًا فلا أقوى على أذاها أكثر من ذلك .. أنا أ....
= أنت ماذا ؟
- ....
= لِما لا تجيبني ؟
- لا أعلم كيف جعلتيني أتحدث عنها ثانيةً !!
= يبدو أن الخطة بدأت تعمل
- أية خطة ؟؟
= عفوًا !! خطة ؟ لم أقصد لقد دُل لساني..
كنت أقول لكَ أن مهما حدث لن أستطيع استبدال أساسات إنائي التي وضعها أمي وأبي، فسأظل أحمل جزءًا قاسيًا لا يلين ولن يفعل، هذه هي شخصيتي وعليّ تقبلها ..
- تتحدثين هكذا لأنكِ مريضة.
حسنـًا هذه الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن إنكارها فجميعنـا مرضى نفسيين بدرجات مـتفاوتة..

الغرفة الخامسة

ممر طويل على جانبيه مجموعة من الغرف المُوصدة بالأبواب داخل كل منها بطل أو بطلة يمتلك روايةً لا يعلم تفاصيلها سوى اللّه، ولا يخبرنا صاحبها إلا بما يريد هو أن نعلمه، ممر مليء بالأسرار والغموض وأحيانًا الصرخات، ممر أسند ظهري على جدرانه لأنني يومًا كنت أمتلك روايةً، لم يحْن الوقت لأعرفكم بنفسي مسبقًا أنا أُدعى جاسم حمدان ودعت عقدي الثاني منذ عامين، منذ سنوات مراهقتي وأنا أحافظ على لياقتي البدنية، فقد التحقت بالچيم المجاور لمنزلنا القديم حتى بدأت أعوامي المصيرية فكنت من إحدى طلاب الشعبة العلمية واجتهدت حتى حصلت على المجموع اللازم للاِلتحاق بكلية الطب النفسي جامعة القاهرة، ثم انتقلت للعيش مؤخرًا في تلك العاصمة المزدحمة ومن ثم أنهيت خدمتي العسكرية في فرقة الصاعقة المصرية نظرًا لجسدي الممشوق ومن ثم تم تعييني في هذه المشفى، فقابلت بها عيونًا لم ولن أنساها قط، عيونًا أحيت ما مات بداخلي من سنوات أحيت أشياءًا لم أكن أعلم بوجودها من الأساس جعلتني أتخطى أزمات عانيت منها عمرًا كاملاً ولم أشفى منها حتى الآن، بغيابها عادت الأزمات مرة ثانيةً وكأنها كانت الطبقة العازلة بيني وبين محيطي ..

لا أعلم كيف جعلت تلك المريضة لساني يلفظ سيرتها مرةً أخرى لكنها كانت جميلة كالقمر يضيء من حوله برغم عتمته، يَسّر العين رغم أرضه المليئة بالصخور ..

أخذت نصيبها الكامل من اسمها ..

أدرت عيني يمينًا فإذا بفتاة جميلة تسند ظهرها على طرف الجدار وتنظر إليّ فسألتها هل أنتي مريضة الغرفة الخامسة ؟

ارتجفت أطرافها قليلاً ثم قالت :-

= مريضة الغرفة الخامسة :- هل تنعتون هنا المرضى بلفظ المرضى !!

- الطبيب :- عذرًا ولكنها حقيقتك ..

= ومتى ستعترف أنت بحقيقتك ؟

- لا أعلم، ولكني أشعر بمشارف ثمة تغيير سيحدث لي !

= هل تغيير بالفعل أم رجوع لحالة سابقة ؟

- لا أعلم تحديدًا ولكن لا عليكِ، بماذا تشعرين اليوم ؟

= بالرفض

- عفوًا !!

= كل شيء يشعرني بالرفض، لم يتقبلني أحد مثلما تقبلته أنا، لم تتقبلني عائلتي يومًا، لم يتقبل أحد أن يصبح لي طموح وأن أسعى لتحقيقه، لم يتقبل أحد موهبتي حتى لجأت لدفنها بجوار أحلامي الكثيرة ..

- مثلي تمامًا ..

= هل تعتقد أنك قُبلت بالرفض من قِبل خطيبتك السابقة ؟

- لا تاللّه ألف لا، فلم يتقبلني أحد مثلما هي فعلت ولكن ..

= ولكن ماذا ؟

- دعينا نجعل الحوار مهتمًا أكثر بكِ وبحالتكِ.
= حسنًا، كما أخبرتك لم يتقبل أحد احتياجاتي، لم يفهموا متطلباتي وكأنهم أرادوا أن يجعلوني نسخة مصغرة تحقق أحلامًا فشلوا هم يومًا في تحقيقها ..
عندما كنت في السابعة اكتشفت صدفةً أنني أمتلك صوتًا فنيًا فأخبرت أبي فقام بتعنيفي منذ الصفعة الرابعة وأنا أقسمت بداخلي ألا أقبل على الغناء ثانيةً لكنني في عمر العشرين وجدت شخصًا يدندن خلسةً بصوت قوي موهوب في الشرفة، الغريب أن أبي كان هذا الشخص وعندما واجهته بالأمر قال لي أن جدي أخبره أن الغناء يقلل من قيمة الشخص
ويجعله سلعةً ..
- هل لي بمقطع عذب صغير؟
= ليس عندي ما يمنع ولكن إذا أقنعتِ شخصًا بات قرب الثلاثين عامًا يترنم في الخفاء ..
- أشعر أني سمعت هذا الحوار من قبل ولكن ذاكرتي لا تساعدني
= حمدًا لله أنها لا تساعدك
- عفوًا !!
= عندما كبرت والتحقت بالجامعة لم تكن بإختياري ولكن لا بأس فلم تزعجني كثيرًا بل كانت سببًا في بعدي عن البيئة الرافضة لي كانت سببًا في تعليمي أشياءًا لم أكن أعلم بوجودها من الأساس لكن للأسف لم يستطع شيء أن يجعلني مُعافًا مما عانيت، أرهقتني الدروب ولم تساندني النهاية ..
- ولكن لكل شيء حل، فما كان داء بلا دواء !
= نعم لقد سمعت هذه الشعارات مرارًا ولكن يوجد أدواء ترهق الجسد وتملأه بالندوب فإن رحل الداء لن ترحل أثاره الجانبية فكم من مريض تعافى من مرضه ولم يتعافى من عواقبه ..
- كل هذه الفلسفة بسبب أن والدك منعك من الغناء ؟
= من ذاق الخذلان من أهله لن يتعافى أبدًا ..
- لا أقتنع بهذا، نعم الأهل لهم جانب كبير للتأثير في شخصيتك ولكن ليس بهذا الحد !
= لن تقتنع أبدًا
- لأنه لا يوجد أحد يعاني من شيء لسنوات !
= قد يعيش الإنسان عمرًا كاملاً في محاولة تعافي من أشياء لم يخبر بها أحدًا بل نجح في إخفاء تداعياتها كأنها لم تكن ..
- تتحدثين هكذا لأنكِ مريضة.
حسنًا هذه الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن إنكارها فجميعنا مرضى نفسيين بدرجات متفاوتة ..

الغرفة السادسة

Flash Back

= طب وبعدين ؟ خلاص كده ! مفروض أن أصدق أن ديه النهاية صح !
- هي نهاية فعلا، بس نهايتي أنا، لكن عمرها ماتكون نهايتك أنتي مينفعش تنتهي.
= ليه ؟
- عشان العالم يفضل بخير..
= مش فاهمة !
- ألن تتغيري أبدًا ؟
= احم، تقصد إيه، وبعدين أنت بتضحك ليه أنا بسألك سؤال !
- بضحك لأنك فاهماني أكتر من نفسي، بضحك عشان أنتي فاهمة بس عاوزة تسمعيني وأنا بمدح فيكي ..
عمومًا اللي زيك مينفعش ينتهي لأن اللي عملتيه معايا معرفتش أعمله طول عمري، عشان أنتي متعجرفة حتى في دخولك قلبي اقتحمتيه كعادتك الحادة، عشان أنتي شبه اسمك أوي ..
عشان أنتي عاملة زي الساحرات خلتيني أمشي وراكي وأنا مش فاهم ولا عارف أزاي القسوة ديه يكون جواها حنية بالقدر ده، بس تعرفي والله أنا كنت عارف وفاهم وكنت مستغرب إزاي ربنا يبعتلي حد زيك وليه في التوقيت ده بالذات يمكن عشان عالمي مينتهيش وقتها، مينفعش تنتهي لأن عوالم كتير هتنتهي بنهايتك
= أسئمت الطواف ؟
- أقسم لكَ لم ولن يحدث ولو سقط عجازي مُعلنًا نهاية المطاف ..

———————————

صوت أجَشَ يناديني ويخبرني أن مريضة الغرفة السادسة تطلب مقابلتي شخصيًا، فاستجمعت قوايّ وذهبت لها ومن ثم طرقت الباب فأذنت لي بالدخول قائلةً تفضل يا د. جاسم وكأنها تعلم أنني الطارق كأنها تميز طرقاتي بشيء ما..

= مريضة الغرفة السادسة :- كيف حالك يا جاسم ؟
لم تكن نبرة هذا الصوت غريبة عليّ ولا حتى طريقة السؤال ولكنها قطعت حبل أفكاري مرددة ثانيةً :- أخبرتك كيف حالك ؟
- الطبيب :- أشعر وكأنني بخير ..
= هل قرأت التقرير الخاص بحالتي !
- نعم، تفتقرين الأمان.
= أمازلت تقتنع بأن إخبار المريض بمرضه وسيلة للعلاج ؟
- نعم وبشدة

= حسنًا، هل لك أن تجعلني أنا من أطرح عليكَ الأسئلة، الأمر أشبه بتبديل الأدوار ولو قليلاً ..
- لا مانع من التجربة.
= ألم تشتاق ؟
- لمن ؟
= عفوًا، فأنا لست ماهرة بالقدر لأتذكر أنه عليك إخباري أولاً ثم أنهال عليك بالاستجوابات
- استجوابات !!
= عذرًا، أقصد ...، دعنا نكمل، هل تألمت في حياتك ؟
- ....
- هل تريدين الوصول لشيء معين ؟
= بالطبـ ... لا لا، أي شيء تقصد، فأنا مريضة أقطن هذه الغرفة المملة التي تزيد المريض أمراضًا، لُونت جدرانها باللون البيج الروتيني وسقفها تتخلله الشقوق حتى لونه الأبيض فقد نصاعه، أركان الغرفة مليئة بالأسرار، أسرار لن تُكشف ولو بعد حين، هناك أسرار أنتهت بمغادرة صاحبها أو بشفائه أو حتى بأنتحاره .. هل سمعت عن حوادث الأنتحار التي حدثت في تلك الغرف وتم إخفاؤها باحترافية ؟
- عما تتحدثين ؟
= أراكَ تسعى لسماعهم بصوتي، أعجبك أليس كذلك ؟
- لا أحتاج لقراءة تقرير طبي فكل شيء واضح ..
= حسنًا، سأقصّ عليكَ بعضها الذي تعلمه جيدًا ..

في يوم من الأيام استقبلت المشفى مريضًا يُدعي "س.ع" كان قد بلغ من العمر الثلاثين، كان يصرخ كثيرًا والغريب أنه يصمت أيضا كثيرًا، لم تُملأ بياناته ولم تُستكمل تقاريره العلاجية، لشدة صعوبة الحالة فما كان إلا أن يتم عرضه على أمهر طبيب في المشفى بأكملها وبالفعل أستجاب له المريض بعد عدة محاولات ليست بالقليلة ولكنه أستجاب ! فمَرَّ اليوم الأول عسيرًا على كلاهما فكان الطبيب يحاول أن يستجمع شتاته ليثبت نجاح خطته المتبعة -التي بالفعل تنجح في كل مرة- ولكن الغريب لمن كان يريد إثبات ذلك ؟ فالمشفى تعترف بتلك الخطة بل وتنعته بأنبغ الأطباء، حتى أن بعض أهالي المرضى يأتون خصيصًا لكي يشرف هذا الطبيب على ذويهم، فلمن كان يريد ترسيخ خطته في عقله ؟ هل لذاته ! أم لشخص يعني له ذاته ؟
لا علينا، دعني أكمل لكَ..
في كل مرة كان يريد إثبات ذلك والغريب أنه كان ينجح نجاح غير مسبوق، فلِمَا كل التوتر هذا ؟ ماهو السبب وراءه !!
لم يستطع الطبيب الدخول إلى المريض في اليوم الأول فكان عنده من الصراخ ما يكفي للإبتعاد عنه أسابيعًا بل شهورًا ..
جاء اليوم الموعود لدى الطبيب ودخل لمريضه أخيًرا في اليوم السادس من مجيئه، وكان أول حوار دار بينهما عبارة عن حوار صامت أبطاله عيونهما فكل منهم ينظر للآخر ويتمعن فيه حتى تفوه المريض لِما أنا هنا ؟ فأجاب الأخير بدوره حتى تتعافى، فصرخ المريض من لديه الحق أن يقرر أن بداخلي ما يحتاج للتعافي ؟، هدأ الطبيب من روعه أولاً ثم أخبره أنه إذا لم يعترف بوجود المشكلة فلن يجد طريق الخلاص أبدًا ..

مرت الأيام تارةً كان يشعر الطبيب بالإنتصار وتارةً بالخذلان، يوم يشعر أن نجاح خطته على بعد خطوات قليلة ويوم يعلم أن بينهما آلاف الأميال ..
حتى جاء يوم إنتصار الطبيب الحقيقي بعد صبر دام ٣٦٥ يومًا، عامًا كاملاً بين طبيب ومريضه، عامًا كاملاً يحارب كل منهما الآخر، يريد كلاهما إثبات قناعاته، حتى أستسلم المريض في النهاية وفاز الطبيب بهذه المعركة وضاف لإنتصاراته إنتصارًا جديدًا ..
لقد نجحت خطة الطبيب مرةً آخرى، ولقد آمن عددًا جديدًا بتلك الخطة ولكن ما ينتقده البعض أنه بالرغم من أن اسم المريض في البطاقة هو "س.ع" إلا أن الطبيب لا يناديه إلا بالمريض !!
ما كاد الطبيب أن يحتفل بما حدث، حتى أبلغه فريق التمريض الساعة الثالثة فجرًا بأن عليه الحضور في الحال وقد سمع بعض الصرخات المكتومة ..
فُزع الطبيب وذهب مسرعًا للمشفى حتى وجد إحدى الممرضات مغشيًا عليها فما كاد يسعفها حتى أشار زميلها بإصبعه نحو إحدى الغرف، فهمَّ مُسرعًا ولكن ساقه لم تسفعه وكأنها تعلم ما وراء تلك الخطوات، فأهتزت بعنف وتخبطت في بعضها البعض وأعلنت أطرافه وضع الإرتعاش ودبَّت القشعريرة لتسري في جسده بالكامل ولكن بطبيعته العندية وبإصراره أكمل تلك الخطوات القليلة حتى بقى ميل واحد يفصله عن باب الغرفة ..
أرتعش قليلاً ثم أستجمع قواه وفتح الباب فإذا بمشهد لن ينساه طوال عمره، فُتح باب الغرفة وكأنه بابًا من أبواب الجحيم، فقد وجد مريضه مُلقى على الأرض، ناهيك عن الدماء المتناثرة في كل جدار لتضفي للون الجدار البني بعض التغيير، قد انفصلت أطراف أصابع المريض عن يده وكذلك أظافر قدمه حتى أن جزءًا من لسانه قد بُتر، تقيأ الطبيب على الفور وسقط مغشيًا عليه ..
لم يفق من نوبته هذه إلا بعد أسبوعًا كاملاً، وعندما أستيقظ لم يلاحظ شيئًا غريبًا بل كان كل شيء على ما يرام ! أستقبله مدير المشفى وأطمأن بنفسه على حالته وأخبره أنه أرهق نفسه كثيرًا الفترة الأخيرة وأن عليه الاستمتاع بإجازته ..
همَّ الطبيب مسرعًا للغرفة المذعومة التي قد دعاها بغرفة الجحيم لكنه لم يجد شيئًا حتى أنه أندهش من سرعة قرار الإدارة في تغيير لون الغرفة للون البيج الروتيني ! كيف ومتى حدث ذلك ! وأين مريضي المنتحر، عفوًا أقصد "س.ع"، كل تلك التفوهات خرجت من فم الطبيب ولكنه حمد اللّه عندما لم يجد من يسمعه ..
ظن الطبيب أن الأمر أنتهى عند هذا الحد، ولكن لسوء حظه كانت هذه الحادثة بداية لأمور شنيعة كثيرة أقبلت عليه .. فكاد أن يخسر حياته عدة مرات، في إعتقادي أنه خسرها بالفعل ذات مرة ..
- هل قرأتي تلكَ القصة في إحدى الروايات ؟ أم كانت هي مدار الرواية ؟
= نعم فهي رواية بالفعل، جميعنا يقبل على قراءة الروايات لعله يجد نفسه بطلاً في إحداها ..
- حتى الآن لم تقصَّي شيئًا عن مشكلتك ؟
= ولِما ؟
- حتى تتعافي ..
= ألم تشعر بشيء ؟ أرى تقلبات وجهك، بل أرى أيضًا محاولات بائسة للظهور في صورة ثابتة، كأن أطرافك لا ترتعش مثلاً !!
- ولِما ترتعش أطرافي ؟
= لا أعلم، ولكنني أشعر بكَ تمامًا، حتى أنك لا تقوى على النظر في عيناي ..

- هل تظنين أن ما تتفوهين به صدقًا ؟؟
= لا أظن، بل أنا متأكدة
- تتحدثين هكذا لأنك مريضة.
حسنـًا هذه الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن إنكارها فجميعنـا مرضى نفسيين بدرجات مـتفاوتة..

غرفة واسعة مترامية الأركان، الظلام يعمّ أرجائها يخيم الحزن على أجوائها، تشبه الشخص الذي ربط روحه بإنسان آخر فسلبها ورحل بعيدًا، أي حق يعطي الأخير أن يحيا سعيدًا وهو سارق !! الغرفة مثل هذا الشخص تمامًا، كانت يومًا ذات روح ولكن سُلبت ..

كانت هذه الغرفة تشهد على أعظم قصص الحب التي كتبها القدر وأنهاها هو أيضًا، لا أعلم إن كانت أنتهت حقًا أم لا لكنها على الأقل تفككت ..

صارت كالضباب ..
هذا الجدار الأيمن كان يشكو صيحات المرح الدائم ولقد تشقق أيضًا إثر صفعة مَحْت كل المرح، أما هذه الألوان المتناثرة والبصمات هنا وهناك فكانت ضريبة سعادة دامت لسنوات ..
مثلما أخذت هذه الغرفة من عمري مثلما أعطتني عمرًا لم أكن سأجده لولاه ..
هو، هو فقط من جعلني أشعر أن لعمري قيمة، أنه هناك من أستيقظ لأجله، كنت قبله لا أعلم لِما أنتظر الدقيقة القادمة ! لكن بعدما قابلته ما تمنيت من الله قدر دقيقة إضافية بجواره ..
حينما قابلته كنت كفلسطيني رأى أولاده تحت الأنقاض فظن أن القضية اِنتهت لكنه جاءني كقدسٍ ليؤكد لي أن هناك من يستحق المجازفة مرةً أخرى بل آلاف المرات ..
تحولت من أب عاجز لفارس واجهته الأقصى لن يعود إلا والقدس ملكه، وهذه كانت علاقتنا باختصار كنت أتحمل مالا يتحمله بشر من أجل أن يكون ملكي .. وحتى الآن لم يكن ..
عندما قابلته لم يكن لدي ما أقدمه إليه لكنه بطريقه ما حولني إلى شخص معطاء، لا أعلم كيف استطاع تحويل كم القسوة التي باتت بداخلي سنوات إلى قدر من الحنان لا يخرج إلا معه وبه، على الرغم من أن نهاية الأمر لم تكن منصفة لكنها حتمية -على الأقل بالنسبة له-، لقد كان ونعم الرجال كان لا ينطق إلا ما سيفعله حتى في فراقنا فقال لي لن أكمل معكِ الحياة وها هو قد فعل، لا أعلم ماذا فعل بي حتى أحبه كل هذا الحب ولكن ما أعلمه أنه يستحق ..
برغم قسوته يستحق .. برغم تعجرفه يستحق .. برغم ما فعله وما يفعله يستحق .. فهو يستحق قلبي وأنا أستحقه.
لم أكن من هواة قراءة الأشعار أو القصائد أو حتى كلام الحب المغزول لكن بفضله صرت أخطو دواوين ..
لقد تشابهت بداية قصتنا بنهايتها فكنت أجلس في الكافيتريا الخاصة بنا وكنت أدون بعض الملاحظات وعلى المنضدة مشروبي المفضل داخل الكوب الخاص بي، وإذا بشخص فجأة يقتحم طاولتي بحجة أنه أعتاد الجلوس هنا !! فما كان لي إلا أن أصيح بوجهه ولكن ما أن التقت أعيننا حتى عمَّ الصمت لثوانٍ معدودة، ثم استجمعت قواي ثانيةً وطلبت منه الرحيل فقال لي بنبرة حادة هل تجرأ فمك أن يخرج تلك الكلمات لي !! أنت هنا مجرد إمرأة تعمل هنا من أجل المرضى وفقط، لا تتجولي ثانيةً إلا بإذني، كانت هذه كلماته الأخيرة قبل أن يتذوق شاربه نكهة مشروبي المفضلة ، لم يتفوه بكلمات كثيرة فقد كانت نظراته الحادة هي سيدة الموقف ثم تركني وأنا أكمل صرخاتي العالية بأنه هو من عليه معرفة بعض آداب التعامل مع الآخرين وإن كانوا مرضى على حد قوله مع أن لا يوجد مريض هنا غيره ..
وكذلك أيضا كُتبت نهايتنا بنظراته الحادة وكلماته الضئيلة التي ترهق القلب أيامًا و شهورًا بل سنوات ..

بعدما تركني ورحل كان جميع من في الكافتيريا ينظر إليه ويتمتم من تلك التي تجرأت أن تتحدث معه كذلك بل استغربوا أكثر لصمته !! فقلت في داخلي هل كل ما فعله كان صمتًا بالنسبة لهم، هل هو متعجرف بتلك الكم، هل هذه طباعه ؟ هل يعامل ذويه كذلك !!
لم أكتفي بذلك وخطوت وراءه بخطوات مسرعة حتى انهال عليه ببعض الكلمات القاسية وسط مراقبة الجميع ولكن ما إن التف إليّ حتى خذلتني حنجرتي وكان الصمت هو سيد الموقف، لم يتفوه بكلمة لكنه أمسك بمعصمي بغلظةٌ حتى طُبعت أصابع يده عليّ، لم أستطع المقاومة لقد استسلمت لقبضته، هذه هي المرة الأولى التي انهزم فيها أمام أحدهما، لقد شعرت بالخزي ..
لم أنم هذه الليلة، كلما مرت دقيقة أقف أمام مرآتي وأتأمل ملامحي القاسية كيف لها أن تلن أمامه ؟ كنت أتحسس معصمي وتتساقط دموعي، لا أعلم كيف تجرأ وفعل ذلك بي، كيف لي أن أصمت ! لِمَا لم أصفع وجهه ؟ لم تكن من عاداتي الهزيمة ! ولكنه فعل ..
كنت أنوي عدم الذهاب لهذا المكان مجددًا لكن شيئًا خفيًا بداخلي حثني على الذهاب، لا أعلم أتحدي هو أم شيء أخر لا أعلمه، لكن صوتًا بداخلي يخبرني من ذاك الذي تتركي حلمك بسببه !!
وفي اليوم التالي جئت مبكرًا لأصطدم به عند دفتر الحضور، كان يرتدي بنطالاً لونه أسود وأيضًا قميصًا أسود وقد اخترق تلك السواد حزامًا جملي يعبر عن أناقة صاحبه ..
لم تخطف تلك الأناقة نظراتي كما فعلت عيناه كأنه لم يحدث شيئًا بالبارحة، كانت ملامحه تشبهه، حادة ولكن لا تستطيع أن تمنع نفسك عن التمعن فيها، كانت عيناه تشير عن كم الذكاء المخبأ داخل تلك الشخصية، تلك الهالات السوداء أسفلها تشير عن الساعات التي أمضاها في قراءة الكتب، هيئته تخبرك بأنه منظم، بعض الخصلات البيضاء التي تخللت شعيراته تكشف عن كونه عالمًا في مجاله، كنا نتبادل النظرات الحادة حتى جاء صوتًا من الخلف يجبرنا أن د.نجيب الألفي يريدنا وحالاً ..
كانت الغرفة منمِّقمة تشير إلى روْنق قاطنها تلونت جدرانها باللون الرصاصي الخافت بينما في جوانب كل جدار صفان من اللون الأبيض وزُينت أطراف السقف ببعض النجوم الزرقاء الصغيرة، د. نجيب هو صاحب تلك الغرفة وتجاعيد ملامحه تعطيه أكثر من خمسين عامًا وعلى الرغم من أنفه الكبيرة بعض الشيء لكنه لم يفقد جاذبيته فعينيه أقرب للون الأسود وأحتل الشيب شعره، كان يرتدي بدلةٌ زرقاء مُهنْدمة ومن أسفلها قميصًا أبيض، قطع تأملي صوتًا عاليًا أجشًا يصدر منه مخاطبًا إياي : -
- د. نجيب :- أرجو توضيحًا عما بدر منكِ في الأمس !
= لم أفعل شيئًا بل هو من...
قاطعني بنبرة أشد حدة :-
- لقد سألتكِ عما فعلتيه !
= لقد كنت جالسة ولم أوجهه له كلمةً، هو من جاء إليّ وطلب مني استبدال الطاولة وعندما رفضت نعتني وجه لي الإهانات التي لا أتقبلها أبدًا ..
- ثم ماذا ؟
= ثم فقط ! لقد نال عقابه وانتهى الأمر.
- أرى أنكِ ناضجة بالكم الكافي حتى تفرقين بين استجواب مدير مدرسة الابتدائية وبين تحقيق رسمي من جهة عملك، لقد سكبتي مشروبًا ساخنًا على وجهه، ما ردك على ذلك ؟

= نعم فعلت، لكنه من اضطرني لفعل ذلك ..
هنا أعلن هو عن حضوره وتقدم خطوتين للأمام، فاقتحمت رائحته أنفي، كانت خطواته ثابتة وواثقة وقال لـ د. نجيب أنه تنازل عن حقه وسيكتفي بلفت نظري هذه المرة ..
هنا صرخت في وجهه قائلة :- أأنت من سامحت في حقك !! من تظن نفسك !، ثم كشفت عن معصمي ووضعته أمام وجهه، وماذا عن آثار أصابعك ؟ ماذا عن هذا !!
شعرت بالانتصار في عينيه وكأنه فعل ذلك حتى يتأكد من أنه ظفر بمعركة أمس فندمت عما فعلت، ليتني ما أظهرت له أنني انهزمت ..
تدخل د. نجيب مرةً ثانية ولكن هذه المرة بهدوء أكثر كأنه الآخر كان ينتظر أن هذا الشخص يتنازل عن حقه ! وقام بالحديث وتوجيه بعض تقاليد المشفى وقواعدها لكلانا ثم طلب مني الرحيل ..
نظر د. نجيب إليه نظرات مندهشة وقال له :-
- هل حقًا ما حدث أمامي منذ ثواني أم أنني أتوهم ؟
= ماذا تقصد ؟
- طالما أن تاهت عيناك في الأفق كذلك فأنت تعلم جيدًا ما قصدته، ماذا تختلف عن غيرها ؟
= لا أعلم، ولكن شيئًا ما يميزها ..
- لولا معرفتي بما حدث البارحة لكنت صدقتك !
= لولا ما حدث البارحة لكنت كذبت ما بداخلي ..
- وما هو ما بداخلك ؟
= أقسم لكَ أني لا أعلمه ولكن شيئًا ما يشعر بالسعادة التي باتت أيامًا لا أعلم لها طريق ..
= إن لم أكن أعرفك قبل أن يشيب ذلك الشعر لظننتكَ تبالغ، هل من يتحدث حقًا هو ذاك المدير المتعجرف الذي يقاسمني تلك المشفى ويستغل سلطته حتى لا ينتقد أحد عصبيته المفرطة ؟
- وأنا أيضًا أتعجب من الأمر، أشعر أنني لا أطيق نطق هذا الكلام المعسول لكنه صدقًا نابع من داخلي ..
نظر لي د. نجيب بطرف عينيه وقال ضاحكًا :-
= لو دام الأمر هكذا لجعلتها شريكتنا الثالثة
- ربما في القريب تصير شريكة حقًا
= ولكن إن كان الأمر هكذا، لما تتعامل معها بجفاف في البداية ؟
- إن تغير ما بداخلي يا نجيب لم ولن تتغير طباع وهيئة د. جاسم حمدان أبدًا ..

بعدما خرجت من مكتب د. نجيب والغيظ يأكل أحشائي، رأيت الجميع يتلاشاني كأن من سيقترب مني سينالـه عقاب ذاك المعتوه، أنظارهم تحيط بي وما إن التقت عيني بأحدهما زاغت عينه بعيدًا كالذي يهرب من جريمة محتومة !
كنت أتساءل من يكون ليخشاه الناس بتلك الطريقة ؟ من يظن نفسه حتى يبث الرعب في من حوله، قد بدأت الحرب بيننا، حرب لن أقبل بالهزيمة فيها أبدًا ..
جلست على مكتبي وقلبت في التقارير الموضوعة أمامي في عجلة ولا أفكر إلا فيما تتطلبه تلك الحرب مني ..

لم تكن تلك المرة الأولى التي أخوض فيها حربًا وأحقق فيها نصرًا حاسمًا لكن تلك المرة أشعر بشيء غريب، كأن شيئًا بداخلي يحثني على الاستسلام، أنا التي لم أعرف للهزيمة طريقًا أنجذب لرفع راياتي البيضاء ..
لا أعلم إن كان هؤلاء الذين يخشونه على حق لأنهم يعلمون ماهيته أم أنه يمتلك سحرًا خفيًا يخيف من يقترب منه !!
مهما يكن فلن أجعله ينْل شرف الإنتصار أبدًا ..
أكملت قراءة التقارير ثم اخترت مريض الغرفة C 610 لأباشر عملي، وقد مررت على بعض الغرف القريبة وكان كل شيء على ما يرام حتى سمعت صراخًا في الأسفل ..
نزلت مسرعة لأجد فتاة في مقتبل العمر تصرخ بهستيريا وترتمي أرضًا ولا تتفوه بشيء سوى صرخات متتالية تعلن عن حنجرة قد أنهكها البكاء ..
لم أشعر بشيء إلا ويدي تضمها لأحتضنها بين ذراعي وكنت أربت على شعرها بلين ولكنها لم تهدأ، فلجأنا للعنف حتى تدخل غرفتها وتأخذ جرعتها المهدئة وبالفعل غاصت في سبات عميق ..
أمسكت بالتقرير الخاص بها وقرأت عن حالتها أكثر وبينما أنا أتمعن في القراءة سمعت صوتًا من الخلف يهمس هذه الحالة تحتاج د. جاسم وبشدة، فلقد رأيت عندما غاب عنها يومًا واحدًا حدث لها ذلك ..
اشتعل رأسي نارًا، ألا يوجد غيره هنا ؟ التفت لصاحب هذا الصوت وقلت له وقد نالت نظرات التحدي مني لأخبره أن من وقتنا هذا وهذه الحالة أصبحت لي وعليّ علاجها بأقصى سرعة ..
أندهش كلاهما صاحب الصوت والذي يسمعه وسألني ثانيةً لعل أذناه أخطأت، فكررت ما قلته سأقوم بعلاج هذه الحالة وستُشفى في أقرب وقت ..
همس لي بخوف ولكنها حالة د. جاسم فارتفع صوتي ثانيةً ولكنك قلت أنه تركها دون رعاية ..
فارتعش قليلاً وتلعثمت كلماته وقال بخوف :- لا .. لم .. لم أقل ذلك .. لقد قلت أنها عندما تغيبت عنه يومًا صار لها ذلك ..
نظرت في عينيه بتحدي وقلت له :- من الآن هذه الحالة لي، من فضلك باشر عملك وأنقل لي كل ما يخصها على مكتبي الآن ..
عدت إلى مكتبي ووَدِدْتُ لو التقيت بالمدعو جاسم ذاك لأصفعه على وجهه مئة صفعةً حتى ينكسر غروره المفرط، هل لا يوجد طبيب غيره ! هل ذاك الممرض المعتوه أيضًا يشك في قدراتي المهنية ! ألا يعلم من أكون ؟ ألم يرى كم الشهادات التي حصلت عليها من الخارج، لقد جئت هذه المشفى بمجهودي وتفوقي لن أقبل تلك الطريقة المهينة أبدًا، سأثبت لهم من أكون وستُشفى هذه الحالة في أقرب وقت وسيتعجبون مما وصلت أنا من علم في هذا السن، ربما يطلب مني ذلك الذي يُدعى جاسم كورس تقوية .
جاء الممرض ووضع الأوراق أمامي بتردد ثم انصرف دون كلام، لم أكترث له ولخوفه المبالغ فيه وأمسكت بالتقارير الخاصة بها، جميعها تحمل جملة تحت إشراف د. جاسم حمدان، هذه الحالة تُدعى درة وكانت تعاني من اضطرابات في الشخصية نتيجة عدم الثقة في المجاورين ..
فقد سمعت أبيها وهو يهاتف صديقتها المقربة ويخبرها بأن عليها أن تودي بحياة الجنين .. جنينهم.
فجنَّ جنونها وصارت تصرخ في وجهه عن أي جنين تتحدث، كيف فعلتما ذلك، أنا لا أصدق ..
فقام الأب بجلبها لهذه المشفى لمكانتها المرموقة وشهرتها الواسعة وترك الكثير من المال على ألا

يفصح أحدًا عن هويته .. وبالفعل لم يذكر له أي دلالة في التقارير.
حسب التقارير أنها كانت في أسوأ حالاتها في أيامها الأولى حتى بدأ معها د. جاسم حمدان خطته الفريدة فبدأت حالتها تتحسن شيئًا فشيئًا ومؤخرًا بدأت تتقبل الأمر الواقع بعدما علمت بطريقة ما أن والدها وصديقتها كانت تجمعهم علاقة زواج ولم يكن قد حان الوقت لإخبارها بذلك لأنهم تفاجئوا بأمر الطفل ..
قلت لنفسي هل هذه الحالة التي تحديت نفسي من أجلها !! إنها في المشارف الأخيره وكادت أن تخرج في أقرب وقت وللأسف كان الفضل في ذلك لد. جاسم حمدان ..
لم يتقبل عقلي أن أخسر جولة ثانية في نفس التوقيت ونحن على أعقاب الحرب فما كان لي إلا أن أنفذ ما ورد في خاطري الآن ..

———————

في جانب آخر د. جاسم يضرب كفًا على كف ويصرخ في وجه ممرضينه .. هي السبب في ذلك، إن طال الأمر هؤلاء المساكين فلن أتهاون ..
تظن أنهم دُمى يمكنها اللعب بهم لتحقيق رفاهيتها وشعورها بلذة الإنتصار، لقد تهاونت في المرة الأولى لكونها لا تعرف لكنها للمرة الثانية تظن أنها تستطيع إخضاع أي شيء تحت سيطرتها لتتلذذ فقط..
وبينما هو يصرخ ألقى بعينه إلى إحدى الكاميرات فإذا بها تتسلل وتدخل الغرفة B2 في خفية وتتلفت يمينًا ويسارًا خشية أن يراها أحد ..
تمعن في النظر إليها فرآها تدخل الغرفة خلسةً وتقترب من درة وتضع في يدها ورقة مطوية ثم تخرج سريعًا كأنه لم يحدث شيئًا ..
صرخت في الممرض الذي أمامي ليسرع ويجلب لي هذه الورقة دون أن يلمحه أحد، بالفعل تسلل هو الآخر وذهب بخفة قدم وبخفة يد أيضًا أختلس الورقة ووضعها على مكتبي ورحل ..
بعدما أمرت الجميع بالرحيل جلست على المكتب في هدوء وأنا أستعد لقراءة ما بداخل هذه الورقة فمددت يدي وفتحتها وتأملت حروفها .. ما جذب انتباهي أنها كتبت "من علمك" أعتقد أن بحجم علمها كان يليق بها أن تكتب من أخبرك ولكن لا علينا .. أعجبتني خطتها الفاشلة وسأكملها.
أخذت الورقة وذهبت لد. نجيب ووضعتها أمامه دون كلام، أخذها ومن ثم سألني لمن هذه الورقة ؟
قلت له تريد معاندتي في مرضاي ..
ألم أقل لكَ أنها تشبهني، هي من هواة التحدي والعناد وأنا أيضًا مثلها ..
تعرضت درة اليوم لنوبةً لأنني لم أتمكن من مقابلتها بالأمس حيث أنكَ تعلم السبب فجاءت هي وأمرت الممرض بأن يجلب لها تقارير درة، يا لغبائها أتظن أن من سلطاته أن يفعل أمرًا كذلك دون أن أسمح له ؟
سمحت له وأخبرته ألا يخبرها بذلك حتى أرى ماذا تنوي فعله، فالساذجة بعدما تأكدت أن درة في آخر مراحل الشفاء ظنت أن بإمكانها فعل شيء مثير يزيد من خبراتها كطبيبة فكتبت هذه الحروف المبعثرة لتضعها في يد درة حتى تقرأها عندما تستيقظ وتبدأ هي رحلة علاج من البداية ..
بدأ الغضب يعلو وجه د. نجيب ونظر لد. جاسم مخاطبًا إياه في حدة :- أذهب إليها الآن وأخبرها أنها مرفودة.

هدأ د. جاسم من غضب د. نجيب وأخبره أنه سيتولى الأمر وسيجعلها تذوق طعم الهزيمة المُر ولن يحدث للمرضى أي شيء فهم أمانة في رقابنا ولكن أرجوكِ لا تخبر أحد بما حدث وخصوصًا هي واتركني أتصرف مع الأمر وأعلم أنك تثق بي ..
أنصت د. نجيب لكلام د. جاسم وأطمئن قليلاً فهو يعرف مدى ذكائه وخبرته ولكن ذلك لم يقضي على قلقه بالكامل ..
قطع تفكير د. نجيب صوت د. جاسم وهو يطلب منه أن يطَّلع مرةً ثانية على ملفها، فقدمه له د. نجيب فأخذه هو والورقة وذهب بهما إلى مكتبه ..
فتح الورقة الأولى ليرى صورتها الهادئة ذات العيون التي تشبه عيون المها فتأملها قليلاً ثم قرأ بياناتها بتمعن ..
الاسم :- طيف عاصم منير علوان، السن :- ٢٦، حصلت على درجة الماجستير بتقدير امتياز لرسالة بعنوان "العناد وتأثيره على الشخصية المهنية" من كلية الطب النفسي بجامعة القاهرة عام ٢٠١٩، حضرت العديد من المناظرات النفسية بالخارج وشاركت في بعضها، عزباء.
هذه هي المعلومات التي حفظتها في ذهني ومن ثم قرأت الباقي بهدوء حتى أجمع أي شيء يوضح شخصيتها ..
طيف .. تُدعى طيف .. أرجو ألا تكون قد نالت نصيبها من هذا الاسم ..
فتحت ورقتها المطوية مرةً أخرى وقرأتها بصوت مسموع "من علمك أن والدك كان متزوج من صديقتك، لو كان ذلك لِمَا أراد منها أن تتخلص من الجنين؟ "، وهذه المرة ضحكت رغمًا عني، فهل من كتبت هذه الكلمات هي من حصلت على ماجستير لرسالة تحمل عنوانًا "العناد وتأثيره على الشخصية المهنية" و بتقدير امتياز !!
جلبت ورقةً تشبه ورقتها وكتبت فيها يومًا سعيدًا يا درة، لقد أشرقت الشمس عندما فُتحت عيناكِ ..
نظرت إلى المرآة وقلت في تحدي سأكمل ما بدأتيه يا طيف ..
سأجعلك تعاصرين هزيمةً لم تخطر على بالك يومًا ..

كانت طيف تجلس في غرفتها وهي متحمسة لما سيحدث غدًا عندما تستيقظ درة وتقرأ ما في الورقة وتعلم أن أبيها لم يتزوج من صديقتها، حينها شعرت ببعض من تأنيب الضمير لأنها ولأول مرة تدخل عملها في خلافاتها الشخصية فما ذنب تلك المسكينة التي تعافت بشكل كبير على يد جاسم المتعجرف، شعرت أيضًا أنها كاذبة لأنها لا تعلم حقيقة ما حدث بين والد درة وصديقتها لكن سرعان ما تذكرت جاسم وغروره فطردت تلك الرحمة من قلبها وعزمت على استكمال ما بدأته وساعدها في ذلك تفوقها في مهنتها فكانت متيقنة أنه إذا مسَّ درة أي ضرر ستعالجه على الفور وحينها ستحقق انتصارين، انتصارها على غرور جاسم وعلى علمه المزعوم ..
لم تستطع طيف النوم فكانت تنتظر الغد بشدة، تارة تتقلب في نومتها، تارة تنظر للسقف، تارة تتخيل سيناريوهات وتعطي لها طابع من الإثارة حتى أعلنت الشمس عن شروقها، فقامت طيف من سريرها وارتدت ملابسها في عجلة ووضعت أحمر الشفاه فهي تتأهب للاحتفال بنصرها اليوم ..
وصلت طيف المستشفى لتصطدم بجاسم في وجهها فتبادلا النظرات الحادة فألقى عليها ابتسامة لم تعرف تفسيرها ولكنها تركته ورحلت ..
جلست في مكتبها وهي تنتظر الصراخ يعلو المشفى في أي وقت عندما تكتشف درة الحقيقة، ولكنها

طال انتظارها بلا جدوى، فقررت أن تذهب هي لغرفة درة ولكنها لا تعلم أن هناك من يراقب تصرفاتها من خلال جهاز المراقبة ويشعر بالانتصار ..
دخلت طيف الغرفة لتجد درة في حالة جيدة وتدندن أغنيتها المفضلة فنظرت لها في تعجب وسألتها عما إذا حدث شيئًا سعيدًا اليوم ؟ فهزت درة رأسها سريعًا وأجابتها نعم نعم فلقد وجدت من يتغزل بي على طريقة التسعينات ..
- طيف :- هلا شرحتي لي أكثر ؟
= درة بسعادة مبالغ فيها :- لقد استيقظت ووجدت بجواري هذه الورقة، ورفعت الورقة الشبيهة في وجه طيف
اتسعت عين طيف متسائلة :- هل قرأتيها ؟؟؟
فردت درة :- نعم، تلك من تشعرني بكل تلك السعادة

تسمَّرت طيف في مكانها ولا تفهم ماذا حدث، كيف لدرة أن تكون بهذه الحالة بعدما قرأت ؟ هل تمت هزيمتها بهذه السرعة ! فهذه المرة أُعلنت هزيمتها قبل أن تبدأ الحرب، كان جاسم في الجانب الأخر يقهقه بشدة ..
دخل د. نجيب غرفة د. جاسم وأخبره أنه يريد أن يقوم بالتحقيق مع طيف فما فعلته ليس بالهين فإذا وقعت ورقتها تحت يد درة لأصبحت في حالة سنعجز عن تشخيصها، أنها مازالت طبيبة جديدة، لا أنكر أن تفوقها هو من جعلها تلتحق بهذه المشفى لكنها تريد الكثير من التحكم في ذاتها فأنت تعلم قواعدنا جيدًا فإذا قمت بإرسال الفيديو التي تظهر فيه وهي تضع الورقة للمريضة للشرطة ستنال عقابًا لا بأس به، فهي على الأرجح لا تتذكر بنود العقد الذي قامت بالتوقيع عليه ..
بينما يتحدث د نجيب الألفي لمعت عين جاسم وكأن فكرةً ما أعلنت وصولها لخلايا مخه فنظر لد.نجيب قائلاً :- لن نحقق معها بل سنجعلها تخشى التحقيق ..
تسللت طيف وراء درة حتى تمكنت من أخذ الورقة دون علمها وعندما فتحتها علمت أنها تبدَّلت فشعرت بالخوف، من الذي دخل الغرفة وقرأ الورقة الأولى وقام بتبديلها ؟ هل هناك من يتتبع خطواتها ! هل هو جاسم !! سرعان ما رفضت هذه الفكرة فإذا علم جاسم بأمر هذه الورقة لأستغل الأمر وقام بتوبيخها، شعرت بالقلق ولم تعرف ماذا عليها فعله ؟ فإذا انكشف أمرها لن تسلم من عقاب د. نجيب الألفي وسرعان ما تذكرت تعليماته لها في بداية العمل وسرده لها عن بنود العقد فتوترت أكثر، لقد قامت بكارثة لم تكن تعلم عواقبها، لقد انسقت وراء عِندها ولم تنصت لعقلها فأوقعت بذاتها في مشكلة ستدفع ثمنها كبيرًا إذا كُشفت ..
على الجانب الآخر تجلس درة مع د. جاسم على المنضدة الخاصة بهم والتي قد جمعت بينه وبين طيف في أول لقاء عفوًا أقصد في أول صدام، نظرت درة له وبدأت الحديث قائلة :- لقد اعتدت هذه المنضدة معكَ
- جاسم :- لقد عانيت معكِ كثيرًا حتى توافقي على الجلوس
= درة : لا يمكنك إلقاء اللوم عليَّ فقد كنت في حالة لا يرثى لها
- جاسم :- ولكنك الآن أفضل
شعرت درة بالحرج قليلاً فتعجب جاسم فلا يرى ما يستدعي الحرج ولكنها ردت سريعًا :- هذا كله بفضلك

استطاعت درة أن تكسب غرور جاسم فهو يعشق من يشعره بتفوقه ويتلذذ بمدحه فابتسم لها دون كلام ..
نظرت درة يمينًا ثم أخذت رشفة من قهوتها المفضلة ثم تنهدت وقالت :- عارف يا جاسم، أسفة أقصد يا دكتور جاسم أنا عمري ما تخيلت أني ممكن أرجع كويسة تاني، أنا بعد وفاة ماما -الله يرحمها- فقدت الأمل في كل حاجة، مكنش بستني بكره، مكنتش عاوزة يكون في بكره أصلاً، مخرجتش من الحالة ديه غير بوقفة بابا و روان جمبي، أنا وروان عشرة سنين كتير كنت بخاف أعدهم ليكونوا قليلين، عرفتها بالصدفة في إحدى الدروس، حكتلي أن باباها توفى من وهي صغيرة ومامتها بتقوم بالدورين مع بعض، وقفت جمبي كتير وساندتني في كل مواقف حياتي وعمري ما أنسى اللي عملته لما ماما توفت، كانت شبه مقيمة عندي في البيت وبتبات معايا ومش بتسيبني لحظة لوحدي، كانت دايمًا بتهون عليا وبتقولي كلام كنت ببقى محتاجة أسمعه، خدت وقت كبير أوي عشان أقدر بس أقف على رجلي من تاني وأوهم نفسي أني ممكن أكمل حياتي مرة تانية، كانت كل حاجة ناقصة، كنت بحس أني تايهة ومش عارفة أتصرف بس كنت دايمًا برجع لبابا أو روان وهما يدلّوني، شوية بشوية بدأت أرجع جامعتي تاني وأتكلم مع الناس، كانت حياتي كلها بتتمحور في بابا وروان وبس ..
تجمعت الدموع في عين درة ثم ارتشفت رشفة ثانيةً وقالت :- كانت كل حاجة بدأت تكون كويسة لحد ما سمعتهم ..
بدأت يد درة ترتعش ولكنها أصرت على تكملة الحديث :- سمعتهم وهما بيتفقوا هيعملوا إيه في ابنهم! وهيعرفوني ازاي ؟ ورد فعلي هيكون إيه !!
كل اللي كنت بفكر فيه وقتها هي ازاي روان قدرت تاخد مكان ماما؟ ازاي قبلت على نفسها كده ! مكنتش بعمل حاجة غير أني انهار وأصرخ ..
تساقطت دموع درة بغزارة فربت جاسم على يدها ليطمأنها أن الأمر قد انتهى وأنها الآن استعادت قوتها، فهزت رأسها موافقة ثم مسحت دموعها وأخبرته أنها لا تشكو بل تفضفض معه كما اعتادت ..
ثم همَّت بالرحيل ولكنها نظرت إليه وقالت : -
لولا أنتَ ما كان مَرَّ كل مُرّ ..

التفت ليجد طيف في أحد أركان الكافتيريا تتابع الأمر فاستغرب من جرأتها فمثلها يبكي الآن ويخشى الظهور ولكنه يحب من تعانده ليثبت لها أنه على حق وأنه انتصر على عنادها، يعشق هذا النوع من النساء ..
قام واقترب منها وقال لها بتكبر :- أرى أنك تتعلمين سريعًا، فلقد واقفتي تتابعين كيف يتعامل الطبيب مع مرضاه، أرجو أن تقلديني كما يجب أن يكون
شعرت طيف بالغيظ تجاه كلامه ثم قالت بسرعة :- أيمسك الطبيب يد مريضته !!!
ثم شعرت بالحرج عما خرج منها فوضعت يدها على فمها ولكنه قطع توترها قائلاً :- أتغارين يا طيف ! بهذه السرعة ؟
اِحمرَّ وجه طيف وشعرت أن حرارة جسدها تصل لد. جاسم فانسحبت سريعًا تاركةً إياه يبتسم ويشعر بالانتصار واللذة ..
بكت طيف كثيرًا ولامت نفسها عمَا قالته ولا تعلم لِمَا خرجت منها تلك الكلمات، هل حقًا تغار عليه ؟

أم أن جاسر نجح في استفزازها ليظفر بتلك المعركة السريعة ..
تيقنت طيف أن معاركها مع جاسم لن تنتهي بسهولة وعليها إعداد خطط كثيرة والأهم من ذلك كله عليها أن تتحكم في كل حرف ستتفوه به أمام ذلك العدو النابغ الذي يعلم كيف يصطاد فريسته جيدًا ..

بينما هي تخاطب ذاتها فإذا برسالة على هاتفها من رقم مجهول محتواها كالآتي :- " لقد رأيتك وأنتي تتسللين لغرفة درة، وقمت بتصويرك وأنتي تضعين الورقة في يدها، أعلم أيضًا أن هذه الحالة تخص د/ جاسم حمدان وأعلم جيدًا قوانين هذه المشفى، أرجو أن تستعدي لما هو قادم.. "

تلقت طيف الرسالة في صدمة فمن ذا الذي علم بأمر خطتها التي فشلت ويقوم بتهديدها الآن !! إذا وصل الأمر لد. جاسم سيستغل هذا الأمر بدهائه وسيوصل الأمر لد. نجيب الألفي وسأتعرض للمسألة القانونية، شعرت طيف أنها في مأزق حقًا ولا تعلم كيف تتصرف ..
كان د. جاسم يمر بين مرضاه وإذا ببعض من طاقم التمريض يتسامرون بصوت منخفض في إحدى الأركان ومن إن رأوه حتى ذهب كل منهم إلى مكان عمله، استغرب لفعلتهم لكنه لم يهتم فأمامه خطة جديدة سيحقق فيها نصرًا جديدًا على طيف، فليبدأ العبث ..
بينما كان يتجول جاسم سمع أنينًا خافتًا يهمس زيـن .. ز ي ن .. زيـن..
أقترب جاسم من الغرفة لينصت أكثر فسمعه يهمس :- زين، أعلم أنك تسمعني، أنا والدك، أرجوك أركل بطن أمك لتخبرني بكونك حيًا ..
حازم شاب في الثلاثين من عمره، كان يعمل مهندسًا مدنيًا في إحدى الشركات الكبرى المعروفة وكان معروفًا بمهارته وإتقانه لعمله لكنه قبل ذلك كان يعمل لدى أحد المصانع المغمورة التي جعلته يبغض كلية الهندسة التي دفع الكثير من صحته ليلتحق بها وفيها تعرف على زوجته زينة التي ساندته طوال سنوات الدراسة ومن ثم وقفت بجواره عندما اصطدم بواقع الحياة العملية، فكان يعتقد أنه تخرج من كلية قمة -كما يصنفها المجتمع- بتقدير امتياز مرتفع فمن السهل الحصول على وظيفة مرموقة ولكنه وجد عكس ذلك ..
فكان يستسلم كثيرًا ولكنها تسانده، دائمًا ما كان يطلب منها أن يفترقا لكنها رفضت بشدة وفي كل مرة كانت تتمسك به أكثر، حتى التحق بإحدى المصانع التي قبلته ولكن كان مرتبًا رمزيًا بالكاد يكفي المواصلات ..
لم تتركه زينة وظلت تنتظره وتحدَّت الجميع من أجله فقط ، حتى أعلن النصيب هزيمته أمام صمودها وأمام دعواتها الدائمة فاستجاب القدر لها وكُتب لها أن تكون حرم المهندس / حازم يوسف شفيق ..
وكأنها كانت تنتظر حصولها على هذا اللقب حتى فتح القدر أبوابه لحازم ثانيةً وإذا بشركة معروفة تطلبه شخصيًا وتقدر مهاراته المهنية وقد حصل على أضعاف المرتب السابق، ما إن تزوجا حتى دعا حازم اللَّه في كل سجدة أن يرزقه بقطعة من زينة حتى تصبح عينه اليسرى بعدما صارت زينة اليمنى ..
جاء اليوم الموعود و أخبرته زينة بحملها فصار كالطفل الذي حصل على لعبته بعد صبر سنوات عجاف، صارت زينة طفلته المدللة فوق دلالها، كان يجلب لها كل ما تتمناه ..
مرت الشهور الأولى وعلم حازم أن الجنين الذي تحمله زينة ولد فقرر أن يسميه زين، حتى يصير

قطعة من اسمها، فهو لا يتمنى سوى أن يكمل حياته مع زينة وأطفالهم، لا يرى سواها، هي من تحملت أسوء حالاته وأخرجته منها فلابد من رد الجميل لها وهو في أسعد حالاته لطالما كانت هي السبب فيها ..

كان ينتظر الوقت الذي يعلن زين حضوره بركل والدته فيضحك حازم كثيرًا ويتمنى من اللَّه لقائه سريعًا ..

لكن القدر لعب لعبته في هذه المرة وفقدت زينة جنينها دون سبب واضح ! فقد كان يرعاها نعم الرعاية ويجلب لها ما تتمناه، وكانت لا تبذل أي مجهود ولكنه القدر !

استيقظ حازم ذات يوم على صراخ زوجته فحملها سريعًا وذهب بها إلى المشفى فإذا بالطبيبة تخبره أن الجنين فُقد ..

جثى حازم على ركبتيه واحتضن بطن زينة وظل ينادي صغيره .. زين .. زين .. أرجوك أركل بطن أمك حتى أعلم أنك حي .. زين أجب على والدك .. زين

حتى أصبح حازم هنا تحت رعاية د. جاسم الذي يراه يبالغ كثيرًا فهو لم يراه ولم يسمع له صوتًا فكيف كل هذا التأثر بركلات !!!!

ربما جاسم لم يتفهم حالة حازم لأنه لم يمر بما مرَّ به ولم يقع في حب فتاة مثل زينة، فبالرغم من تقديره لحالته لكنه مازال مبالغًا في نظره ..

مازال جاسم يسترق السمع وإذا بطيف تمر من أمامه لكنها ليست التي أعتاد عليها، فكانت وكأنها تخشى شيئًا ما ! ولكن ما إن رأته حتى نست أمر رسالة أمس وقالت له بتأفف هل للطبيب أن يتصنَّت على مرضاه !

فأجابها بثبات :- بالطبع.

= طيف :- من أين حصلت على رسالة الدكتوراه ؟؟

- جاسم بتكبر :- من مكان لم يحْن الوقت للصغار أمثالك معرفته ..

أشتد غيظ طيف وقالت في عناد :- هل تم إخبارك من أين حصلت على شهاداتي العلمية ؟

- جاسم :- لم أهتم للسؤال من الأصل.

= طيف :- من تظن نفسك !

- جاسم :- دكتور جاسم حمدان وأنتي ؟، ليف أليس كذلك !

= طيف :- سأثبت لكَ يومًا ما بطريقة مَا أن ما ترتكبه في حق مرضاك جريمة ستعاقب عليها ..

اقترب جاسم منها ونظر لأسفل نظرًا لفارق الطول بينهما ثم قال :- هل تَحدّيتني الآن أم أنني أبالغ ؟

= طيف بثبات :- نعم كما تظن ..

- جاسم :- أعشق ذلك

تركته طيف دون كلام ولكنها خبطت كتفه عن قصد فضحك لتصرفها الطفولي ثم انصرف لمكتب د. نجيب الألفي ..

بعدما تركت طيف جاسم شعرت بالغيظ فهي لا تتحكم في تصرفاتها أمامه، هي التي لم تذق للهزيمة طعمًا أتى هذا المتعجرف وجعلها وجبتها المفضلة في كل لقاء، لا تقوى على النيْل منه ولا تعلم لِمَا ! تعلم أنه يتلذذ بمضايقتها ولكنها لن تستسلم مهما كلفها الأمر ..

ثم تذكرت أمر الرسالة ثانيةً وظلت تفكر من سيكون شاهدها وهي تفعل فعلتها وقام بتصويرها دون أن تشعر، وهل هو الشخص ذاته الذي قام باستبدال الورقة ؟ ولكن إذا كان ينوي حقًا أذيتها فلما لم يقم

بتسليم الورقة لد. نجيب الألفي ! هناك لغز عليها حلّه ..
دخل د . جاسم غرفة د . نجيب وهو يشعر بالفخر فسأله نجيب ليخبره الأخر أنه فاز بجولة جديدة فسأله نجيب عن نهاية هذه الحرب ؟
فرد جاسم بفخر :- كالمعتاد، ضحية جديدة ضمن ضحاياي ..
فرد نجيب بثقة :- لا أشعر بذلك تلك المرة فربما تنقلب الموازين، فلن أثق بمن جعلتك كذلك
جاسم :- أفعل كل هذا من أجل الحرب فقط، إنها خدعة يا صديقي
نجيب :- لِمَا لم تخبرها أنك تدير هذه المشفى ؟
جاسم :- حينها ستنتهي الحرب وهي على مشارفها، فطيف تعشق عملها وتقدَّر مكانة العمل معنا، فلن تتخلى عن كل هذا مقابل عنادها ..
نجيب :- أرى أنك تهتم باستمرارها معنا ؟
رد جاسم بدون أن يعيره اهتمامًا :- ليس بالضبط، ولكنني أحب أن أفوز في معاركي خاصةً أنها هي من بدأت الحرب..
رد نجيب بنفاذ صبر :- من قال أنها حرب ؟ لقد كنت تريد المنضدة لأنه معاد متابعة درة، وهي جاءت ووجدتها فارغة فجلست !!
هل هذه مشارف الحرب الجديدة ؟
ضحك جاسم ولم يجُب، فسأله نجيب عما يضحك ؟
- جاسم :- هذا هو الفرق بيننا يا صديق كفاحي، أنك ترى الأمور بسيطة ولكنني لي وجهة نظر محددة أسير ورائها وأحقق ما رأيته في البداية
كررها نجيب ثانيةً :- ولكن ليست هذه المرة ..

مَرَّ اليوم ونسى جاسم أن يرسل الرسالة التحذيرية لطيف حتى يسلّط عليها أعصابها لكنه نوى أنه سيكون أول شيء في صباح الغد ..

كانت طيف في حالة لا يرثى لها، هي التي ترعرعت بين أهلها كطفلة مدللة يُجلب لها كل ما تتمناه، كانت تمتلك جميع الصفات التي يتمناها أي شاب في فتاته المستقبلية عدا العند الذي مازال مستمرًا معها حتى الآن، درست في أرقى المدارس حتى التحقت بكلية الطب النفسي وأبدت تفوقًا غير مسبوق حتى سافرت للخارج في منحة نظرًا لتفوقها فناقشت رسالة الماجستير وحصلت على تقدير امتياز ومن ثم عادت لمصر لتلحق بأكبر المستشفيات النفسية في مصر، لكن بسبب عنادها هي على وشك أن تخسر وظيفة أحلامها..
استيقظت مبكرًا وبدلّت ملابس نومها ثم وقفت أمام مرآتها ونظرت إلى ملامحها التي باتت باهتة بعدما دخل د. جاسم حياتها، صارت تتقبل هزائمها المتتالية دون رد أو حتى دون دفاع ! صارت أشبه بالفتاة الضعيفة التي تتحمل لكمات زوجها من أجل أولادها !! هي بالفعل تحب عملها لكن تحب ذاتها أكثر، من ذاك الذي أقتحم حدود طيف علوان وثبت رايته أعلى قمتها ! يوجه لها صفعات على هيئة كلمات تخرج من فمه ولكنها تصيب كرامتها، طعنات سامة صادرة من غروره تخترق تقديرها لذاتها ..
ظلت تتساءل هل كانت مخطئة عندما فكرت في بدء الحرب معه ؟ هل حقًا هو يتخطاها تفوقًا و

دهاءًا ! هل هي من وضعت نفسها في ورطة عندما أدخلت مريضةً لا ذنب لها في المشكلة بينهما ؟ هل حقًا درة ليس لها ذنبًا !! هل تعافت بطريقته الغبية ؟
أنه يخبر مرضاه بأنهم مرضى !! يسترق السمع حتى يستغلهم أشد استغلال ظنًا منه أنها طريقة العلاج المثلى ! ما يثير جنوني حقًا أنها تنجح ؟ كيف لمريض تمت مواجهته بكل مخاوفه أن يُعالج !!
انتبهت طيف لصوت المنبه ليعلن عن موعد نزولها، فحملت حقيبتها وذهبت للمشفى ..
كان جاسم يتسامر مع د. نجيب الألفي عن الترقيات الجديدة للأطباء والممرضين حيث تتبع هذه المشفى نظامًا خاصًا بها أنها من حين لآخر تقدر مجهودات الأطباء والممرضين فتقوم بترقيتهم رمزيًا لتزداد مرتباتهم، وكان صاحب هذه الفكرة هو د. جاسم فهو يخصص جزءًا من ثروته من أجل هذه الترقيات حتى يحصل على أقصى مجهود من فريق عمله وحتى يظل اسم المشفى كما هو ..
فبدأ د. نجيب حديثه :- طبعا أول حاجه هتقولها استبعد د . طيف عشان تحس بانتصار جديد صح ؟
ففاجأه جاسم :- كان نفسي تكون أول طبيبة يتم ترقيتها بس هتنازل عشان خاطر الدكاترة الأكبر، بس أنت هتكرمها قدام المستشفى كلها ..
اندهش نجيب لما يسمع فهل سئم جاسم الحرب التي أبتدعها ؟
= نجيب :- هي عرفت توقعك ولا إيه ؟
ضحك جاسم بصوت عالٍ :- هو أنت محسوب عليا صاحب على الفاضي ؟ مش عارف هتفهمني امتى بجد ..
= نجيب :- وهو أنت فيه حد يفهمك ؟ أتفضل اشرحلي ناوي على إيه ؟
- جاسم :- تخيل هي مرعوبة أنها تخسر منصب طبيبة في المستشفى ما بالك لما تترقى في فترة صغيرة وتثبت نجاحها ؟ وفجأة يجي حد يهددها أنها هتخسر كل حاجة بسبب تصرف متسرع منها !!
= نجيب :- جاسم هو أنت هتحبها ؟
- جاسم :- ليه قولت هتحبها مش بتحبها !
= نجيب :- لا متقلقش النقطة ديه أنا فاهمك فيها، أنت لو وقعت مش هتقع بالسهولة ديه ولا بالسرعة ديه، أنا عارف أن طيف مختلفة وأني دماغها عجباك حتى لو أنت بتنكر ده، بس أنا بسألك بقى هل أنت ناوي تحبها ولا الموضوع كله عناد وخلاص ؟؟
لم يجْب جاسم وظل يفكر بينه وبين نفسه هل حقًا كلام نجيب صحيحًا ! هل ستستطيع طيف أن توقع شباكه ! هل هي من ستكون في نهاية المطاف ؟..
ما يثير دهشته حقًا أنها الفتاة الوحيدة التي جعلته يسأل هذه الأسئلة، ثم نظر لنجيب وأعطاه ورقةً بأسماء الدكاترة التي ستحصل على ترقية ثم رحل ..
وجد جاسم شريحة هاتف واقعة على الأرض فوضعها في هاتفه حتى يعلم من صاحبها، ولكن سرعان ما أخبره الممرض أن المريض حازم شفيق يحتاجه ..
ذهب إليه فوجده يبكي كالعادة وينادي على ابنه زين فقطع بكاؤه قائلاً :-
- د. جاسم :- ألن تساعد نفسك لتخرج من هذه الحالة ؟
= حازم :- أريد زين

- لم يشأ اللّه أن تراه
= لكنني تمنيته وطلبته منه
- كأن بإمكانك أن تنجب غيره ويمكنك تسميته زين أيضًا ..
= بهذه السهولة ؟
- ولِمَا لا !
= أكاد أجزم أنك لم تشعر بمرارة الفقد يومًا، أتعلم أن تضع أحلامك في شخص ما ثم يرحل دون أن ينبهك ؟ تقدم له فوق استطاعتك ليفاجئك هو بأنه لن يكون موجودًا !!
- أرى أنكَ تهذي، فكلامك غير مرتب ..
= لأنني مريضًا كما أخبرتني ..
- تصديق المشكلة يساعد في حلها
= ومن ذا الذي لن يمرض برحيل زين ..
- أنتَ لم تراه !!
= شعرت به، لامس قلبي وهذا يكفي، ليست كل الأوقات تحتاج إلى أشياء مادية فهناك وقت لن تساعدك المادة ستتجه للمشاعر الخفية، ستنساق وراء ما بداخلك وإن كان يخالف الكون ..
عندما علمت بوجود زين شعرت أن اللّه رزقني بقطعة من الجنة تعويضًا عما عانيت منه طوال سنوات حياتي، ظننت أن القدر ضحك لي ولكنه لا يضحك سوى علينا، يجعلك تشعر أنك ستملك الدنيا ثم بدون سابق إنذار يركلك لتسقط من حافة أحلامك ..
كنت كـ نسرٌ فاق قمة الجبل ثم تعرقل جناحه في اللحظة الأخيرة.
ربما لم يصلك مقصدي لكن زين لم يكن مجرد ذاك الجنين الذي سأحتضنه بيدي فيكبر يومًا بعد يوم حتى يلتحق بالمدرسة ثم الجامعة ثم يخبرني أنه يريد الزواج من تلك الشقراء التي أوقعت بشباكه ويُعاد الزمان ثانيةً وأحمل حفيدي ثم يكبر يومًا عن يوم ..
أتعلم، ربما كان السبب في حازم نفسه، نعم أنا، ربما هو من حلم بأشياء لن يثلها، ربما ارتفعت عيني عن القدر المحدود لها، ربما أحببت زين أكثر من اللازم لكن تاللّه كانت ثقتي في الذي خلقني وخلقه هي الدافع ..
- لو كنت مثلما قلت فثقتك باللّه وحدها قادرة على البدء من جديد
= يُهزم المرء مرةً واحدة فيركض طيلة حياته في محاولة بائسة للتعافي ولكنه .. لا يتعافى.
-تتحدث هكذا لأنك مريض.
انتهى الحوار بينهما بتلك الجملة، فطأطأ حازم رأسه مستسلمًا لكلام طبيبه ثم اختفى تحت لحافه ..
تركه جاسم وذهب ليشاهد رد فعل طيف على ترقيتها، وجد د. نجيب الألفي يتأهب فكان من المفترض أن يجلس بجانبه جاسم لكنه جلس في صفوف الأطباء حتى لا تعلم طيف أنه مديرًا مثله مثل د. نجيب، فهو أوصى الأطباء والممرضين الذين يتعاملون معها ألا يخبروها بذلك ..
فجلست هي أمامه وهي متوترة وإذا بد. نجيب يبدأ حديثه ممجدًا في المشفى وفي طاقم العمل ومن ثم يعلن الترقيات وهي في حالة شرود لا تنتبه حتى نُطق اسمها، فلم تجْب ..
الدكتورة / طيف علوان ..
دكتورة / طيف

دكتورة / طيف عاصم منير علوان
دكتورة طيف موجودة ؟؟
فاقت من شرودها على صوت د. جاسم وهو يقول لها لا تنتبهين لأنك لم تتوقعين ذلك، صحيح ؟
طيف :- عفوًا
نُودي ثانيةً دكتورة / طيف عاصم منير علوان
فأجابت :- نعم ؟
خاطبها د. نجيب وهو يلوم عليها ألا تريدي الترقية الجديدة ؟
طيف :- ترقية ماذا ؟
كان جاسم يضحك في الخلف على تصرفاتها لكنه خشي عليها من شرودها، فما السبب وراء ذلك !! فهو لم يرسل الرسالة بعد ! كان ينتظر أن تحصل على الترقية أولاً !!!
استلمت طيف الدرع الخاص بها وحصلت على الترقية وظهرت الفرحة في عينها ولكنها سرعان ما اختفت حتى عادت لمكانها ووجدت د. جاسم يهنئها، فسرعان ما تذكرت أمر الرسالة ..
- د. جاسم :- مبروك يا طيف
= طيف بتأفف :- دكتورة طيف*
- جاسم بتكبر :- لقد حصلت على مثل هذه الترقيات تكرارًا ومرارًا ..
نسيت طيف أمر التهديد وتمكن منها عنادها الذي يريد تحطيم غروره فردت ببلاء :- لم أكمل شهرًا واحدًا في المشفى وحصلت على هذا التكريم، أعتقد إن أكملت عامًا سأصبح مديرتك ..
لم يمنع نفسه من الضحك وقال لها بالطبع، أعتقد أنها ستكون في القريب العاجل ..
شعرت هي بالإهانة فانصرفت دون وداع ..
لم يكن يقصد جاسم إهانةً، استكمل حفل التكريم بصفته مديرًا ومن ثم دخل لغرفته وتذكر أمر الشريحة ففتح هاتفه لربما يجد رقمًا يوصله لصاحبها ..
نظر جاسم للهاتف باندهاش، فلا يوجد سوى رقم طيف !! ولكن لا يوجد مكالمات بينهما ! لا يوجد سوى رسالة واحدة ..
دخل على الرسائل المرسلة ليقرأها وكانت المفاجأة ..
فاشتعل غضبه واشتد وتجمعت الدماء في عروقه وأقسم أن يعرف صاحب هذه الرسالة ولو كلفه ذلك عمره بأكمله ..

راجع د. جاسم الهاتف مرة ثانية لربما غضبه يخفي عنه شيئًا لكنه لم يجد سوى رقم طيف ورسالة موجهة إليها محتواها "لقد رأيتك وأنتي تتسللين لغرفة درة، وقمت بتصويرك وأنتي تضعين الورقة في يدها، أعلم أيضًا أن هذه الحالة تخص د / جاسم حمدان وأعلم جيدًا قوانين هذه المشفى، أرجو أن تستعدي لما هو قادم .. "
ذهب للمشفى ودخل مسرعًا لغرفة د. نجيب الألفي ويطلب منهم تفريغًا لكاميرات اليوم ولكن دون علم مهندس الإلكترونيات ..
سأله نجيب عن السبب فأخبره أنه وجد هذه الشريحة واقعة أرضًا وعندما قام بتشغيلها وجد هذه الرسالة مرسلة لطيف !!
قدر د.نجيب غضب جاسم فقام بتجميع الفيديوهات بنفسه، شاهدها سويًا فعلموا أن هذه الشريحة

تخص أحد من طاقم التمريض الخاص بغرفة درة
هنا تذكر جاسم أمرهم، فقد كانوا موجودين في غرفته عندما وضعت طيف الورقة في يد درة وحينها طلب من أحدهم أن يجلب الورقة، ولكن من أين جاءت له كل تلك الجرأة ليفعل أمرًا مثل هذا !!
رفع نجيب سماعة الهاتف وكاد أن يستجوب هذا الممرض ولكن جاسم أغلق الهاتف بسرعة فنظر له د. نجيب وسأله عما ينوي ؟
- د. جاسم :- هل تعتقد أن جاسم سينتقم بهذه السهولة ؟
= د. نجيب :- وكيف ستنتقم إذن ؟
- د. جاسم :- سأكمل فعلته دون أن يعلم ..
هو الآن في صراع مع الأدرينالين، لربما ينهي أحدهم حياة الآخر، لقد تجرأ وأدخل نفسه في لعبةٍ مقتصرة على كبار السن وهو مازال يتلقى دروس الحياة ..
سأستخدم هذا الخط في تهديد طيف وسأعلن برائتها أمام الجميع فيحق لها حينها مقاضاة صاحب هذا الخط ..
اندهش نجيب لما يسمع، فهل جاسم بهذا الشر ؟ أم أنه دهاءًا فريدًا !!
لاحظ نجيب أنه عندما يقترب الأمر من د. طيف علوان تتغير طبيعة جاسم التي أعتاد عليها، يتحول لغول إذا فكر أحد في الإقتراب منها، هو فقط المسموح له بأذيتها ..
فتح الهاتف وأرسل رسالة أخرى لها كتب فيها :-
"أرى أنكِ تريدين الحفاظ على مهنتك الجديدة، ولكنك إن لم تتبعي أوامري فلن يحدث.. "
لم يكذب ظن جاسم فقد نجح في استفزازها بهذه الرسالة، فهي لا تحب أن تتلقى أوامر من أحد فسرعان ما ردت عليه برسالة قصيرة :-
"إن تطلبت وظيفتي مني أن أخضع لأوامر سأتخلى عنها بصدر رحب.. "
ضحك جاسم من تسرعها وتصرفاتها الطفولية التي إن كانت مع غيره لكلفتها كثيرًا ، لكن لحسن حظها تمارسها مع الشخص الصحيح الذي يتوقع خطوتها التالية قبل أن تخطوها..
أخرج جاسم الخط الجديد ووضعه في محفظته الخاصة وخرج تاركًا د.نجيب الألفي في ذهوله ..
كانت درة تتجول في الممر المواجه لغرفة د. جاسم فما إن رأته حتى جرت عليه وطلبت منه الجلوس على طاولتهم فوافق على الفور، فهو يرى تحسنها الواضح فلا يريد أن يرفض لها طلبًا بعد أن استجابت لخطته وتخلت عن جزء كبير من مرضها ..
جلسا سويًا على الغرفة وطلبت درة قهوة د. جاسم المعتادة وطلبت لنفسها ثم وجهت كلامها لجاسم متسائلة : -
- هو أنت محبتش قبل كده ؟
استغرب جاسم سؤالها فهي لم تتطرق يومًا لسؤاله عن هذه الأمور ولكن لا مانع من أن يجاريها..
= اشمعنا السؤال ده ؟
- عشان عمري ما سألتهولك !
= وإيه اللي خلاكي تسأليه دلوقتي ؟
- حاسة إني عاوزة أسأله ..

= مش عارف
- ازاي يعني !؟
= قوليلي إيه هو الحب وأقولك جربته قبل كده ولا لا !
- المفروض أني لما أسألك كده كانت تيجي في بالك صورة البنت اللي أنتَ بتحبها !
= فرضًا أن مجتش، ساعديني شوية وقولي دليل تاني
- لما تحب حد هتلخص الدنيا كلها في وجوده، مش هتعرف تحلم حلم من غيره، هتبني حياتك الجاية كلها وهو جمبك، هتفرح لما تشوفه، قلبك هيقعد يدق كده كتير، هتحس أنك متلخبط بس مبسوط، مهما عمل فيك هتعديله، هتشوف نفسك بعينه، هتطمن وأنت جمبه، يومك هيكون ناقص من غيره، كلامك هيبقى ملخبط ومش مترتب ..
= طب رتبي كلامك وقوليه مرة واحدة ..
شعرت درة بالإحراج فربما لاحظ جاسم توترها وإرتباكها ولكنها نظرت لعينه فشعرت ببعض من الأمان فاستجمعت قواها ثانيةً ثم قالت :-
- لما متعرفش تشرح بتحب ليه، أتأكد أنك حبيت ..
قالت جملتها وقامت مسرعة فوقعت ورقة مطوية من حافظتها فأخذها جاسم في خفة، فقد علمها منذ عدة شهور أنها عندما تريد قول شيئًا ما ولا تقوى على ذلك تقوم بكتابته وتحتفظ بيه لحين استطاعتها بنطقه أو بتخليها عنه ..
قام ليجد طيف أمامه ويظهر عليها القلق المختلط بكثير من عنادها الذي يعشق هزيمته فألقى عليها التحية فردت ببرود ولكنه لم يستسلم فقال لها :-
- ألستِ سعيدة بترقية أمس ؟
= بلا
- ماذا بكِ ؟
= وما شأنك أنتَ !!
- يبدو أن تواضعي معكِ جعلك تنسين من تكوني !
= تواضعك !!
- بالطبع
= هل توجد هذه الكلمة في قاموسك ؟
- ما رأيك أنتِ ؟
= رأيي معتاد، أنك متعجرف، مغرور، لا ترى سوى نفسك، لا تسير إلا وراء أفكارك، تتلذذ بتقليل شأن الأخرين مع العلم أن منهم من يتخطاك علمًا ..
كاد أن يعنفها أو يصفعها على فمها الذي يخرج سمًا لكنه حزن أن تكون هذه الفكرة التي في ذهنها عنه، ولكن سرعان ما تمكن منه غروره فقال لها في تكبر :-
- ربما لأنك أقل مني شأنًا فتظنين ذلك.
تجمعت الدموع في عين طيف إثر هذه الجملة ورحلت مسرعة دون أن تتفوه بكلمة ..
شعر بالحزن لما فعله، لكنها هي من قامت باستفزازه، هي من قللت منه ! لا تعطيه فرصة للكلام، هي من لا ترى إلا نفسها، تريد إثبات ذاتها وتنسى أن هناك من يسبقها ..

بعدما ترك جاسم طيف فكر في كلام درة فهو لم يشعر بتلك المشاعر التي تحدثت عنها ولكنها عندما قالت ستظهر صورة حبيبتك في بالك لم يرى حينها سوى طيف !!
قرر جاسم أن يفتح الورقة الخاصة بدرة ليقرأ ما بها :-
"أخشى عليكَ من فتاةٍ أوهمتك الحب وأنا التي أعطيته صادقًا لكَ بلا مقابل، فتاةً لا تتذكرك في صلاتها بينما كنت أبكي ساجدةً طالبة إياك في الثلث الأخير، أخشى عليكَ من قلبٍ لا يضطرب عند رؤياك وأنا التي أخضعت قلبي لسلطانكَ، أخشى عليكَ من عينٍ لا تلمع بلقائكَ وأنا التي أبكي عند رحيلكَ ، أخشى عليكَ من زوجةٍ تقليدية تراكَ زوجها وأنا التي رأيت العالم بكَ وفيكَ، أخشى عليكَ من إنجاب أبناءًا لم يرثوا حب أمهم لكَ وأنا التي رأيتك طفلي، أخشى عليكَ من فتاةٍ لا تعلم أنك تحب ذاك الطعام وهذا الشراب، أخشى عليكَ من فتاةٍ لا تنتبه لتفاصيلكَ وأنا التي أسهر من أجلها، أخشى عليكَ من فتاةٍ لا تعلم كيف تهدئ من غضبك لا تعي كلماتكَ وأنا التي أقابل قسوة مرادفاتكَ بلين، أخشى عليكَ من فتاةٍ لا تسكن روعك وأنا التي أحتضنك بنظراتي، أخشى عليكَ من فتاةٍ لا تعشق المفاجآت بالقدر ذاته، أخشى عليكَ من حياةٍ روتينية تُشعرك بالكبت، أخشى عليكَ من فتاةٍ لا ترتجف يداها عند ملامسة يدكَ بالخطأ، أخشى عليكَ من فتاةٍ تطلب الانفصال وأنا التي انفصلت روحها عنها بغيابكَ، أخشى عليكَ من فتاةٍ تجهل أشياءًا لم تخبرني بها أنتَ لربما لأنكَ لم تعرف نفسك مثلما فعلت، أخشى عليكَ من فتاةٍ تجادلك وأنا التي تنصت لأوامركَ، أخشى عليكَ من فتاةٍ لا تفهم غيرتك وتنعتك بالمتحكم وأنا التي كنت أنفذها بلا نقاش، أخشى أن تكون هي التي على صواب، أخشى ألا يكون لي حق الخَشْي عليكَ.. ".

ذهبت درة إلى غرفتها تاركة ذهنها عالقًا بأشياء لا تعلم نهايتها ..
لا تدرك حقيقة مشاعرها ، أتحب حقًا أم أنه احتياج ..
ثم تساءلت أيختلف الحب عن الاحتياج ؟
هل الحب والاحتياج وجهان لعملة واحدة ؟ أم لكل منهما عملة خاصة به ..
هل لا يحتاج المحب لحبيبه ؟ ولا يحب المحتاج من يسانده !!
هل الحب مجرد جزء من الاحتياج أم العكس ؟
هل نحتاج يومًا شخًصا لا نحبه ؟
تراكمت عليها الأسئلة ولم تجد لها إجابة واضحة، فدائمًا ما يحتاج الإنسان أشخاصًا لهدف الاحتياج فقط، ليشعر أن بجانبه من يسانده ويدعمه، ربما يحتاج الإنسان محيطون ليشعر فقط أنه إنسان ..
لم يتحمل سيدنا آدم -عليه السلام- الوحدة فخلق اللَّه له حواء من ضلعه، فقد احتاج آدم وهو في الجنة فلابد من احتياج بني آدم وهم في الأرض ..
ولكن، هل نحتاج حقًا من يسدون احتياجاتنا المؤقتة أم أننا نُلقي بأيدينا في التهلكة ؟ هل نقوم باستغلالهم دون أن نشعر ؟ نأخذ منهم ما نحتاجه ثم لا يدق قلبنا تجاههم ؟ هل نحب الأشخاص الخطأ من البداية فلا نجد منهم الاحتياج !
هل يقع شخص في حب شخص لمجرد أنه يلبي احتياجاته ؟ إذا حدث ذلك ماذا سيكون الأمر إذا اكتفى الطرف الأخر ولم يقدم ما قدمه ثانيةً ؟ هل ستنتهي هذه العلاقة !
كانت تسأل نفسها هذه الأسئلة وصورة جاسم لا تفارق ذهنها، كانت تشعر به في كل مكان، لم تعرف معنى الأمان إلا عندما تعافت على يده، إن حق القول لم تتعافى كليًا لكن الفضل الأكبر يعود

له بعد اللّه ..
عندما جاءت إلى هنا كانت فاقدة للشغف، لا تريد الحياة، لا تشعر بشيء سوى الصدمة والخذلان، كانت فاقدة للنطق، يومها يتلخص في الصراخ فقط ..
حتى بدأ د. جاسم حمدان في مسيرته العلاجية مع درة، بذل قصارى جهده حتى يجعلها تهدأ، فقط تهدأ..
حتى نجح بعد عدة محاولات ومن ثم بدأ يتحدث معها، كان أسلوب د. جاسم حادًا بالنسبة للبعض فإنه يرى أن مواجهة المشكلة هي السبيل الأول والأوحد لحلها، لا مفر منها ولا ملجأ للهروب ..
كان يتحدث عما يعانيه المريض أمامه بوضوح بل يجعل مريضه يشاركه الأمر، كان يخبره حقيقة أمره، أنه مريض ..
في بداية عمله كان ينتقده الكثير ولكن مستواه المادي مع صغر سنه لعب دورًا كبيرًا في تفادي هذا الأمر، فكانت خطواته مدروسة، لا يقبل على أمر إلا وهو حاسم النتيجة بعد إن شاء اللّه بالطبع ..
فالتحق بمستشفى الشفاء وكانت وقتها ذات شهرة عالية وسط منافسيها فلم يكن من السهل لمبتدئ مثله الالتحاق بها رغم تفوقه المهني، فكان يسبقه عشرات ولم تحْن الفرصة لهم لكنه توفيق اللّه ..
كان معروفًا بالحدة والقسوة لا يلين قلبه بالاستعطاف، يواجه المرضى بحقيقة مرضهم وعندما كثر الانتقاد لطريقته، اقترح على مدير المشفى أن يشاركه بجزء صغير من المال كشريك واقترح عدة اقتراحات وبالفعل كان له دور في نقل المشفى إلى وضع أكثر تطورًا و رُقيًا، حتى يسلم من أمر انتقاد طريقته العلاجية ساهم بجزء أخر ولكنه أكبر هذه المرة فتمت الموافقة ثانيةً وكثر عدد المرضى وزادت شهرة المشفى بل أصبح هناك مرضى يأتون خصيصًا لد. جاسم حمدان ..
بعد فترة قصيرة أصبح مديرًا للمشفى فلا يجرؤ أحد على الحديث معه وإلا تعرض لأشد عقاب، لم يكن جاسم المدير الوحيد بل كان يشاركه مديرًا أخر يُدعى نجيب الألفي كان والده مديرًا أيضًا وأعطى منصبه لولده، كانت هناك بعض الصراعات الخفية بين نجيب وجاسم في البداية ولكن نجيب أدرك أن مصلحته تكمن في كسب جاسم وليس عداءه وتحول الأمر إلى صداقة قوية دامت سنوات كثيرة ومستمرة حتى الآن..
تعاونا سويًا حتى تصبح مستشفى الشفاء كما هي الآن، عالج الكثير من الحالات المستعصية، نجح في الكثير من الاختبارات، لا يقبل كلمة من أحد تمس كرامته أو تقترب من كبرياءه، يحطم كل من يفكر في التغلب على غروره، رغم كل هذه الصفات السيئة لكن علمه وتفوقه ومساهمته في إدارة المشفى جعلت الجميع يخشاه ..
كانت درة لا تستجب له مما كان يثير غضبه حتى خضعت أمام قسوته ونفذت أوامره فبدأت بالحديث معه وكان ينصت لها ونعم الإنصات، يصحح لها مفاهيمًا إذا أخطأت، يرتب على كتفيها إذا افتقرت الأمان ..
بعدما هدأ روعها في الأيام الأولى خصص لها منضدة في الكافتيريا العلوى وكانوا يتسامران كثيرًا، أسهمت هذه الجلسة في سرعة شفاء درة، فكانت المنضدة بعيدة عن الأجواء التي تشعرها بأنها مازالت تتلقى العلاج، كلما كانت تستجيب له كلما تحسنت حالتها، رأت أن الأمر يتحول معها إلى اتجاه أخر فهي تخشى أن تذهب مشاعرها لمن لا يقدرها وعلى الجهة الأخرى لم يشعر جاسم بأي شيء فهو لا يرى إلا أنه يقوم بعمله على أكمل وجه، ثم أنه تخلى عن فكرة الارتباط منذ عدة سنوات، فمن ستقبل بتلك الشخصية وهذه هي شخصيته ولن يغيرها فلا داعي لخوض التجربة طالما

ستنتهي بالفشل ..
كانت طيف مازالت تشعر بالقلق إثر الرسائل التي تصل إليها في الفترة الأخيرة، تعلم أنها تسرعت في أمر درة لكنها تخشى الاعتراف الآن، فهي غير مستعدة لخسارة وظيفتها خصيصًا بعد ترقيتها، يكفى أنها خسرت جولات عدة أمام ذاك المتعجرف ..
فكرت في تبني أحد الحالات الصعبة وتقوم بمعالجتها فحينها ستتمسك بها المشفى ولكن سرعان ما طردت الفكرة من ذهنها لأنه إذا كان من يرسل لها الرسائل يريد حقًا إيذائها فلن يسمح لها بمعالجة مريضة أخرى وسيقوم بإبلاغ د. جاسم حمدان ..
ثم جاءت فكرة ذهبية إلى ذهنها فسرعان ما ذهبت لجاسم حتى تغتنمها ..
- جاسم :- د. طيف علوان بنفسها في مكتبي ؟
ابتسمت طيف بهدوء ثم نظرت له في حياء شديد متصنع قائلةً :-
= ممكن أقعد ؟
استغرب جاسم من طريقة طيف المسالمة، فلم تكن تلك الطريقة التي تجذبه إليها !! فما الفرق الآن إذن بينها وبين غيرها ؟
- تفضلي
= هو أنت ليه عمرك ما كلمتني عن نفسك ؟
- مش فاهم، واكلمك عن نفسي ليه أصلاً !!
= مش إحنا زمايل ؟
- لا
شعرت طيف بالحرج وكادت أن ترحل إلا أن أوقفها جاسم بكلامه :-
- أقصد أننا مش صحاب، قصدي يعني متكلمناش قبل كده كصحاب
= عشان أنت حطتني في موضع من البداية وأجبرتني عليه
جاسم باستنكار:-
- هو أنا اللي قعدت على التربيزة ومردتش أقوم وكمان رمتني باللي كان في الكوباية اللي أدامي ؟
= مكنتش أعرف أنها خاصة بجلسات درة
- وأنتي عرفتي منين ؟
= ها ؟
ضحك جاسم ثم أكمل حديثه :-
- واضح أن بقى ليكي عيون في المستشفى، بالسرعة ديه ياطيف!!
= أنا عمري ما كنت هقصد أذية مريضة
- متأكدة من كلامك ده !!
شعرت طيف بالقلق حيال جملته الأخيرة فأعادت الحوار مرةً أخرى إلى المنضدة :-
= أنت لو كنت فهمتني كنت قمت ومشيت ..
- أنتي عارفة عقوبة اللي أنتي عملتيه وقتها ده إيه !!
= أنا أسفة

اندهش جاسم لما يسمعه، هل حقًا طيف تعتذر ! طيف التي كادت أن تودي بحياة درة بسبب عنادها؟ طيف التي ألقت عليَّ مشروبها في أول مقابلة ؟ طيف التي ردت على الرسالة التحذيرية بلا مبالاة !! طيف التي دائمًا ما توجه كلماتها الفظاظة لي !!
هناك أمر عليَّ اكتشافه، لم يسبق وخانني ظني في أحد، ولا أعتقد أنه سيفعل تلك المرة، طيف تخبئ شيئًا أو تنوي على فعل شيء وتلجأ لتلك الحيلة ولن أجعلها تنل شرف المحاولة حتى ..

خرجت طيف من غرفة د. جاسم وهي حزينة حيث باءت محاولتها الأولى بالفشل لكنها قررت ألا تستسلم، عليها أن تحاول مرةً أخرى وأخرى وأخرى ..
هي تعلم قوة خصيمها جيدًا وتقدرها فجاسم لا يستهان به، هذه المرة الأولى التي تعترف بقوته لكنها اعترفت بها لتتغلب عليها ..
كان جاسم يفكر في ما فعلته طيف وأخذ يتوقع ماذا تنوي فعله !! فهو لم يصادفه أن أخطأ مرة في الحكم على أحد، فعندما رآها لأول مرة علم أنها عنيدة قوية لا تخشى المواجهة ولكنها تخشى الانهزام، لم يتعرف قاموسها إلا على كلمة النصر والانتصار، فما الذي يجعلها تأتي إليَّ لتعتذر !! هل حقًا انتهت الحرب بيننا أم أنها خديعة جديدة من خدع الحرب ! سأصدق حدسي وأفعل كما لو أنها مجرد خدعة ..
ثم فكر ثانيةً هل ما يربطه بطيف الحرب فقط ! إذا استمرت تستمر علاقتهما وستنتهي بفوز أحدهما !!
لم يجد إجابة واضحة فمسك هاتفه وبدل خطوطه وأرسل رسالة لطيف من رقم الممرض :-
"هل فكرتي فيما حدثتك فيه ؟ تريدين أن أخبر د.جاسم في حضورك أم غيابك"!!
لم تمر عدة ثواني حتى وجد رقم طيف يتصل ..
شعر بالارتباك فهو لا يريد أن يفصح عن هويته، عاودت الاتصال ..
لا يعرف ماذا يجب عليه فعله !
أرسل لها رسالة أخرى "أريد جوابًا مختصرًا"
فعاودت الاتصال لثالث مرة ..
ثم وصلت رسالة منها :- " أتخشى الرد ولا تخشى د. جاسم حمدان !! إذا كنت لا تستطيع الرد عليَّ الآن فلن تستطع مواجهته"
كانت طيف تقصد استفزاز المرسل لكنها لا تعلم أنها كسبت غرور جاسم بهذه الكلمات الصغيرة، فهو يحب من يعظمه ويقدر ذكاءه وغروره، يشعر بالمتعة حينما يمدحه أحد ويشعر بقمة السعادة إذا شعر أن غيره يخشاه ..
أخرج زفيرًا طويلاً ثم أغلق الهاتف ..
كانت طيف تشعر بالخوف، تعلم أنها تكابر لكنها تعلم أيضًا أنها إذا أظهرت ضعفها أمام ذلك المبتز سيستغلها ..
لا تخشى د. جاسم ذاته ولكن تخشى معرفته بخبر مثل ذلك، فهو يتربص لها وإذا علم أنها قامت بتلك الفعلة لن يرحمها ..
طرقت إحدى الممرضات غرفة د. جاسم وأخبرته أن حازم يريد الحديث معه، فنزل مسرعًا ..
- د. جاسم :- ما هو حالك اليوم ؟

= حازم :- أريد زين
- د. جاسم :- أمازلت تكرر طلبك ؟
= حازم :- لِمَا لا تفهمني ؟
- د. جاسم :- حسنًا ، تريد زين أليس كذلك !
= حازم :- نعم
- د. جاسم :- عليك إنجابه
= حازم :- ماذا تقصد ؟
- د. جاسم :- أن تساعد نفسك لتعود لحالتك الطبيعية ثم تعود لزوجتك وتنجبا زين ..
= حازم :- بهذه السهولة
-د. جاسم ببرود :- نعم ..
ظل حازم صامتًا لبضع دقائق ثم قال له في يأس :- حسنًا، أرجوك ساعدني ..
لم ينبهر جاسم بطلب حازم فإنه ليس المريض الأول الذي يعترض طريقته ثم يلين في النهاية لكنه شعر بالسعادة لنجاح خطته العلاجية مرة أخرى ..
فقاطعه حازم ثانيةً :- أنا مريض نفسي، صحيح ؟
- د. جاسم :- نعم
همَّ جاسم للرحيل، فسقطت دمعتان من عين حازم وهز رأسه قائلاً :- كنت أعلم
فسارع د. جاسم وهو على الباب قائلاً :- المرض النفسي ليس عيبًا ولكن العيب أن تخفيه حتى عن نفسك، وإن فعلت فلن تتعافى ..
سقطت هذه الجملة على أذن درة التي كانت تتجول بالخارج فأول ما رآها جاسم قال لها في حزم :- أرى أنك تتجولين كثيرًا في الفترة الأخيرة دون أذني !!
ضحكت درة وقالت له :- أراك تتبع الطريقة ذاتها
- د.جاسم :- بالطبع، لولاها ماكنت هنا
اقتربت منه درة ثم همست :- لولاكَ ما كنت أنا كذلك
اندهش جاسم من جرأة درة فلم تكن يومًا هكذا إلا بعد ظهور طيف، يخبرني إحساسي أن الغيرة تلعب دورًا بارزًا لكن ماذا بيني وبين طيف حتى تغير ! أم أنه هناك وأنا لا أرى !!
قاطعته درة ثانيةً :- هل تتذكر ردة فعلي الأولى على طريقتك ؟
- د.جاسم :- بالتأكيد، سيطرت عليكِ نوبة غضب وصرختي في وجهي وقلتِ أنت هو المريض ..
قاطعته درة :- كنت مخطئة
فرح جاسم لجملتها ثم أكمل :- ورفضتي الحديث معي عدة أيام ثم تقبلتي حقيقتك ..
شعرت بالحرج إثر كلمة حقيقتك، فسرعان ما لاحظ د. جاسم فمد يده وأخذ يربت على كفها قائلاً :- لم أقصد مضايقتك، بل أننا نتفق أنه علينا الاعتراف بالمشكلة لنواجهها، صحيح
فأومأت برأسها :- نعم
وطلبت منه أن يجلسا سويًا على منضدتهما لتخبره بعدة أشياء ..
= درة :- تعلم أنني في مراحل التعافي الأخيرة
- د. جاسم :- نعم

= لا أريد الرحيل
نظر لها جاسم في دهشة فقالت مسرعة :-
= لا أعلم ماذا عليَّ فعله إذا رحلت، لم أعد أهتم بأخبار أبي، لن أعيش معه ومع زوجته، لن أستطع النظر إليهم
- د. جاسم :- بماذا كنا نتعافى إذن ؟
= درة :- كنت أتعافى من صدمتي لأكمل حياتي وليس لأعيش مع أبي
- د. جاسم :- كما تحبين، فهذا قرارك
= درة :- أعلم ولكنني أثق في رأيك، أفكر أن أدرس بالخارج
- د. جاسم :- فكرة رائعة
= درة :- ألم تعتاد على وجودي ؟
- د. جاسم :- بلى
= درة :- أشعر بالملل، ما رأيك أن نلعب لعبة ؟
- د. جاسم :- ما هي ؟
= درة :- سنتبادل الأسئلة ولكن يشترط الصدق في الإجابة
- د. جاسم :- حسنًا
= درة :- هل مازلت تراني في خانة المريضة فقط ؟
- د. جاسم :- في البداية، لكن بعدما تسامرنا ليالي كثيرة وتبادلنا الآراء أعتقد أنكَ صديقة
اتسعت ابتسامة درة فهي تعلم جيدًا أن جاسم لا يعرف المجاملة ولا ينطق إلا بما يشعر به، لم يقل أزيد من صديقة ولكن لا بأس فهي ليست مريضة وحسب ..
= درة :- دورك
- د. جاسم :- هل ندمتي يومًا على مجيئك هنا ؟
= درة :- في البداية، كنت في حالة صدمة، لا أعي ماذا يحدث حولي، أبي وصديقتي، جنين ! أشياء أكبر من قدرتي ! جئت وقابلتك، كنت تتعمد قول أنني مريضة وكأنك تتلذذ بذلك ! كان كل همي أن تعترف أنت بمرضك أولاً، لم أتقبل فكرة أنني في مشفي أتعافى نفسيًا على يد طبيب لا ينطق سوى ما أنكره وأهرب منه، بطريقة ما لا أعلمها نجحت طريقتك وتقبلت الأمر، وها أنا عدت كما كنت وأفضل ..
- د.جاسم :- لقد تمت محاربتي كثيرًا حتى أقلع عن هذه الطريقة، لكنها تميزني ..
= بالفعل هي كذلك، هل مازال رأيك في الارتباط كما هو ؟
- د. جاسم :- لا أعتقد أنه سيتغير يومًا، ليس ضعفًا مني أو خوفًا من حمل المسئولية لكن لم أجد من توافق عقلي ..

قاطعته درة-:
= حتى الآن ؟
- د. جاسم :- عفوًا ؟
= درة :- حتى الآن لم تجدها ؟

- د. جاسم :- ليس كما أبدو لكِ يادرة، فأنا أعلم طباعي، أعلم أنني حاد، ربما بعض الوقت متعجرف، لا أطيق الانتظار، سأغيب عنها بالأيام، لن أجلب لها وردًا إذا نسيت تاريخ لقائنا الأول، لن ألقي عليها سيلاً من المدح إذا سهوت عن هدية عيد ميلادها، أحب عملي، أدرس خطواتي جيدًا، لا أحب العشوائية، فلن أجد من تتقبل تلك العيوب وتتعامل معها، ناهيك عن ذلك بعضهم ينعتني بالمغرور ولا أجد له سببًا منطقيًا ..

= درة :- وماذا إن وجدت من ترى تلك العيوب مميزات ؟

- د.جاسم :- لا أعلم

= درة :- حسنًا دورك

- د.جاسم :- تركته ليكون أخر سؤال، ماذا أعني لكِ ؟

توترت درة من هذا السؤال المفاجيء وأحمرت وجنتيها ثم ردت بكلمات متلعثمة :-

= طبيبي، طبيبي الذي أكتشف أشياءًا لم أكن أعلم أنها بي، ركني الهادئ الذي ألجأ إليه لأتغلب على صرعاتي، كلما صرت تائهة هرعت لبوصلتك حتى أعلم وجهتي، كلما شعرت بالظمأ راوتني طريقتك المميزة، أنت كحصاد ليالٍ كثيرة مؤلمة مررت بها، كنت أشعر أنني لاجئة لا أب ولا أم لي فكنت خير المأوى، كنت أظن أنه لا مزيد من الحياة لكنك غيرت ظني، لقد كنت معي ونعم الطبيب

ثم صوبت نظرها في عين جاسم قائلةً :- تالله أخشى مفارقتك ..

همَّت درة للرحيل لكنها التفت لترى جاسم يتتبع خطواتها فقالت له :-

= أقولك على حاجة ؟

- د. جاسم :- قولي

= بينما تظن أنك صلب جاف المعاملة، أراك تشيز كيك قمر كده

ثم تركته يقهقه ورحلت ..

قطعت طيف ضحكته قائلة باستنكار :-

= لم تخطىء أبدًا عندما نعتها بالمريضة، فمن تراك هكذا أقسم أنها مريضة

- جاسم بلا مبالاة :- وما شأنك !

شعرت بالحرج فقررت ألا تهرب ككل مرة عليها أن تواجهه

= طيف :- أترى أنك على صواب ؟

- جاسم :- لا أعلم في أي اتجاه تقصدين ولكن بالتأكيد

= طيف :- لِمَا تخبر مرضاك بمرضهم ولِمَا تعامل الباقية كذلك؟

شاور جاسم بيده على الكرسي المقابل حتى تجلس طيف ولكنها أبت وأخبرته أنها لن تجلس مكان درة فلم يهتم واستكمل حديثه:-

- جاسم :- ماذا تريدين ياطيف!

= طيف :- أن تضع في ذهنك أني لا أخشاك

- جاسم :- ومن قال ذلك ؟ أم أنه شعور بداخلك تريدين طرده ؟

نظرت له باحتقار وتمتمت بصوت مسموع :- قال تشيز كيك قال

فضحك جاسم كثيرًا وتركها ترحل ..

لامت طيف نفسها عما بدر منها فلم يكن من المفترض أن يحدث ذلك لكنها لا تتحكم في ذاتها أمامه ..
فكر جاسم في كلام درة، يشعر أن مشاعرها تتحرك تجاهه ولكنه يقول أيضًا أنها مازالت مريضة تعرضت لصدمة كبرى لم تجد غيره في هذا الوقت العسير، فمن الطبيعي أن تشعر بذلك لكنها غير صادقة، عندما تتعافى كليًا ستدرك حقيقة مشاعرها..
وتطرق لطيف مرةً أخرى وغمرته السعادة عندما وجدها عادت لطبيعتها العنيدة التي جذبته إليها منذ البداية ..
رن هاتفه فرد فإذا بد.نجيب الألفي يخبره أن هناك حالة جديدة مستعصية، فعليه أن ينزل ليستقبلها هو بذاته ..

نزل جاسم مسرعًا فإذا بشاب، تستنتج من هيئته أنه ربما هو مقبل على العقد الثاني من عمره يرتدي بنطالاً جينز وقميصًا أبيض بهيئة غير مهندمة، على عكس مرضى الآونة الأخيرة لا يصرخ ولا يرفض الدخول للمشفى، بل هو هادئًا تمامًا لا يتفوه بحرف ينظر إلى الأسفل بحركة عين سريعة، ترتعش يداه قليلاً معلنة عن توتره ..
قطع تأملي له د. نجيب الألفي-:
MDD =
- د. جاسم :- بالتأكيد، من جلبه لهنا ؟
= د. نجيب :- أخيه، قال أنه منذ فترة قصيرة وحالته غير مستقرة، يغضب من أقل شيء، يصرخ في وجه والدته، رُفد من عمله، أقنعه أن يأتي إلى هنا لربما يجد العلاج ..
لم أجد أفضل منكَ لأرشحه ..
- د.جاسم :- لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يرام ..
بينما كانت طيف تتابع الموقف من بعيد، فاقتربت غاضبةً موجهة كلامها إليَّ :- هل تشخص الحالات دون الكشف عليهم ؟
- د.جاسم ببلاهة :- عندما تصبحين في مستوايّ العلمي ستشخصين المرضى قبل أن تشاهديهم ..
= كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟
- إذا كنتِ تعلمين لكان رشحك د. نجيب بدلاً مني ..
ثم تركها ورحل ليبدأ رحلته العلاجية مع مريضه الجديد وذهبت هي حاملة غضبها معها لتلحق بد. نجيب الألفي حتى لحقته
= طيف :- دكتور نجيب دكتو ، دكتور نجيب لو سمحت
- د. نجيب :- نعم يا د. طيف
= أنا عاوزة أعالج الحالة الجديدة
استغرب نجيب من طلب طيف فهي معها عدة حالات وتبدي أداءًا لا بأس به بالنسبة لحداثتها..
- ليه ؟
= اشمعنا دكتور جاسم اللي هيعالجها ؟
- أفندم !!
= أنا أسفة يا دكتور نجيب مش قصدي، بس ليه حضرتك رشحته هو ؟

- لأن هو أكفأ طبيب عندي ياطيف
= طب وأنا ؟
- دكتور طيف أنتي دكتورة شاطرة جدًا رغم أنك صغيرة، لو قارنتي نفسك بناس ضيعت عمرها في العلم أكيد هتكون مقارنة غير متكافئة ..
= بس أنـا..
قاطعها د. نجيب-:
- أنتي معاكي حالات كويسة وملاحظ تحسنها في فترة صغيرة، أنا هعدي المرة ديه لأنك لسة جديدة، لكن ياريت تفرقي بين دكتور زميلك وبين مديرك، وياريت نلتزم بشغلنا وبس يادكتورة
= حاضر يا دكتور، أنا أسفة
لأول مرة تشعر أنها تحمل كرهًا تجاه د. جاسم حمدان، لا تعلم إن كانت هي المخطئة عندما قارنت نفسها به أم عندما لم تصفعه على وجهه حتى يُدمى ..
أقسمت بداخلها أنها ستنتقم منه ولو بعد حين ولو كلفها الأمر أن تضحي بنفسها ..
ذهب د. جاسم ليجلس مع حالته الجديدة، فاقترب من المريض ليرى ردة فعله، ازداد توتره وشبك أصابعه في بعض وزادت حركة عينه، فابتعد ثانيةً خشيةً غضبه ..
جرب جاسم أن يتحدث :- هل تسمح لي بالحديث معكَ ؟
ما إن تفوه بتلك الكلمات حتى ثار جنون المريض وظل يصرخ ويخبط رأسه في الجدران فأسرعوا الممرضين والممرضات في تهدئته وقاموا بربطه بالحبال حيث فقدوا السيطرة عليه فأعطوه مهدأ فغاص في سبات عميق ..
خافت طيف مما رأته فهي مازالت جديدة ولم ترى جميع الأعراض الخاصة بالأمراض النفسية بينما لم يتأثر جاسم فقد رأي الأصعب تكرارًا ومرارًا ..
نظر جاسم يمينًا فوجدها خائفة فضحك رغمًا عنه قائلاً باستهزاء :- وكنتِ تريدين معالجته ..
همَّ للرحيل لكنها قالت بصوتٍ عالٍ منفعل :- أقسم بالله لتندم
التفت لها جاسم بسرعة واقترب منها والغيظ يعلو وجهه :-
- أنتي قولتي إيه ؟
لم ترد طيف حيث شعرت لأول مرة أنها تخشاه وتخشى نبرة صوته
مد يده وضغط على ذراعها :- أقسم بالله لو اتكررت تاني لهمحيكي من على وش الأرض
اجتمعت الدموع في عينيها وكادت أن تسقط فضغط ع ذراعها بقوة أكثر ثم تركها وهو يتمتم في سره ..
قطعت طريقه درة فرأته غاضبًا فلم تتفوه بكلمة وسارت وراءه، صعد لمكتبه فقبل أن تدخل استأذنته فسمح لها، جلست ومازالت صامتة مدت يدها ولامست يده قائلةً :- أنا أسفة..
- د. جاسم :- على ماذا تعتذرين ؟
= لا أعلم لكنك غاضبًا فوجب عليّ الأعتذار لكوني أجهل سبب غضبك
لأول مرة يقع جاسم تحت تأثير كلمات أنثى، لكن رد فعلها كان يخطف القلب، فعندما رأته غاضبًا لم تتكلم بل جعلته يشعر بوجودها دون أن تتحدث، لم تقتحم خصوصيته عندما دخل غرفته بل استأذنت أولاً حتى سمح لها، وحتى عندما سُمح لها أثرت الصمت بل طمأنته فقط، كل هذا دون كلام ..
تأمل جاسم ملامح درة وكأنه يراها لأول مرة فتأمل تلك العينين الجذابتين تلك الملامح الهادئة البريئة

التي كان يغطيها المرض وما إن تلاشى حتى برزت ..
- شكرًا يا درة
= على ماذا ؟
- شكرًا وكفى
لم تَلْحُ درة لتعرف سبب غضبه بل اكتفت أنه صار بخير..
على الجانب الآخر كانت تبكي طيف بحرقة، فقررت ألا تخوض حربًا مباشرة ثانيةً، فجاسم من نوع العدو الذي يخشاه عدوه إن اقترب منه لكن إن جاء من خلفه فلا هناك وقت للخوف، لن تحاربه من أمامه ثانيةً ستعد خطة مدروسة وتفكر بعقل د. جاسم حمدان حتى تتغلب عليه ..
ذهب جاسم ليقرأ بيانات المريض الجديد فعلم من الأوراق المقدمة أنه يُدعى سليم عزام يبلغ من العمر ثلاثون عامًا، لم يصدق د. جاسم في بادئ الأمر فهيئته لا تعطيه أزيد من تسعة عشر عامًا، بالتأكيد هو الـ MDD كما قال د. نجيب الألفي ..
يعمل بمهنة التدريس بجامعة حلوان كلية الآداب قسم الجغرافيا، لقد كان من أوائل دفعته لذلك تم تعيينه فور تخرجه وحصل على درجة الماجستير في وقت سريع ولكنه لم يحصل على الدكتوراة بعد ..
أما عن حالته الإجتماعية فهو أعزب، توفى والده وهو في سن السابعة ويعيش مع أمه وأخيه الأصغر في إحدى أحياء منطقة حلوان، حيث انتقلت أخته للعيش مع زوجها في محافظة المنيا ..
كان ونعم الابن، حتى شهرًا واحدًا فقط فقد تبدلّت حالته للأسوء، لا يأكل ولا يشرب، يصرخ بلا سبب، أقالته الجامعة للتحقيق أولاً ثم رفدته ، حتى تم إقناعه بصعوبة أن يأتي إلى هنا فوافق على مضض ..
ذهب د. جاسم إليه ليجده نائمًا فانتظره حتى يستيقظ فهو يعلم أن مفعول الدواء سينتهي بعد قليل، ما إن فاق سليم حتى نظر لجاسم نظرات بائسة لا روح فيها فحاول جاسم أن يطمئنه بنظراته ولكن دون جدوى ..
حاول أن يتحدث معه لكنه كان صامتًا ..
مر اليوم الأول هكذا والثاني وأيضًا الثالث، لا يأكل بل يعيش على المحلول الأزرق الذي يتسرب إلى يده ..
اليوم الرابع لا جديد والخامس شعر جاسم باليأس يتسرب إليه فقد حاول محاولات عدة لكن سليم لا يستجيب لأي واحدة منهم ..
جاء اليوم السادس وكان اليوم المشهود بالنسبة لجاسم فقد حدثه سليم متسائلاً :- لِمَا أنا هنا ؟
ليرد جاسم بسرعة :- حتى تتعافى
فصرخ سليم قائلاً :- من لديه الحق أن يقرر أن ما بداخلي يحتاج للتعافي ؟
هدأ جاسم من روعه أولاً ثم أخبره أنه إذا لم يعترف بوجود المشكلة فلن يجد طريق الخلاص أبدًا..
لم يستجب سليم لكلامه المعسول وظل يصرخ ويخبط رأسه في الجدران مرة أخرى فلجأ جاسم ثانيةً للمهدئات حتى يغطو في سبات عميق ..
كانت طيف تراقب كل هذه التصرفات في صمت تام، فطوال الستة أيام الماضية لم يُسمع لها صوتًا، كانت طبيبة روتينية ..
تأتي في الصباح الباكر، تأخذ مشروبها المفضل، ثم تذهب إلى مكتبها لتتفقد التقارير، تمر على

مرضاها وتطمئن عليهم، توقع في ميعاد الانصراف ثم ترحل وهكذا ..
وكان جاسم مشغولاً عنها بمريضه الجديدة فلم تبدأ جولةً جديدة من حربهم ..
كانت درة تشتاق لجاسم لكنها تقدر عمله فلم تثقل عليه، تركته حتى جاء هو لها معتذرًا عن غيابه فتفهمت الأمر جيدًا دون أن تصرخ في وجهه، طلبت منه أن يعوضها عن ذلك الأسبوع فصعدا إلى منضدتهما وطلب لها مشروبها المعتاد وطلب لنفسه كوبًا من القهوة ..
= درة :- ناوي على إيه في اللي جاي يا جاسم ؟
- جاسم :- أتمنى مكنش بحسبها غلط المرة ديه
= هو أنا وحشة ؟
تفاجيء جاسم من سؤال درة لكنه لم يرد سؤالها بسؤال أخر بل أجابها:-

أنتي جميلة، وجودك فارق معايا جدًا الفترة ديه، مهون كتير، كتير أوي
استغلت درة أنها تسمع ذلك الكلام من جاسم فأسقطت دمعة من عينيها قائلةً في تمسكن :- أمال ليه حصل معايا كده، ليه كل حاجه بتمناها مش بلاقيها، ليه بابا مش بيسأل عني، همه شكله ومش همه بنته، أنا دايمًا بقدم لكل اللي حواليا لكن عمر ما حد قدملي، ده عمر ما حد قالي شكرًا حتى
قطع كلامها بأن سحب يدها بخفة وطبع قبلة عليها قائلاً :-

شكرًا على كل اللي بتعمليه معايا
لم تصدق درة ما حدث، ظلت تنظر إليه وتتأمل ملامحه ، هل دكتور جاسم حمدان ذاته هو من قبل يدها ؟؟؟ هل سيبتسم لها القدر ويهديها إياه، هل سيكون العوض جاسم ؟
رأتهما طيف فاشتدت الغيرة بداخلها فاقتحمت جلستهما قائلةً لجاسم : -
= بزمتك مش مكسوف من نفسك في دكتور يعمل اللي أنت بتعمله ده !! نسيت أن في ناس حواليك ؟
ثم نظرت لدرة نظرة احتقار قائلةً :-
وأنتي بقى المريضة اللي بتتعالج صح، والله العظيم ليه حق أبوكي يـ..
انهمرت الدموع من عين درة، فلم تكد تكمل جملتها حتى قام دكتور جاسم وسحبها من يدها أمام الجموع قائلاً بأعلى صوت يمتلكه :- تقريبًا أنتي اللي نسيتي نفسك ونسيتي أنك مجرد واحدة بتشتغل عندي، ده أخر إنذار ليكي ياطيف لو معرفتيش أنتي شغالة فين وعند مين أنا هخليكي تندمي أنك درستي الطب قبل كده، أنا مسمحش لواحدة زيك أنها تكلم خطيبتي كده
ثم اقترب من درة ومسح دموعها بيده وربت على كتفها وطبع قبلة أخرى على يدها ثم أخذها ورحل ..

لم تنطق طيف من صدمتها فهي اعتادت طريقة جاسم وتعجرفه لكنها لم تعتاد منه أن ينطق بما لن ينفذه، فهل كان قرار الخطوبة قد أُخذ مُسبقًا واتَّفق الطرفان على بنوده !!
أم أنه قرارًا للدفاع عن درة وهيئتها ..
تمنت أن تكون الأولى فهي لم تجد جاسم يتخذ قرارات مصيرية حفاظًا على غيره فإن كان كذلك فلا تريد أن تعرف ..
جلست طيف في غرفتها والدموع تنهمر من عينيها طوال الليل ومع كل دمعة تسقط تقسم أن حقها

سوف يُرد وأنها ستجعله يندم أشد الندم دون أن تبوح له بذلك ..
فهو الذي اقتحم حياتها منذ أول لقاء، هو من افتعل المشكلة، هو أيضًا من اختلق الحرب بينهما، هو الذي كذب عليها ولم يخبرها أنه المدير من البداية كأنه كان ينوي مواصلة الحرب، لم تكن هي سوى ردة فعل لأفعاله، هو الذي وضعها في تلك الخانة ..
هي التي عاشت طوال حياتها تدرس وتحصل على شهادات وتحضر مؤتمرات عالمية، عاشت مدللة لا يجرؤ أحد على رفض أوامرها، جاء ذلك المتعجرف دون موعد مسبق وغير ذلك كله، لم يكن يملك الحق لفعل ذلك لكنه فعل، لم يتركها حتى أن ترد إهانته، لا يرى سوى غروره، وتلك المخبولة الأخرى التي تشجعه فيما يفعله مع غيره ظنًا منها أنها ستفوز بقلبه ..
جاء الصبح وعين طيف تفصح عما أسقطته من دموع طيلة الليل، فارتدت نظارة شمسية وذهبت للمشفى وهناك علمت أن حازم يريد د. جاسم لكنه لم يصل بعد ..
استأذنت د. نجيب الألفي مدير المستشفى أن تدخل لحازم حتى يصل د. جاسم فوافق لأن حازم أبدى تحسنًا في الآونة الأخيرة وليس هناك خطرًا إن تحدثت معه طيف ..
ذهب جاسم إلى منزله بعدما سحب درة من يدها أمام طيف وأدعى أنها خطيبته وللحق هي لم تنطق بشيء بل أظهرت فرحتها من خلال نظراتها وقدّرت حالته فلم تتحدث معه حتى أوصلها غرفتها ورحل هو ..
أول شيء قام بفعله هو إلقاء الخط الذي كان يهدد به طيف من الشرفة فهو لا يريد أن يتعامل معها ثانيةً، وأقسم أنه لن يؤذي الممرض فطيف تستحق ما كان ينوي فعله معها ..
جلس هو الأخر في غرفته يفكر فيما صدر منه، لا يعلم ما الذي دفعه لقول ذلك ؟ هو الذي رفض الارتباط لسنوات عديدة، فعندما يحدث الأمر يحدث بتلك الطريقة ؟
أم أنه النصيب ! ولكن إن كان كذلك، فهل يصير كما حدث ! إنه لم يدرك حقيقة مشاعره تجاه درة، إنه غير متأكد إن كانت هناك مشاعر في الأساس أم لا ..
كل ما كان يفكر به هو إسكات طيف، منذ أن كان صغيرًا وتعلم أنه إذا جلست معه فتاة أصبحت تحت حمايته، فلا يصح أن تدفع جنيهًا، لا ينظر لها أحد، وإن ضايقها أحدهم بكلمة فكأنه وجهها له شخصيًا ..
وهذه ليست المرة الأولى التي تتعدى طيف فيها حدودها، تنسى أنها في مشفى وتتعامل وسط مرضى، فإن كانت تريد مضايقتي فما ذنب هذه المسكينة ؟
وجب عليّ الرد، إن لم أكن فعلت ذلك لدخلت درة في حالة لن أستطع أنا إخراجها منها ..
ربما أخطأت في الرد وتسرعت لكن تلك المستفزة هي السبب ، لن أنسى لك هذا يا طيف ..
عليَّ الآن أن أفكر فيما سأفعله، هل سألتزم بما خرج من فمي وأتقدم لخطبة درة !
بهذه السهولة ! هل هذه من ستصير زوجتي ! هل درة تصلح أن تكون أمًا لأولاد دكتور جاسم حمدان ؟
لن أقبل على أمر دون أن أدرسه جيدًا وأيضًا لن أعود في كلمة قد نطقتها حتى إن كانت بغير قصد ..

دخلت طيف غرفة حازم لتجده جالسًا في ركن الغرفة ويتأمل السقف، فجلست بجانبه ونظرت لما ينظر إليه قائلةً :-

- تتفقد ملامح زين أليس كذلك ؟

لم ينظر حازم لها، بل أومأ برأسه أي نعم

- هل لكَ أن تصفه لي ؟

شعر حازم بالسعادة لأنه سيشرح ملامح ذاك الملاك الذي يراه أمامه فقال :-

= أنه كالملاك، لا يصدر صوتًا كبقية الأطفال، بل يأكل إصبعه من شدة الجوع، عيناه لونهما رمادي، أنفه صغيرة لا تكاد تُرى، أما فمه فهو يشبهني تمامًا، يحرك يديه يمينًا ويسارًا، ينتظر أن أحمله ..

- طيف :- أي يشبهك!

لم يصدق حازم ما تفوهت به طيف فالتفت إليها وظل يتأمل ملامحها ، فمنذ أن دخل هنا ولم يتغزل به أحد كما فعلت، فهي استطاعت أن تدمج بين عشقه لمولوده وبين إرضاء غروره كرجل شرقي ..

فلا يوجد أجمل من زين حتى تشبهه به ..

مد حازم يده لطيف قائلاً :-

= حازم وأنتي ؟

سلمت عليه مرحبةً :-

- طيف ، دكتورة طيف

عادت ملامح حازم للإنكسار مرة أخرى

= دكتورة !، حتى أنتي دكتورة ..

- أنت مش بتحب الدكاترة ؟

= لا

- ليه ؟

= مأنقذوش زين

- ممكن تحكيلي أنت فقدته ازاي ؟

تجمعت الدموع في عين حازم ثم قال في إيمان شديد نابع من قلبه :-

= إنها مشيئة اللّه سبحانه وتعالى، رب الخير لا يأتي إلا بالخير ..

- ونعم بالله ، فعلا معاك حق كل حاجة بيكون ليها حكمة بنعرفها في وقتها

= لا

- لا إيه ؟

= لا مش لازم نعرفها، قرأتي سورة الكهف قبل كده صح؟

- أيوة الحمد للّه

= ربنا قالنا ٣ قصص مهمين جدًا حصلت بين سيدنا موسى -عليه السلام- و الخضر بس احنا مش

بناخد بالنا منهم كويس
أولهم :- السفينة
سيدنا موسى -عليه السلام- كان ماشي مع الخضر فشافوا سفينة في البحر فالخضر اقتلع لوحًا من ألواح السفينة، وقتها سيدنا موسى استغرب جدًا وأنكر الفعل ده وواجه الخضر
ثاني قصة :- الغلام
وهما ماشيين كان في مجموعة غلمان بيلعبوا فراح الخضر أخذ واحد منهم وقتله فسيدنا موسى مصدقش ! ازاي الخضر يعمل كده وربنا حرم قتل النفس وأنكر الفعل وواجه الخضر
ثالث قصة :- الجدار
سيدنا موسى والخضر دخلوا قرية وأهل القرية ديه رفضوا أنهم يأكلوهم أو يشربوهم ، فوهما ماشيين لقوا جدار كان على وشك أنه يقع، راح الخضر عدله فسيدنا موسى قاله مش كنت خدت فلوس مقابل إقامته وأكلنا بيها ؟ وبرده أنكر الفعل ..
قاطعته طيف بعدما شعرت بالحس الديني الذي يملأ قلب حازم :-
- بس ده محصلش بدون حكمة، في نفس السورة ربنا قالنا أن كان في ملك ظالم يأخذ كل سفينة سليمة فالخضر عمل كده عشان الملك يسيبهم، والغلام كان جاحد بربنا -سبحانه وتعالى- وكان هيرهق أهله المؤمنين، أما بقى الجدار فكان تحته كنز وأصحابه لسة صغيرين فحكمة ربنا أنهم كانوا يكبروا الأول عشان يعرفوا ياخدوا كنزهم..
= ديه حقيقة، بس مش هو ده اللي قصدته يادكتورة طيف، اللي أقصده هل الناس ديه عرفت الحكمة وقتها ولا ولا ؟
يعني اللي كانوا في السفينة أدركوا أن الملك سابهم عشان ربنا بعتلهم حد يسببلهم أن الملك يسيبهم ولا انشغلوا في إصلاحها وخلاص .. !
هل الوالدين إيمانهم بربنا كان كفاية أن يخليهم يتخطوا اللي حصل ؟ خاصة أن ربنا قال خشينا أن يرهقهما يعني هو مأرهقهمش بالفعل هو كاد أن، في المستقبل ..
الأطفال لما كبروا افتكروا قصة الجدار ولا اهتموا بالكنز وبس .. !!
أوقات كتير بتكون الحكمة ادامنا بس مش بنكون عارفين أنها الحكمة ..
- ماشاء الله يا حازم، شايفة أنك اتطورت جدًا وإيمانك بقى أقوى
= الفضل يرجع لدكتور جاسم
- هو دكتور جاسم اللي قالك كده ؟
= أيوة
- دكتور جاسم حمدان اللي قالك الحكمة اللي في سورة الكهف !!
= أيوة يادكتورة
- سبحـاااااااااانه
خرجت طيف من حجرة حازم وهي تضرب كفًا على كف فهل جاسم الذي تعرفه هو الذي أخبر حازم بهذا الكلام !!
وهي تحدث نفسها وجدت جاسم أمامها ، فاقترب منها متسائلاً :-
- هو أنتي كنتي بتعملي إيه هنا ؟

= كنت عند حازم
ارتفعت نبرة د. جاسم :-
- بتعملي إيه عند حازم يا طييف!!
= عرفت أنه كان محتاجك وأنت مجتش
- وأنتي مالك ؟
نظرت له نظرةً تحقيقية قائلةً : -
= هو أنت ليه مقولتليش أنك مدير مع د. نجيب ؟
ضحك جاسم بسخرية ثم قال :-

- للمرة الألف ياطيف تتخطين حدودك
= أنا أسفة يادكتور جاسم، بس من معرفتي بيك عارفة أنك مش بتعمل حاجة بدون هدف، فهل معنى أنك قولتلي أنك المدير أنك تخليت عن هدفك اللي خلاك تخبي ؟
لم يُستفز جاسم من كلام طيف فرد بهدوء :-

- ليس لكِ شأنًا ..
رحل ثم عاد ثانيةً وهمس لها :-

- بصفتي مديرك أخبرك ألا تقتربي من مرضاي يا طيف
ذهب لصديقه نجيب وجلس على الكرسي وأول ما تلاقت عينه بعين نجيب قال :-
- لقد أوقعت نفسي في ورطة
= ماذا حدث ؟
قصَّ جاسم ما حدث بالأمس على نجيب ، فثار جنونه وظل يسب طيف ويقسم أنها حصلت على شهادتها بالمحسوبية حتى وإن أظهرت كفائتها في علاج بعض الحالات في المشفى ثم أخبر جاسم بأنه سيرسلها تنتدب في إحدى المستشفيات الأخرى عقابًا عما فعلته ..
- ليس الآن يا نجيب، ستظن أنني من فعلت ذلك
= كما تريد يا جاسم
ثم سأله : ماذا تنوي فعله تجاه درة ؟
- لا أعلم ، فلا ذنب لها بما حدث، ولا ذنب لها بما تفوهت أنا ..
= هل ستقوم بخطبتها ؟
- لا أريد يا نجيب لكن ربما ..
هدأ جاسم قليلاً بعدما تحدث مع صديقه نجيب وقام ليرى سليم ويطمئن عليه ..
دخل فوجده على حالته الأولى لا يتكلم ويرفض الطعام والشراب ينظر إلى اللاشيء ..
- د. جاسم :- كيف حالك اليوم ؟
لم يرد سليم ..
- د. جاسم :- لِمَا لا تأكل، ألم يعجبك الطعام ؟
لم يرد أيضًا..

اقترب منه جاسم وأخبره إذا كان هناك شيء يضايقه فعليه أن يخبره وسوف يقوم بإيقافه على الفور ..
فشاور سليم على نفسه ..
- د. جاسم :- عفوًا !!
شاور على نفسه مرةً أخرى ثم قال :-
= هذا ما يضايقني، أرجوك خلصني منه، الآن
- حسنًا سأفعل لكَ كل ما تريد، فقط أهدأ
= قلت لكَ الآن
وقف جاسم أمام سليم ليستعد لأي حركة سريعة قائلاً :-
- سأفعل، ولكن أهدأ، هلا أخبرتني بماذا يضايقك تحديدًا !
= بأنه مازال متمسكًا بالحياة
- لربما لديه هدف لم يصل إليه بعد !
= لا مزيد من الأهداف، ولا الحياة
- ولكن..
قاطعه سليم قائلاً :-
= ألم تقل أنك ستفعل، خلصني منه الآن
بينما يتحدث هو ود. جاسم فإذا بسليم يقْم مُسرعًا ويضرب الباب بكتفه ويصعد جريًا للكافتيريا في الدور السابع ويضع قدمه اليمنى على السور المطل على نهر النيل وسط صرخات كل من حوله ..

جرى جاسم مسرعًا وراءه ليلحق به لكن الأخر كان سريعًا بالقدر الكافي، فحينما وصل وجد سليم واقفًا أمام سور الكافتيريا يتأمل نهر النيل، فحاول أن يقترب منه ببطء لكن الأخر وضع قدمه اليمنى على السور وهمَّ ليقف عليه ..
ارتفع الأدرنالين لدى جاسم ولدى جميع المحيطين الذي يصرخون فصرخ جاسم فيهم ليصمتوا، أطلق زفيرًا ثم تنهد وقال لسليم في هدوء، سليم .. سليم ، لم نكمل حديثنا بعد .. سليم
ولكن سليم لا يستجب ولا يلتفت، حاول أن يقترب جاسم منه لكنه يخشى ردة فعله فنادى عليه ثانيةً، سليم .. سليم ماذا تريد وسأجلبه لكَ حالاً ..
ليست هناك أي إجابة من الطرف الأخر ..
شاور جاسم لإحدى الممرضات أن تتصل بفريق الإنقاذ إن كان بإمكانهم إيجاد حل للموقف ..
رفع سليم قدمه اليسرى عن السور وأخرجها فارتعش جسد جاسم وتمنى من اللّه ألا يحدث ما توقعه ..
أعاد سليم قدمه مرةً أخرى فتنفس جاسم ثم رفع الأول رأسه إلى السماء وظل يتأملها ورفع يديه الإثنين وأغمض عينه ومال بجسده قليلاً خارج السور ..
علم جاسم أنها النهاية، فكثيرًا ما رأى هذا المشهد في أفلام عديدة وأيضًا قرأه في كتب علم النفس عن الأشخاص المقبلين على الانتحار وينتهي بجسد مُلقى على الأرض قد فارقته الروح وصعدت

لخالقها ..
أغمض جاسم عينه وأعطى سليم ظهره وقبل أن يضع يده على أذنه، سمع صوت طيف وهي تصرخ :- سليم !! ماذا تفعل ؟؟؟؟؟
التفت الجميع لصوتها حتى سليم نفسه، تلاقت أعينهما والصمت هو سيد الموقف ..
فجأة نزل سليم من السور واتجه لطيف كالمسحور حتى وقف أمامها ..
كان جاسم يتأمل الموقف دون أن يتفوه بحرف بينما قاموا الممرضين بالوقوف أمام السور خشية أن يعاود سليم ما فعله وقاموا بإحاطته لكنه لا يبالي بل ينظر لطيف ..
ثم رفع يده وصفع وجه طيف صفعةً سمع صددها كل من بالمشفى ..
حينها أمسك فريق التمريض بسليم وأعطوه مخدرًا فما هي إلا ثوانٍ وغاص في سبات عميق ..
أحمر وجه طيف وظلت تبكي بحرقة فهذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها للضرب ! نظر جاسم لها فوجد أصابع سليم مازالت مطبوعة على وجهها مع دموع منهمرة من عينيها كأن فرعًا جديدًا من فروع النيل قد أستحدث، فشعر لها بالحرج وأعتذر منها بشدة أمام الجميع الذي كان من بينهم درة ..
كانت درة تنوي أن ترفع صوتها وتصرخ في وجه طيف وتترك بصماتها في الخد الأخر لكنها ليست بهذا الغباء، فهي تعلم أنها إن همَّت لفعل ذلك لألقاها جاسم مكان سليم فالتزمت الصمت، ستتحدث حينما تحين لها الفرصة ..
أخذ جاسم طيف والذي لم يكن ينتبه لوجود درة ونزلا سويًا، أدخلها غرفتها وطلب لها كوبًا من الليمون وظل يتوسل إليها حتى تهدأ وتكف عن البكاء لكنها تستزيد ..
- د. جاسم :- أنا أسف يا طيف، أنتي عارفة هو مش واعي، أهدي طيب، أنا أسف
لم تنتبه طيف حتى للأسف الذي لم تعتده من جاسم فاستمرت في البكاء ..
- طب ممكن تهدي عشان خاطري
جاء الليمون فأمسكه بيده ووضعه أمامها
- طب أشربي طيب
مدت طيف يدها وارتشفت منه ..
- طب ما أنتي شطورة أهوه وشربتيه بسرعة وهو ساقع
لم تمنع طيف نفسها من الابتسامة فردت بوهن :-
= شكرًا يا دكتور جاسم
- أنا بجد أسف يا طيف على اللي حصل، بس أنتي عارفة
= أنا عمر ما حد ضربني
- أنا أسف
= أنا مقدرة الموقف ومقدرة جدًا اللي حضرتك عملته معايا، أنا بقيت كويسة، بس بصفتك مديري بقى ممكن أروح
ضحك جاسم ثم قال لها :-
- طبعا اتفضلي، ولو مش عاوزة تيجي بكره مفيش مشكلة ..
كانت درة تتابع الموقف من فتحة الباب الذي لم يهتم جاسم بإغلاقه والنيران تشتعل بداخلها ..

خرج جاسم ودخل غرفته والأفكار تتصارع في ذهنه، فلم تكن المرة الأولى التي يفكر فيها مريض الـ MDD في الانتحار لكنه خطأ جاسم منذ البداية لأنه لم يتعامل مع سليم بحرص شديد ولم يتأهب لأي محاولة انتحار، لأول مرة في حياته يتأثر عمله بمشاكله الشخصية، فقد تعرض لكثير من الضغوطات والمشاكل ولم يحدث مرة أن تختلط الأمور ببعضها ..
لربما لأن الأمر هذه المرة يرتبط بمصيره، فقد تعلم أن الرجل إذا تفوه بكلمة عليه أن ينفذها وإن لم يفعل فلا يستحق لقب رجل، فإن لم يكن يعي معنى الكلمات التي تخرج من فهمه فعليه أن يعيد مفاهيمه مرة أخرى، هذا ما تربى عليه وهذا هو مبدأه في الحياة الذي لن يغيره ..
أيًا يكن فقد حدث وقال على درة خطيبته ولابد أن يلتزم بهذه الكلمة خاصةً أن درة لم تفاتحه في الموضوع منذ وقتها ولم تتطفل على مقابلته، هو يعلم أنها تفهم شخصيته جيدًا وتجيد التعامل معها لكن هذا ليس كافيًا للزواج !!
لم يهرب يومًا لكنه يفعل اليوم مع درة ولا يعلم لمتى ..
ما حدث اليوم ليس بالهين خصوصًا أن د نجيب الألفي لم ولن يتحدث معه، سيتركه لذاته ..
انتقل بفكره لطيف فهذه هي المرة الأولى التي يشعر بها بالذنب تجاهها، حتى الآن لا يستطيع تصنيف طيف في حياته، طبيبة حديثة متفوقة تعمل في المشفى، بدأ الأمر بعراك صغير أو حرب مفتعلة كما يسميها نجيب ثم أخذ العناد حيزًا لا بأس به بيننا، تريد أن تثبت أنني على خطأ بالرغم من أن لديها العديد من الفرص لتثبت أنها على صواب لكنها لا تركز إلا على أخطائي فتتخطى إنجازاتها ..
لا أنكر أنني كنت استمتع بمضايقتها لكنني اليوم أشفقت لما حدث لها ..
ليس لها ذنبًا فأنا المخطئ وأعترف بذلك وأعتقد أنها المرة الأولي التي أعتذر فيها لطيف أو لسيدة في العموم ..
لابد أن أتخذ قرارًا فيما سأقبل عليه، لابد أن اتقرب من سليم في أقصى سرعة حتى أعلم ما السبب فيما وصل له، لِمَا يريد إنهاء حياته ، ولِمَا صفع طيف !! ما السر وراء ألا ينصت إلا لصوتها !
أعلم أن الأمر ليس له علاقة بها شخصيًا لكنها ربما ذكرته بفتاة قد أبذل جهدًا حتى ينساها ..
خرج من غرفته فوجد درة أمامه تحتسي كوبًا من القهوة فسألها عن تواجدها هنا ؟
فقامت درة باستغلال ذكائها، فهي ليست مراهقة عندما تجد حبيبها يغازل أخرى تصرخ في وجهه وتنهال عليه ضربًا ثم تقوم بعمل بلوك من جميع وسائل التواصل الاجتماعي كما أوصتها الإعلامية رضوى الشربيني ..
ردت درة :-

=قلقت عليكَ، لقد رأيت ما حدث مع سليم، شعرت أنك ستشعر بالذنب فوددت أن أكون بجانبك وإن كنت سأنتظرك من وراء الباب ..
- شكرًا يا درة، لا تقلقي أنا بخير
= لكنني فخورة بكَ
- لماذا ؟
= لما فعلته مع طيف
- لا أفهم ؟

= لقد تصرفت كما يجب أن يتصرف د. جاسم حمدان، فأنت تعلم ما كانت تشعر هي به، لقد تسبب لها سليم بالحرج وكان على دكتور جاسم أن يصلح الموقف وأصلحه كما يجب أن يكون ..
لم يستطع جاسم أن يمنع فرحته من الظهور، فدائمًا ما تفوز درة بكسب غروره لكنه شعر أن الغيرة تعلن حضورها أيضًا، لو لم يكن تفوه بما قاله أمام طيف لحاسبها على هذه الغيرة حتى إن لم تظهرها له لكنه هو من أعطاها ذلك الحق فعليه أن يتحمل ما فعل ..
وجه نظره إلى اللاشيء ثم تأمل ملامحها جيدًا، حاول أن يبتسم لكنه فشل ..
نظر جاسم لدرة وتمنى لو كان بإمكانه قول شيء أخر لكنه قال بأسف شديد :- تحبي تنزلي تختاري شبكتك امتى ؟؟

لم تصدق درة ما سمعته فلم تسأل عن مدى صحته حتى لا يغير جاسم كلامه، فابتسمت خجلاً وقالت له:- اللي تشوفه ديه هديتك ليا، أقل حاجة هتكون مفرحاني ..
ابتسم جاسم رغم الألم بداخله فهو سيخطو خطوة هو مجبر عليها، لأول مرة يُجبر جاسم حمدان على شيء خصوصًا إن كان سيلازمه طوال حياته ..
كانت طيف تجلس في غرفتها وما حدث بالأمس مازال يدور في ذهنها، ناهيك عن أنها لأول مرة تتعرض للضرب خاصةً من رجل مريض ! لكن ما يشغل بالها هو أهم بكثير، فجاسم ونجيب عندما رآوه لأول مرة شخصوه على أنه مريضMDD ، لا أنكر أنه كانت هناك أعراض واضحة تدل على ذلك لكنني حينها أخذني الكبر ورفضت أن أنساق وراء تشخيصهم وبالأخص تشخيص د. جاسم لكن بعدما حدث فتأكدت أنهم كانا على حق ..
فتحت اللاب توب الخاص بي وقررت أن أبحث أكثر عن ذلك المرض وعن أسبابه ومدى خطورته على المريض وعلى المحيطين به وكيفية علاجه بطريقة صحيحة ..
كتبت في مستطيل البحث مرض الـ MDD فظهرت لي العديد من النتائج اختارت أولهم ..
بعد قضاء أربع ساعات كاملين في البحث والتقصى خرجت بنتيجة مرضية وهي أن :- مرض الاضطراب الاكتئابي الحاد أو الاكتئاب بصفة عامة والمعروف باسم
Major depressive disorder واختصاره MDD وهو الأكثر شيوعًا بين الأمراض النفسية والتي ربما أنت تعاني منه ولا تشعر ..
من أشهر أعراضه هو سوء الحالة النفسية والأرق والشعور بالقلق أو الذنب تجاه شيء في الماضي، أيضًا من أعراضه فقدان الوزن بصورة واضحة في فترة قصيرة، يفقد صاحبه اللذة التي كان يشعر بها حيال الأشياء التي يحبها ..
الصمت والجلوس وحيدًا لفترة طويلة، تجنب الأشخاص والمحيطين ..
تعد أيضًا الشكاوي الجسدية دون سبب طبي واضح من أشهر أعراض مرض الاكتئاب ومن أخطر أعراضه هي رغبة المريض في إنهاء حياته وتفكيره الدائم في الموت والانتحار ..
وهذا بالضبط ما حدث مع سليم، لقد كان يتحدث مع دكتور جاسم وفجأة وجدناه أعلى سور الكافتيريا ويريد الانتحار حتى جئت أنا ونال وجهي نصيبه من الصفعة ..
هناك أشياء عديدة تسبب الاكتئاب منها :- فقدان أو موت شخص عزيز أو التعرض لصدمة عاطفية أو أي صدمة عمومًا أو المشكلات الصحية خصوصًا عند البنات وأيضًا الشعور بالوحدة ناهيك عن التدخين ..

أعتقد أن سليم مر بالسبب الثاني وهو صدمة عاطفية لأنه لابد أنه عندما رآني تذكر حبيبته التي تركته فصفعني بدلاً منها ..
لأول مرة اعترف أن د. نجيب الألفي لم يخطيء عندما أختار د. جاسم ليعالج هذه الحالة، لكن هذا الاعتراف لن ينسيني قسمي بأن أرد اعتباري الذي سلبه مني ذلك المتعجرف المتفوق في عمله ..
في جانب آخر كان يتسامر جاسم مع نجيب ويخبره أنه سيتقدم لخطبة درة في غضون أيام ..
= د . نجيب :- جاسم أنت ممكن تعتذر والموضوع ينتهي وخلاص
- د. جاسم :- أعتذر عن إيه بالظبط ؟ عن أني قولت أنها خطيبتي ! خلاص كده الموضوع هيخلص بالنسبالك !
= أمال تروح تخطب واحدة مبتحبهاش
- درة بتحبني يا نجيب
= مبتحبهاش
- بس هي بتحبني وهي الوحيدة اللي هتستحملني وتستحمل طبعي، أنا شايف أنها بتعرف تتعامل معايا بأنسب طريقة
= طب وطيف ؟
- مالها ؟
= هو أنت مكنتش بتحبها يا جاسم ؟
- لا
= أمال اللي كان..
قطع جاسم كلام نجيب قائلاً :-
-مقدرش حتى أقولك كان اعجاب لأنه كان زمانه اتحول لحب، هو يمكن كانت مغامرة، حياتي روتينية أنت عارف، لقيت واحدة عنيدة بتتحداني فقولت مفيش مانع نغير الروتين شوية ..
= كداب ياجاسم، اللي يخطب بنت غصب عنه عشان قال كلمة مش هيفكر كده في طيف، أنت بتقول كده عشان تريح ضميرك
- جايز، بس على الأقل خليني أقوله وأصدقه
= راجع نفسك تاني ياجاسم، الموضوع ممكن ينتهي بشكل أبسط من ده
- ها بقى قولتلي هتلبس إيه في خطوبة صاحب عمرك ؟
= هو أنت هتطلبها من مين يا جاسم ؟ مش والدها مسألش عنها من ساعة ما جت، مجرد بيبعت فلوس وخلاص !
نظر جاسم لنجيب وكأنه لفت نظره لشيء لم يكن في حسبانه فأكمل نجيب حديثه :-
= إيه مفكرتش فيها صح ؟ مش بقولك أنت مجبر ياجاسم ومش عارف بتعمل إيه، اتفضل قولي هتطلب إيديها من مين ؟
- من والدها، هوصله من خلالها وهو هيوافق ..
ترك جاسم د. نجيب وهو يشعر بالذنب تجاه نفسه لكنه لن يغير ما تربى عليه حتى لو كان القرار مصيريًا فأتجه إلى غرفة حازم ليطمئن عليه ..

وجده عاد لحالته القديمة حيث تجاهله جاسم الفترة الأخيرة وكان معتمدًا على الأدوية فقط فكان يجلس بجوار إحدى الجدران يتحدث مع اللاشيء وهو يبكي وما إن رأي د. جاسم حتى صرخ بهستيريا وظل يطرق على الجدار ويقول لجاسم :-

= أخرجني، أخرجني أريد أن أراه، أخرجني

اقترب منه جاسم وربت على كتفه حتى يهدأ قائلاً: -

- سأفعل لك ما تريده، فقد أهدأ

نظر حازم إليه قائلاً :- كل ما أريد

- نعم ولكن إن هدأت

فنظر حازم للأسفل في قلة حيلة ومسح دموعه ثم رفع رأسه ثانيةً قائلاً :-

= أريد أن أخرج من هنا

- عندما تصير بخير

= قلت لي أنني أتعافى بشكل ملحوظ في أخر مرة

- لكنك اليوم لم تكن

= أرجوك كن رحيمًا، أريد أن أفعل ما قلته أخرج لأنجب غيره من زوجتي

- أقسم لكَ سأفعل ذلك عندما تتحسن

= كيف أثبت لكَ أنني تحسنت ؟

- ألا تفعل ما كنت تفعله منذ قليل

= أعدك أن أحاول

- ماذا قالت لكَ طيف في المرة السابقة ؟

= دكتورة طيف أليس كذلك ؟

- نعم

= تشبه اسمها

- ماذا تقصد ؟

= أنها كالطيف، تظن أنها كالخيال لا تعيش في عالمنا، لكن ما إن تقترب منك فتشعر بروحها حتى ذلك الأثر المتبقي من رحيلها

شعر جاسم بالغضب تجاه كلمات حازم فحدثه بحزم :-

- لا تقلق ستصبح بالنسبة لكَ خيالاً بعد الآن فلن تراها ثانيةً، أتمنى أن تفي بوعدك حتى تخرج لزينة ..

ذهب جاسم لمنزله وأول ما فعله أن هاتف طيف فردت الأخيرة : -

= السلام عليكم، من معي ؟

- وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته، أنا جاسم، دكتور جاسم ..

= أهلاً دكتور جاسم، ولكن من أين أتيت برقمي

تلعثمت كلمات جاسم فهو أتى به عندما أراد تهديدها ولكنه رتب أفكاره سريعًا وقال لها: - بالطبع من سجلات المشفى ياطيف ، لا تنسي أنني مديرك ..
ضحكت طيف رغمًا عنها قائلةً :-

= لا لم أنسى قط، ولم أنسى أيضًا أنك لم تخبرني، هل لي أن أعرف السبب ؟
غيّر جاسم مجرى الحديث قائلاً :-

- كيف حالك اليوم ؟
= فهمت أنك لا تريد الجواب حسنًا كما تشاء، أنا بخير
- أريد منك أمرًا ولكَ أن تعتبرينه طلبًا لا بأس لي بذلك ..
= ما هو ؟
- لا تتحدثي مع حازم مرة أخرى
= لماذا ؟
- لأنني أريد ذلك
= عفوًا ؟
كما سمعتي يا طيف، حمدًا لله أنكِ بخير، عندما تريدين العودة لمباشرة عملك سأكون في استقبالك، إلى اللقاء ..
شعرت طيف بالغيظ وتمنت أنه لو كان لم يتصل منذ البداية، كأنه يتوسل إليها حتى ترد إليه أفعاله أضعافًا ..
وصل جاسم المشفى في اليوم المقبل ووجد درة فأخبرها أنه يريد الحديث معها فوافقت على الفور وصعدا إلى منضدتهما ..
بدأ جاسم حديثه في حزم وصرامة كأنه يتقدم لتأدية خدمته العسكرية :-
- درة الفترة اللي فاتت كلها بلغتيني أنك مش حابة تتكلمي عن شخصية والدك الحقيقة أو تعرفي حد هو مين وأنا احترمت رغبتك بس
قاطعته درة بابتسامة حزينة قائلة :-

= بس عاوز تتأكد من الناس اللي هتناسبهم صح
شعر جاسم أنه جعلها تشعر بالإهانة تجاه سؤاله فأنقذ الموقف على الفور :-

= لا لا خالص يادرة، أنا بس كنت عاوزة أطلب إيديك منه
لم تصدق درة ما سمعته لثاني مرة فأخبرته على الفور باسم والدها وهو أمين السيد فتحي وأعطته أيضًا رقم هاتفه القديم وأخبرتها أنها لا تعلم إن قام بتغييره أم لا، فأخذه منها وسجله على هاتفه ونوى أن يهاتفه في المساء ..
فجأة دوت صرخات المكان بأكمله وصعد ممرض يخبر د. جاسم أنه سليم، فجرى إليه جاسم بسرعة تاركًا درة، دخل غرفته فوجدته مكبلاً الأيدي يصرخ بشدة فحاول أن يهدأه جاسم ولكن كل محاولاته باءت بالفشل فسأله عما يريد فتكلم سليم في غضب :-
= أنا في المكان الخطأ، هي من يجب أن تصبح هنا

- من تقصد ؟
= مَن فعلت كل ذلك بي وبها
- من هي ؟
= إنها الملعونة

لم يقل سليم أكثر من ذلك وتحولت حالته من الصراخ العالي إلى الهدوء المستمر والشرود ..
ذهب جاسم لغرفته ونسي أمر درة الجالسة بالأعلى أو بالأدق تناساها ثم أمسك بهاتفه ونظر إلى شاشته يتأمل رقم هاتف والدها ..
يريد أن يضغط بإصبعه على زر الاتصال لكنه لا يجرؤ ..
أتى برقم طيف وظل ينظر إليه ولا يعلم سبب ما يفعله، فقط ينظر إليه كأنه يتأمل كل رقم فيه على حدة ..
سأل نفسه هل هو متأكد من الارتباط بدرة ؟ لا ينكر أنها فتاة حسنة المظهر ممشوقة القوام، تعرضت لصدمة كبرى حتى أتيت أنا وفرضت نفسي على حياتها لتستوعب حقيقة مرضها حتى تعافت منه بشكل ملحوظ في فترة قياسية، تجيد التعامل معي ولا أحد يستطيع إنكار ذلك، تعي جيدًا الأوقات التي يجب عليها التحدث ومتى يلزم عليها الصمت، دائمًا ما تتصرف بحكمة، أكره الغيرة والتحكم ولم أرى منها شبيه لذلك، تخلت عن أهم صفات المرأة المصرية الأصيلة وهي النكد، وأهم من هذا كله أنها تقدر جيدًا مجهوداتي الشخصية والمهنية ..
أشعر أن تلك الصفات مثالية جدًا لشخص يرغب في الزواج والاستقرار لكن ليست لدكتور جاسم حمدان، فأنا عشت عمري كاملاً أبحث عن تلك التي ستخطفني بلا مجهود ! كنت أنتظر أن أشعر بشيء في داخلي يحثني أنها هي ..
للحق لم أشعر بذلك مع درة ..
حينها تذكرت جملة قالها سيجموند فرويد وهي :-
"إنه لتدريب جيد أن يكون المرء صادقًا تمامًا مع نفسه.. "
لكن عذرًا يا فرويد فربما يتربى المرء على تقاليد لا يستطع الإفلات منها، فأول شيء تعلمته أن الرجل إذا نطق كلمة وتراجع فيها عليه أن يعيد مفاهيمه عن كلمة رجل ثانية ..
قد أكون قاسيًا بعض الشيء حتى على نفسي لكنها الأصول ياعزيزي ..
سمع طرقات على الباب فأذن للطارق بالدخول فإذا بها درة تصطنع الفخر به : -

= تعرف يا جاسم قصدي يا دكتور جاسم أنا كل يوم بفتخر بيك أكتر، عارفة أنها حاجة بسيطة بالنسبالك أن الضجة اللي كان عاملها سليم تقدر تحلها بسهولة بس مبسوطة بس برده فخورة بيك أوي
- جاسم، قولي جاسم يا درة
= بصراحة بحب أقول دكتور جاسم، بحس بفخر أكتر
لأول مرة لم يحب جاسم محاولات درة لإرضاء غروره، فبدأ يشعر أنها تبذل جهدًا لإثبات ذلك لكنه ابتسم ..
أستأذن جاسم من درة ليطمئن على حالة حازم فطالما تابعه أصبح بخير لكن إن أهمله يعود لحالته

تدريجيًا ..
أطرق الباب ثلاث طرقات فسمح له حازم بالدخول وإذا به يمسك مصحفًا في يده ويتلو منه فابتسم جاسم تلقائيًا لهذا المشهد الرائع وسأل حازم عن حاله ؟
= حازم :- أريد أن أصبح بخير حتى أخرج من هنا ..
- جيد جدًا، أنها لمحاولة رائعة، وأنا هنا لأساعدك ..
= أريد أن أشكرك وأعتذر لكَ
- على ماذا ؟
= أعتذر لكَ عندما كنت أكابر في مرضي، عندما أعتقدت أن المرض النفسي يقود للجنون، عندما ظننت أنني صرت مجنونًا بمجيئي لهنا، أود أن أشكرك على حسن تصرفك معي وعلى الحكمة التي استخدمتها معي، أريد أن أنجب ولدًا ليصير مثلك ..
-شكرًا يا حازم، في البداية لم تكن تعي معنى أن يعترف المريض بداءه فهي أولى خطوات العلاج، ليس منا من هو سوي نفسي، جميعنا تعرض لصدمات وتراكمات عدة، منا من عاصر الخيانة وأخر الكذب وأخر الفراق، جميعهم يلتقون عند نقطة الصدمة، إن تخلصت منها بطريقة صحيحة سيصبح الفرق واضح ، لن تُعافى تمامًا لكنك ستخطو خطوةً كبيرة تجاه الأفضل، ستشعر بقليل من الاضطراب إذا ذُكر الموضوع أمامك لكنك كنت ستتعرض للانهيار إن لم تتخطى صدمته ..
= أحاول أن أكون على قدر من الحكمة، فأنا اشتاقت لزينة وأريد أن أرى طفلي منها ..
- إذا صرت هكذا الفترة المقبلة سيكون في أقرب وقت إن شاء الله
= هل لي بسؤال ؟
- حسنًا
= لِمَا لم ترتبط حتى الآن ؟ هل العيش بمفردك ليس قاسيًا !!
- بلى، أعيش مع ذاتي وليس وحيدًا
= عفوًا
- أراكَ بخير في أقرب وقت يا حازم، إلى اللقاء ..
ودعه جاسم دون أن يجب على سؤاله، خشي أن تكون إشارة من اللّه ! أو ربما علامةً ليعيد حساباته، هل درة ستشغل الفراغ أم تزيده ثقًلا !!
اصطدم بطيف في وجهه فسلم عليها ودعاها إلى مكتبه فصعدت معه وطلب لهما قهوة ..
- جاسم :- عاملة إيه دلوقتي ؟
= قصدك عشان القلم يعني ! لا متقلقش أثر إيده راح بس الأثر النفسي لسة
- هو ينفع دكتورة نفسية تقول كده برده ؟
= هو عيب لما الدكتور النفسي يعاني من مرض نفسي !!
- أنتي شكلك مؤمنة بمثل باب النجار مخلع
= هو أنت عمرك ما تعبت نفسيًا !
- أكيد، بس متعرضتش لمرض نفسي
= مين قالك ؟

- أنتي ناسية أنا شغال إيه ولا إيه يادكتورة طيف ؟
= أصل أحنا في الكلية قالولنا أن المريض النفسي مش بيكون عارف أنه مريض، هو أنت محضرتش المحاضرة ديه ؟
نجحت طيف في استفزازه لكنه لن يجعلها تنْل ذلك الشعور فرد ببرود :-
- يمكن أنتي مقتنعة بالكلام ده عشان عانيتي من مرض نفسي قبل كده !
= حتى لو ! إيه المشكلة ؟
- مفيش أي مشكلة، أنا موجود في أي وقت وأقدر أساعدك ومجانًا كمان ..
نظرت طيف على يمين يده فوجدت كتابًا كُتب على غلافه Man's Search for Meaning فسألته :-
= فيكتور فرانكل، مش كده ؟
- أيوة، قرأتيه ؟
= من زمان جدًا، إيه رأيك فيه لحد دلوقتي ؟
- لطيف
= بس ؟
- فكرته لطيفة، محدش يقدر ينكر تأثير الحرب النازية سواء المادي أو المعنوي خصوصًا على اللي كانوا في المعسكرات وقتها، فهو بينقل التجربة بشكل لطيف ..
= تعرف أن فرانكل بيفكرني بيك
- ازاي ؟
= زي أنه كان بيرفض تجنب المعاناة وشايف أننا لازم نختار طريقة نتعامل معاها بيها، زيك كده
- زيي ؟
= أيوة، مش أنت برده بتفضل تقول للمرضى أنهم مرضى ؟
- ديه حقيقة
= طب ممكن أعرف رأي حضرتك في مرض سليم ؟
- اكتئاب
= أها عارفة، خدتها في المحاضرة اللي بعد محاضرة إنكار المرض، أقصد قدرت تربط اللي عمله معايا بحاجة ملموسة ؟
- أخر حاجة قالهالي أنه شايف أنه مش في مكانه الصح، وأن هي اللي المفروض تكون هنا
= هي مين ؟
- مش عارف، هو بيقول عليها الملعونة!
= ملعونة !! تفتكر حاجة ليها علاقة بالسحر ؟؟
ضحك جاسم بشدة ثم نظر لطيف وأوقف ضحكته وقال بلجهة بها استهزاء :-
- لا طبعا سحر إيه ! شكلك مكنتيش بتحضري كل المحاضرات، هو تقريبًا أتعرض لصدمة كبيرة بسبب واحدة ولما شافك عقله أوهمه أنها أنتي فعمل كده، يمكن أنتي شبهها ! أو صوتك قريب منها، يمكن اسمك، أنا متأكد أن ليكي علاقة لأنه قابل سيدات كتير في المستشفى ومعملش كده !

= بس مفيش واحدة أتكلمت معاه غيري !
- وارد، بس متقلقيش أكيد هيكون كويس
= أنا عاوزة أشارك في علاجه معاك
- طيف، أنا عمر ماحد شاركني في شغلي
= بس أنا ممكن يكون عندي الحل ، متنساش أنه استجابلي !
- أسف يا طيف
= أنا عارفة أن غرورك رافض، لكن لو سمحت تحلى بأخلاق الطبيب وأجعل مصلحة المريض فوق أي شيء، فقط فكر في الأمر ..
- حسنًا سأفعل، لكن لا تنسي أنه تم خصم يوم كامل من راتبك جراء كلمة غرورك ..
كان جاسم يفكر أن يستعين بطيف منذ أن صفعها سليم لكن غروره كما ذكرت أبى أن يطلب منها ذلك ولكونه محترفًا في قراءة أفكار الأشخاص كان يعلم أنها ستأتي وتطلب منه ذلك وسيستجيب في النهاية لكن بعد أن يجعلها تشعر أنه مرغمًا عليها، كما يعي جيدًا أنها ستثأر لما فعله بها في المرات السابقة ..
عاد جاسم بتفكيره لدرة وماذا يجب عليه فعله فأغمض عينه ووضع يده على رأسه لمدة عشر دقائق، ثم بعدها قرر في أسف شديد أن يفعل ما تربى عليه فأخرج هاتفه وأتى برقم هاتف والد درة وضغط على زر الاتصال فرد الطرف الأخر:-

= السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أنا دكتور جاسم حمدان، أعي أنك تعرفني جيدًا، لا تقلق لا أتصل بخصوص مرض درة فقد تعافت بشكل شبه كامل، لكنني أتقدم لخطبتها وأنتظر موافقتك ..

جاء رد والد درة بالموافقة سريعًا بل أنه أخبرني أنه في الخارج هذه الفترة، فعلينا عمل حفل لخِطبة صغيرة مقتصر على الأصدقاء المقربين، حتى نحدد ميعاد عقد القران فحينها سيكون أول الحاضرين ..
لم أنكر ردة فعل والد درة فمن يترك ابنته وهي في تلك الحالة طوال هذه المدة لن يعارض أبدًا أي طريقة تخلصه منها وخاصةً إن كان السبيل هو الزواج ..
أخبرت درة بما دار بيننا فظلت تقفز فرحًا كالأطفال عندما تترك لهم هاتفك، لم يكن الأمر بإرادتك بل هو عنوة، كما يحدث معي تمامًا الآن ..
ذهب جاسم لغرفة د. نجيب حتى يقصّ عليه ما حدث مع والد درة فانهال عليه بالسباب الراقي بعض الشيء وأخبره أنه إن لم يتخلص من هذه الورطة لألقى بحياته في الجحيم ..
لم يكن يدرك جاسم هل يقصد نجيب بالجحيم درة خصيصًا أم الزواج عامةً ..
اتَّفق جاسم مع نجيب ألا يخبرا أحدًا بالمشفى بأمر الخِطبة إطلاقًا، فظن نجيب أنه من باب الخصوصية، فجاسم يقدسها جدًا ولا يحب أن يقتحم خصوصيته أحد ما إن لم يسمح له بذلك ..
لكن في الحقيقة كان جاسم يفكر في شيء آخر، فهو حتى الآن لم يقتنع بدرة اقتناعًا كاملاً فيخشى أن يخبر الجميع بقراره الذي لم يستقر عليه بعد، فلا يستطع التراجع فيه إذا جدَّ جديد ..

همَّ جاسم ليخرج لكن نجيب أوقفه متسائلاً :-
= حتى طيف ؟
- سأخبرها أنا ..
= ولِمَا هي تحديدًا !!
- أنسيت أنني أقوم بخطبة درة لأنني تفوهت أمامها بأنها خطيبتي !!
= أم أنكَ تريد رؤية الغيرة في عينيها ؟
لم يرد جاسم وخرج من الغرفة وما إن أغلق الباب وراءه فلم يستطع أن يكتم ضحكته أكثر من ذلك فتركها تخرج بصوتٍ مسموع ..
اصطدم جاسم بدرة فسألها عن سبب تواجدها هنا فأخبرته أنها كانت تبحث عنه فغضب منها وحذرها ألا تصعد لغرفته ثانيةً فاعتذرت على الفور وأقسمت أنها لن تعاود الكرة ..
طلبت منه أن يجلسا سويًا ولكن تلك المرة في مكان غير منضدتهما، فلم يكن من الصعب على مدير المشفى أن يخرج مع مريض، فوافق على مضض وخرج معها وجلسا في إحدى الكافيهات المطلة على نهر النيل ..
وضعت درة يدها على يد جاسم دون أية مقدمات وابتسمت قائلةً :-
= أنا مش مصدقة أن حلمي اتحقق
- أنهي حلم يا درة ؟
= أنتَ
- هو أنا كنت حلمك ؟
= أنت دخلت حياتي في فترة صعبة أوي، أنا كنت فاقدة الثقة حتى في نفسي، أنت عرفت تقومني على رجليا من تاني، خلتني أحس أني أقدر أعيش مرة تانية، حسيت أن الدنيا لسة فيها حد كويس ..
- مش ممكن ده يكون مجرد احتياج يا درة ؟ ولو لقيتيه مع حد تاني هتغيري نظرتك ليا !
= لا يمكن، أنا بحبك بجد يا جاسم
أدركت درة ما قالته بعفوية فسحبت يدها بسرعة بعد أن احمرَّت وجنتيها ونظرت إلى الأرض في خجل غير مصطنع فغير جاسم الموضوع سريعًا لأنه لم يشعر بأي سعادة حيال تلك الكلمة ..
- جاهزة تقومي تختاري شبكتك دلوقتي؟
= يالاااااااااا
استقل جاسم سيارته وكانت على يمينه درة تغمرها السعادة وكأنها تحلق في السماء مع ملاكها الحارس جاسم ..
أخرج قائمة من هاتفه بها محلات مجوهرات وأعطاها لدرة لتختار إحداهما فهو لا يعلم بمثل هذه الأمور لكن أصدقائه المتزوجين يتردَّدون على هذه المحلات من حين لآخر، فتركها تختار ما يروق لها فحالته المادية تسمح أن تقتني ما تريده ..
نظرت درة نظرة سريعة فهي تعلم جيدًا أن هذه المحلات ستكون باهظة الثمن فلم تريد أن تكلف جاسم لذا أعطته القائمة وطلبت منه أن يختار بدلاً منها فاتصل بنجيب على الفور ليسأله فرشح له واحدًا وأخبره أنه سيتصل بصاحبه ويتفق معه على كل شيء فأكد جاسم عليه ألا يهتم بالسعر مطلقًا ..

أوقف السيارة ونزل منها ثم فتح الباب لدرة في مشهد رومانسي لكنه فعله من باب الذوقيات ليس أكثر فنزلت هي كالأميرات تتأهب لاختيار خاتم سيربطها بأميرها للأبد ..
دخلت درة وهي منبهرة من كم المجوهرات التي تحيط بها فرغم مستواها الاجتماعي الراقي إلا أنها لم ترى هذا الجمال من قبل، جلست وتحدث جاسم مع صاحب المحل وأخبره أنه من طرف د.نجيب الألفي فرد الأخير أنه على علم مسبق بزيارته فأخرج له أحدث التشكيلات ووضعها أمام درة التي قالت منبهرة :-
= هو ده ألماس ؟
رد جاسم بتأفف :-
- أمال فضة ! ما تختاري يا درة ..
= بس ده هيكون غالي أوي ..
تصنَّع جاسم الابتسامة ليقول لها-:
- لا متقلقيش خالص، اختاري بس اللي يعجبك ..
قامت درة بسحب خاتم بسيط ووضعته في إصبعها فزاد يدها رقةً ومدت يدها لجاسم لتأخذ رأيه فوافقها دون أن ينظر إليه فهمَّت هي للرحيل فاستوقفها قائلاً:-

- رايحة فين ؟
لترد هي بخجل :-
= أنا خلاص اخترت ده ..
جذبها من يدها وأوقفها أمام أطقم ألماس وأخبرها أن تختار إحداهما، خشيت أن تكلفه أكثر من اللازم لكن موقفه كان واضحًا فقامت باختيار واحد منهم يبدو أنه أكثرهم سعرًا ..
فأخرج جاسم الفيزا الخاصة به دون أدنى اهتمام كم أخذ منها هذا الصائغ ..
استقلا السيارة فأول ما طلبته درة هو الاحتفال بهذه المناسبة فوافق على مضض لكنه أخبرها ألا تخبر أحدًا بارتباطهما فلم تسأل عن السبب وأبدت ولائم الطاعة، فهي لا تحتاج أكثر مما حدث، وعلى الرغم من أنها تريد اخبار الجميع أنه أصبح ملكها إلا أنها تكتفي بما حدث ..
كانت طيف في هذا الوقت تستعد لمشاركة جاسم في علاج سليم فهي تعلم أنه سيوافق على طلبها الأخير فعليها أن تكون مثالية ..
فمنذ أن علمت أن تشخيص حالة سليم هو MDD وهي تقرأ أكبر قدر من الكتب الخاص بالاكتئاب وأسبابه وطرق علاجه وقد استوقفتها جملة قالتها الكاتبة جويس ماير وهي :-
"يبدأ الاكتئاب مع خيبة الأمل، وعندما تعشش خيبة الأمل في نفوسنا فإنها تقود للإحباط"
تظن طيف أن سليم تعرض لخيبة أمل كبيرة ورائها سيدة، ما إن قالت هذا الكلام بداخلها حتى تذكرت أمر الصفعة فتحسست وجهها ثم أكملت حديثها مع نفسها، لم تتم معالجة هذه الخيبة بشكل صحيح فظلت موجودة داخل سليم حتى أصبح مريضًا بالاكتئاب ..
فمن منا لم يتعرض لخيبات أمل متتالية !! كل منا يتعامل مع خيبته بطريقته الخاصة، هناك من يتجاهلها وكأنها لم تحدث من الأساس، وهناك من يجعلها محور حياته ولا يرى غيرها فيشعر أن الحياة سوداء لا لون لها، وهناك من يتعامل معها بحكمة يهدأ أولاً ثم يفكر فيها بهدوء ويحاول أن يجد لها حلولاً حتى إن لم تكن جذرية ..

فتُرى من كان سليم من هؤلاء ؟؟
أيضًا تذكرت مقولة العالم الشهير فرويد :-
"الضغوط النفسية تغيّر الشخص من مرح إلى كتلة من الصمت"
فكثيرًا ما لاحظت أن سليم يصمت كثيرًا ولا يتفوه إلا قليلاً وإن تفوه إنه يصرخ .. فما حجم الضغط الذي تعرضت له يا سليم حتى تصبح على هذه الحالة ؟
رنَّ هاتف جاسم وكان المتصل هو نجيب فظن جاسم أنه يريد الاطمئنان فرد سريعًا لكنه أخبره بضرورة وصوله للمشفى لأن سليم يحتاجه، فاعتذر من درة وغيَّر مساره عائدًا إلى المشفى مؤكدًا عليها ألا تخبر أحدًا ..
وصل إلى المشفى وجرى سريعًا ليلحق بسليم فقد توقع أنه في أسوء حالاته لكن تفاجأ عندما علم أن سليم من طلبه تحديدًا ليتحدث معه !!
فطرق على باب غرفته ليأذن سليم له بالدخول وكأنه في حالة طبيعية جدًا بل هو من بدأ الحديث مع د. جاسم قائلاً :-
= أنا عارف أنك دكتور شاطر
- إيه سبب الجملة ديه ؟
= حاسس أنك هتعالجني
- يعني أنت بتعترف أنك مريض ؟
= لا
- طب محتاجني أساعدك ؟
= أيوة
- وأنا موافق، محتاج إيه بالظبط ؟
= متحاولش تنقذني من الموت
- وأنت ليه عايز تموت ؟
= مش هقدر أواجهها
- هي مين ؟
= مش عاوز أتكلم عنها
- حاضر، بس ساعدني أفهم
= مش كل الأوقات لازم نفهم
- معاك حق، تحب تفهمني امتى ؟
= صدقني مش أنا اللي محتاج اتعالج، واللّه العظيم هي اللي مريضة
- مش هسألك هي مين لأنك رفضت، بس ممكن تقولي مريضة بإيه ؟
= مريضة بيا، أرجوك عالجها
شعر جاسم أنه إذا تحدث أكثر من ذلك فسوف يضغط على سليم وهو لا يريد حدوث ذلك فهدأه وأخبره أنه سيفعل له ما يريد وأمر بتشديد الحراسة على غرفته وعدم السماح له بالخروج تحت أي ظرف..
ذهب جاسم إلى غرفة نجيب مسرعًا ليشكره عن الخدمة الجليلة التي قدمها له منذ ساعات قليلة ..

كان نجيب يكتم غيظه مما فعله جاسم لكنها حياته في نهاية الأمر وهو من له الحق في تحديد مسارها فأراد أن يحدثه عن طيف لعل يحبها بدلاً من درة فنجيب متأكد من أن درة لم تتعافى كليًا وما بداخلها هي مشاعر احتياج ليس أكثر، أما طيف مناسبة له إن أراد الارتباط حاليًا ..

= نجيب :- فقدت جزء كبير أنت من ثروتك النهاردة، مش كده ؟

- جاسم :- مركزتش

= بس صاحب المحل ركز واتصل يشكرني ووصاني كمان أنك تكون زبونه

- شكرًا يا نجيب على الخدمة ديه

= كنت مبسوط أنها درة ياجاسم ؟

- أيوة

= متأكد !

- أيوة

= تمام، ألف مبروك ياعريس

- اللّه يبارك فيك

= بطلت تهدد طيف من امتى ؟

- من وقت ما قولتلك

= موحشكش تحس أنها خايفة منك

ضحك جاسم ثم نظر لنجيب الذي يفهم ما يدور في ذهنه جيدًا ولم يتفوه حتى أكمل نجيب كلامه ..

= عمومًا لو مكنتش مبسوط وأنت شايفها ضعيفة أدامك مكنتش احتفظت بخط مجهول المصدر وفضلت تهددها باللي عملته مع درة وأنها ممكن تخسر شغلها، مش كده برده ياجاسم ؟

كانت طيف تمر من أمام غرفة د. نجيب الألفي لتخبره برغبتها في مشاركة د. جاسم في علاج سليم، لكنها سمعت اسمها فوقفت تسترق السمع، ثم وضعت يدها على فمها واتسعت عيناها ذهولاً مما سمعت ورحلت سريعًا ..

لكن لسوء حظها كانت هناك أعين تتابعها من بعد ..

تلاقت أعين طيف بأعين درة وتبادلت نظرات طيف المذهولة بنظرات الأخيرة الغاضبة ..

لاحظت درة أن طيف تنوي الانتقام لشيء ما فودَّت لو كان بإمكانها أن تجري إلي جاسم لتخبره بما رأت لكنها تذكرت أنه حذرها من الصعود لغرفته مرة أخرى فأسّرتها في نفسها ..

هبطت طيف الدرج وهي تقسم ثانيةً أنها ستنتقم منه ولو بعد حين، حتى وإن رأت من جاسم ما لم تراه جولييت من معشوقها روميو ..

خرج جاسم من غرفة نجيب متجهًا إلى حازم الذي ينوي أن يصدر أمر خروجه قريبًا جدًا لأنه يلاحظ تحسنه واستجاباته في الآونة الأخيرة فضلاً عن رغبة جاسم في إبعاده عن طيف ..

وجد جاسم حازم جالسًا يتأمل بعض الصور الفوتوغرافية فجلس بجانبه متسائلاً :-

- جاسم :- من أين أتيت بهذه الصور يا حازم ؟

= حازم :- إنها صور زفافي، طلبتها من د. نجيب وقد أعطاها لي اليوم ..

- هل لي أن أراها ؟

= بالطبع
تأمل جاسم الصور ولا يدور في ذهنه سوى ما هو مقبل عليه، هل سيرتدي مثل حازم وبجانبه درة ؟ هل سيكون حينها بسعادة حازم الواضحة في الصور ! لا يعلم لكنه شعر بغصة في حلقه إثر التخيل ولكن حازم قاطعه قائلاً :-
= هل مازلت ممنوعًا من رؤية زينة ؟
- إطلاقًا
= أحتاج لرؤيتها
- لو كنت طبيبًا تقليدًا لهاتفتها وجعلتها تأتي، لكني سأدبر لكما مقابلة بالخارج، فما رأيك ؟
= متشكر يا دكتور جاسم
طلب جاسم من حازم أن يجهز حتى يهاتف زينة وسيصاحبهم في نزهة قصيرة، وخرج ليهاتف زينة فلم تصدق ما سمعته وظلت تبكي، لا تصدق أنها سترى حبيبها الغائب بعد هذه المدة فوافقت على الفور ..
استقل جاسم وحازم السيارة وجلسا في إحدى الكافيهات المطلة على نهر النيل منتظرين زينة ..
بضع دقائق وجاءت زينة وهي تبحث بعينها في المكان كله عن حازم حتى تلاقت أعينهما فجرت مسرعةً وإرتمت بين ذراعيه تاركةً لدموعها العنان ..
ابتعد جاسم قليلاً وكأنه يشاهد مشهدًا سينمائيًا من إخراج أعظم الموجودين على الساحة ..
النيل في الخلفية وسور بسيط يفصلهم عنه، حازم بهيئة المريض وهو في فترة نقاهته يضم حبيبته ويربت على ظهرها ويمسح وجنتيها اللاتي أبتلت بفضل دموعهما ..
لم يبالوا لمن حولهم، كانت تتخفى بين أحضانه كأنها تستعيد قوتها المسلوبة، وكان هو يضمها كاللاجيء الذي عاد لوطنه بعد غربة دامت لعشرات السنين ..
أنا جاسم الذي لا يعترف بمشاعر الحب، اليوم اعترف بعشق حازم وزينة، لأول مرة أشعر بحجم حزن حازم، لم أكن أعي أنها تعني له كل ذلك، أعلم أنه سيتعافى من أجلها، وسأخرجه لها سريعًا ..
تركتهما وجلست على منضدة أخرى وطلبت لي قهوة وجلست أسترق النظر إليهما من حينٍ لآخر، تارة كانت تقبل يديه، تارة تتأمل نظراته، تارة يبكي هو وكأنه يتوسل إليها أن تسامحه لغيابه عنها ..
كنت أظن أن حازم يبالغ في حزنه لكنني أدركت أنه كان مقصرًا ..
كانت هناك مشاعر مختلطة بينهما ولكنني أحببتها ..
كنت أرتشف رشفة وأنظر لمياه النيل ولأول مرة سألت نفسي هل سأكون مكان حازم يومًا ما ؟ هل ستظهر مثل زينة في حياتي ! أم سأظل دكتور جاسم الرتيب الذي لا يسير وراء أهواءه ولا يعترف إلا بما يقّره عقله !!
حينها تذكر درة وبعدما رأى حازم وزينة قد تأكد أنه لا يحمل بداخله مشاعر تجاهها وربما لن يصبح هكذا، فهل كان نجيب على حق ؟ أينتهي الموضوع باعتذار ! أم أختلق الحجج لكي أتركها ؟ هل من تقدم لخِطبة فتاة بسبب ذلة لسان سيفعل ذلك ؟
للحظة ودَّ جاسم أن يشعر بما يشعر به حازم الآن ..
عاد جاسم إلى المشفى ومعه حازم وقد قرر أنه سيخرجه في الأيام المقبلة ، فقط سيتأكد أنه أصبح

معافيًا تمامًا ثم يتركه ليبدأ حياته من جديد مع زوجته ..
كانت طيف تريد بدء المشاركة في علاج سليم فلم تنتظر أن يؤذن لها د. جاسم واتجهت إلى غرفة سليم وطرقت الباب فلم يرد أحد، فطرقت ثانيةً .. ثالثًا .. عاشرًا .. بلا جدوى
ففتحت الباب وجدت سليم نائمًا فاقتربت منه بخطوات هادئة وظلت تتأمل ملامحه وتبحث عما درسته في الكتب فتجد كثيرًا منه ينطبق على سليم ..
كان كل شيء هادئًا حتى اقتحمت درة الغرفة وصرخت بصوت عالٍ، فانتفض سليم وكاد أن يقوم ليكرر صفعته ولكن يده كانت مقيدة في السرير فعطلت حركته لكنها لم تمنعه تمامًا من المحاولة، هربت درة بسرعة ملحوظة واختفت من الغرفة، في حين أن عادت طيف بظهرها حتى لصقت بجدار الحائط تشاهد الموقف بأعين مذهولة ..
جاء د. جاسم مسرعًا وبدون أية مقدمات أعطى سليم حقنة مهدئة بعدما أحكم قبضته عليه فحاول أن يقاوم لكنه استسلم في النهاية وفي غضون ثوان معدودة انتقل لتعداد النائمين ..
اقترب جاسم بهدوء من طيف وجذبها من ذراعها بعنف مخرجًا إياها من الغرفة ثم نظر لها بحدة :-
- جاسم :- أنتي عاوزة إيه بالظبط بتصرفاتك ديه ؟
تجمعت عيون طيف وتلعثمت كلماتها ثم قالت :-
= أنا .. أنـ..ا .. أأ
- أنتي مجنونة وأنا بقى اللي هعالجك ياطيف
= أنا مسمحلكش تتكلم معايا بالأسلوب ده تحت أي ظرف، أنت أصلا مش فاهم اللي حصل
- أنتي تخرسي خالص، وحسابك معايا بعدين
= أنا هكررهالك لأخر مرة ياجاسم، أوعى تفكر تتكلم معايا كده تاني
- أستنيني عند دكتور نجيب
في هذا التوقيت دخلت درة مسرعةً لتغتنم الفرصة أشد اغتنام فنظرت إلى طيف معاتبة إياها
= برده دخلتي يا دكتورة طيف ؟ مش أنا قولت لحضرتك أن د. جاسم هيتضايق !
لم يترك جاسم فرصة لطيف حتى ترد بل وجّه كلامه لدرة :-
- هو أنتي كنتي عارفة أنها هتدخله !
= درة :- أنا شوفتها وهي بتدخل فجريت عليها وقولتلها أرجوكي يادكتور طيف بلاش، سليم أخر مرة كان بيحاول ينتحر، غير أن دكتور جاسم مانع أي حد يدخله، هي وقتها مسمعتش كلامي وسابتني ودخلت، فأنا جريت عليك عشان أحذرك بس ملحقتش ..
ردت طيف :- أنتي كدابة يا درة
اقترب منها جاسم :- قولتلك أستنيني عند دكتور نجيب ..
صعد جاسم للغرفة فوجدها تصرخ من الغضب وتقصّ لنجيب كل ما حدث حتى دخلت أنا فصمتت تمامًا ..
جلس أمامها طالبًا منها أن تقصّ عليه ما حدث فلم تجْب، كررها ثانيةً فقالت له أنها أرادت أن تقترب من سليم حتى تفهم حالته بشكل أوضح فإذا بدرة دخلت فجأةً وظلت تصرخ حتى استيقظ سليم، ثم الباقي رأيته أنت ..
- جاسم :- فرضًا أني صدقتك وده محصلش، هو عادي تدخلي غرفة مريض خصوصًا في حالة

سليم وبعد أخر موقف جمعكم بدون موافقتي !
= طيف :- أنا عرضت عليك المرة اللي فاتت و..
قاطعها جاسم بغضب :-
- وأنا موافقتش وقتها، فحضرتك قولتي أتصرف من دماغي صح، لتاني مرة يا طيف بتدخلي المرضى في صراعات ملهومش ذنب فيها ..
= تاني مرة ؟
دلوقتي سليم وقبل كده كان..
قاطعه نجيب قبل أن ينطق كلمةً أخرى موجهًا كلامه لطيف :-
- احنا هنا في مستشفى يا طيف ليها قواعد، دكتور جاسم وضعه زي وضعي تمامًا مفيش أي فرق، ومينفعش تتصرفي في أي حاجة بدون ما ترجعي لحد فينا
= أنا أسفة
قالت جملتها ثم مسحت دموعها، لانَ قلب جاسم في هذه اللحظة وتذكر دموع زينة وودَّ لو كان بإمكانه ضمها كما فعل حازم لكنه قام مسرعًا وأخرج ورقة وقلمًا من مكتب د. نجيب وكتب بعض الكلمات وأعطاها لطيف حتى توقع عليها ..
- جاسم :- ده طلب إجازة لمدة شهر هتمضي عليه دلوقتي وأنا هصدق عليه، هكتفي بيه وده تقديرًا بس لمجهوداتك الفترة الأخيرة لكن صدقيني يا طيف الغلطة الجاية أنا من دلوقتي بعتذرلك عن رد الفعل اللي هاخده
فعلت طيف ما طلبه منها ثم قامت ووقفت أمامه تمامًا، تأملت تلك العينان اللاتي لا تحملان سوى القسوة والغلظة فتحدثت بخيبة أمل :-
= دكتور جاسم أنا الفترة اللي قضيتها هنا اتعلمت فيها حاجات كتير خصوصًا من حضرتك، أنت فعلاً من الدكاترة الشاطرين جدًا واللي بيحبوا شغلهم عشان كده بيبدعوا فيه، لكن حضرتك دايمًا بتنسى أنك تاخد بالك من شعور اللي قدامك، ديه مش أول مرة تستغل سلطتك وتكلمني وحش، وعشان أنت عارف أني مينفعش أخسر الشغل ده دلوقتي فبتستمر في أفعالك، لكن أنا أسفة يا دكتور أنا ممكن أخسر أي حاجة قصاد كرامتي وعشان كده ..
قاطعها جاسم سريعًا :- طيف أنا مش بعمل حاجة غير أني بحافظ على الكيان اللي بنيته ..
= مش على حساب كرامة اللي حواليك، أنا مهما كان دكتورة زيك بأي وجه حق تكلمني بالطريقة ديه أدام أي حد !
شعر جاسم بالذنب فاعتذر منها وأخذها إلى طابق غرفة سليم وقدم لها اعتذرًا يليق بها أمام كل من حضر الواقعة فابتسمت رغمًا عنها، فهي من أجبرت ذلك المتعجرف على الاعتذار أمام الجموع وأولهم درة ..
نظر لها ثم همس بصوتٍ خافت :- ما فعلته لا ينفي أمر الإجازة ..
اتسعت عيناها وأقسمت بداخلها أنه يحمل قدرًا لا بأس به من الفصام !!
كانت النيران تشتعل داخل درة التي أسرعت لجاسم متسائلةً عما حدث فأخبرها أن طيف أخبرته أن سليم صرخ لأنها أوقعت هاتفها دون قصد ففُزع إثر الصوت، ليس أكثر..
= درة :- طيف من أخبرتك بذلك ؟

- جاسم :- نعم
أنهى حواره سريعًا مع درة واتَّجه إلى غرفة د. نجيب الألفي ..
= نجيب :- جاسم اللي أنت بتعمله ده غلط وأنا حاسس أن طيف مظلومة
- جاسم :- هي مظلومة فعلاً
= يعنى درة اللي عملت كده!
- أيوة
= أنت عرفت منين ؟
- درة معتمدة أن مفيش كاميرات في غرف المرضى، ولما دخلت وخرجت معملتش أي حاجة ملفتة لأنها عارفة أنها هتظهر في كاميرات الممر ..
= هو أنت رجعت للكاميرات ؟
- مش محتاج، كان باين أن طيف صادقة
= ولما أنت عارف كده ليه عاقبت طيف ؟
- عشان مرجعتليش
= ولا عشان خوفت أن سليم يرتاحلها زي حازم
لم يرد جاسم وغيّر الموضوع سريعًا قائلاً :-
- أعمل حسابك بالليل هلبس درة شبكتها في كافيه لادا، تكون هناك على الساعة تسعة مثلاً ..
= بالليل !!!
- أيوة
= بالسرعة ديه ياجاسم
- أنا عارف أنا بعمل إيه، متقلقش عليا

انهى جاسم عمله سريعًا وذهب إلى منزله، أخذ حمامًا ثم تناول غذاءه وهاتف طيف ليخبرها بالأمر وهو يعلم جيدًا أنها ستأتي ..
وقف أمام دُولابه ثم وقع اختياره على بذلة لم يرتديها من قبل ..
وصل د. نجيب الألفي إلى كافيه لادا حاملاً بوكيه ورد كأنه العريس ، فوجد التجهيزات كاملة لكن بلا أشخاص ..
فظل ينظر ويتأمل دوامات نهر النيل الصغيرة وهي تضارب بعضها البعض ..
دقائق ووصلت سيارة جاسم معلنةً وصوله مع درة، فنزل من سيارته مرتديًا بذلة صُنع اللون الكحلي خصيصًا من أجله ومن أسفلها قميص أبيض يعكس ثمنه الباهظ، اتجه للجانب الآخر ليفتح الباب لدرة التي ارتدت فستانًا مبالغًا فيه بعض الشيء ذات لون وردي وقد بالغت أيضًا في استخدام مستحضرات التجميل، لا أعلم إن كان ذلك من قبيل فرحتها أم هذه هي قواعد العروسة التي لابد أن تسير عليها كل من هي مقبلة على خطوة الزواج، وكأن حجم مكياجها يتناسب طرديًا مع سعادتها المقبلة فكلما استزادت كلما ضمنت سعادة أبدية مع شريكها ..
قمت لاستقبلهما حتى جلسا بجواري فمددت يدي لأعطي درة الورد مدعيًا أن جاسم من أحضره فأخذته درة في لهفة ثم احتضنته بينما همست إلى جاسم لأخبره أنني كنت على يقين أنه لن يهتم

بهذه التفاهات فابتسم هو الأخر على مضض ..
في هذه اللحظة أعلنت أميرة هاربة من عالم ديزني وصولها إلى أرض الكافيه ..
كانت أميرة بيضاء ذات حُمرة خفيفة لم تبالغ في استخدام مستحضرات التجميل إن كانت قد استخدمتها، ترتدي فستانًا زهريًا يشبه تلك الجميلة التي تُدعى سندريلا ولكنه أكثر هدوءًا ورُقيًا ..
دخلت بخطوات هادئة مدروسة لتجذب أنظار كل من في المكان وهم العاملون وأنا ودرة وبالطبع جاسم ..
باركت طيف لجاسم ودرة، فقمت أنا لأجهز لها الكرسي حتى تجلس فشكرتني بابتسامة هادئة، وددت في حينها لو لم أكن تخطيت الثلاثين ولم أكن تارك زوجتي وأطفالي في المنزل الآن ..
شعرت درة بالغيرة فهي التي بذلت مجهودًا واضحًا لتصبح ملكة اليوم فجاءت أميرة بسيطة وسلبت منها حيلتها، فقررت أن تزيد من مبالغتها فنظرت إلى جاسم وطلبت منه أن يرقصا على تلك الأغنية ..
فلم أجعلها تكمل الجملة حتى طلبت من طيف الطلب ذاته ولكن جاسم رمقني بنظرة حادة ثم انتقل ببصره إلى طيف وكأنه يريدها أن توافق حتى يلقيها بشعلة من النار تحرق فستانها الرقيق، لكنها حمدًا لله رفضت بلطف ..
فهمست له " لا تقلق أيها العريس، لقد تشوقت لرؤية تلك النظرة ليس أكثر"
فضحكنا سويًا رغمًا عنه ..
قام جاسم ليلبي نداء درة فقامت طيف تلتقط بعض الصور وقد ساعدها في ذلك واحد من المصوَّرين الذين أتى بهم جاسم ..
كانت نظرات جاسم تراقبها جيدًا بينما تتحدث معه درة ولا يعطي لها اهتمامًا حتى لاحظت هي فضغطت على يده فنظر لها ليجدها مبتسمة وسألته عن فستانها فنظر له كأنه يراه للمرة الأولى ثم نظر بتلقائية لفستان طيف فبرقت عيناه وقال لدرة رائع، هادئ وجميل، يجعلكِ تشبهين الأميرات ..
أعلنت الغيرة حضورها في أعين درة لكنها أخفتها جاهدةً وهمست له :-
= درة :- بحبك
للمرة الثانية يتفاجأ جاسم من جرأة درة لكنها أكملت :-
= هو أنت لسة محتفظ بالرسالة ؟
- جاسم :- أنهي رسالة !
= اللي وقعت مني وأنت خدتها
تذكر جاسم أمر رسالة درة التي كتبتها لي والتي كانت تخشى عليَّ فيها فتاة توهمني بالحب وهي ليست كذلك فرد عليها قائلاً :-
- هو أنتي كنتي عارفة أنها معايا ؟
= أكيد طبعًا، مش أنا اللي سيباها عن قصد ..
على الرغم من أن جاسم يحب من تقدر غروره وقد رأى في درة أنها تجيد هذه الملكة لكنها تفقدها الآن بغبائها ..
تطبق درة مقولة "الشيء إن زاد عن حده انقلب ضده" باحترافية، ففي البداية كانت ترضي غرور جاسم بجدارة لكنها الآن تتحول لأداة لإشباع رغباته المعنوية المريضة ..

ضرب الهواء فستان طيف فتطاير ليضفي لها بريقًا وجمالاً وهنا جاء دور المصوَّر الذي أستغل الموقف وقام بالتقاط هذه الصورة لطيف فطلبت درة من جاسم أن يذهبا لالتقاط بعض الصور ..
وقف جاسم بجانب درة بشكل تقليدي فساعده المصوَّر في بعض الوضعيات فلم يتقبل منها جاسم إلا ما يراه راقيًا، حتى جلب له بوكيه الورد فرفض جاسم أن يظهر معه في الصور فجاء دور نجيب في إقناعه حتى وافق على مضض ..
أرادت درة أن تلتقط مثل الصورة التي التقطتها طيف فطلبت من المصوَّر أن تقف في نفس المكان لكنه لم ينصحها بذلك لأنها ترتدي كعبًا عاليًا لكنها أصرت ..
ما إن وقفت درة حتى ضربها الهواء فأهتز حذائها لتتلقى ضربةً أخرى تجعلها تلامس الأرضية فضحك الجميع حتى جاسم الذي لا يضحك إلا قليلاً ..
ثوان معدودة وقدم جاسم لها يده حتى تقف مرةً أخرى وأعتذر لها في أدب وأجلسها على الكرسي ليقوما بإرتداء الدُبَل ..
وقف نجيب وطيف أمامها والابتسامة ترتسم على وجههما ثم بدأت تلك الغنوة التقليدية " يا دبلة الخطوبة " واقتربت الكاميرات من وجه جاسم ودرة وإرتمت الزهور من فوقهما في مشهد رومانسي مصطنع ..
قاما سويًا ليقطعا التورتة التي جُهزت خصيصًا من أجلهما والتي كانت عليها صورتهما، جلسوا جميعهم على منضدة واحدة بعدما بارك لهما نجيب وطيف فقاطعت طيف الصمت متسائلةً :-
= خلصتوا ولا لسة ؟
- جاسم :- خلصنا إيه ياطيف ؟
ضحكت طيف ثم قالت :-
= أصل أنا ورايا شغل بكره ومش عاوزة اتأخر وكده
قطع نجيب عراكًا كاد أن يبدأ فقال-:
= تعرفوا، كنت بتفرج على فيلم أجنبي من كام يوم وكانوا عاملين خطوبة صغيرة كده وفي النهاية لعبوا لعبة حلوة أوي، كل واحد هياخد ورقة ويحدفها لفوق بطريقة عشوائية لحد ما تنزل على حد فينا، فالأول هيكتب جملة في ورقة ويقفلها كويس بعدين يديهاله ولو هو حابب يقرأها معانا يفتحها لو مش حابب يسيبها مقفولة ..
وافق الجميع على تلك اللعبة حتى تتغير الأجواء قليلاً ..
فرفعوا الورق في وقت واحد بطريقة عشوائية عدا درة التي تعمدت إسقاطها على جاسم ..
ورقة درة سقطت على جاسم كما أرادت، ورقة نجيب سقطت على درة، ورقة طيف سقطت على نجيب، ورقة جاسم سقطت على طيف ..
كل واحد منهم أعطى للأخر ورقة ..
فتح جاسم ورقته من درة فوجد فيها " لم أُشدُدْ بكَ أزْري فكنت أنتَ أزْري الذي لم يَنْحَنِ قط"
ورقة طيف لنجيب كان بها "ودَّدت لو أن من جاوركَ تشابه معكَ"
أما ورقة درة من نجيب ففيها " أتمنى لكِ تقييم الأمور بعقلكِ أولاً"
أخذت طيف ورقتها من جاسم تركتها مقفولة ..
انتهى اليوم وعاد كل منهم إلى منزله بعدما أكد جاسم عليهم ألا يخبرا أحدًا بأمر الخِطْبة، عدا درة

التي أعادها جاسم إلى المشفى ..
ذهبت طيف في الصباح إلى المشفى وصعدت إلى غرفة جاسم لتجد د. نجيب معه فابتسمت بلطف وحيَّته ثم وجهت كلامها لجاسم دون مقدمات :-
= أغلب المشاكل ما بينا بسبب أنك شايفني بستغل المرضى صح ؟
- جاسم :- أيوة !
= بالنسبة للمسرحية بتاعة إمبارح !!
- أفندم !
= مسرحية إمبارح، ديه مش استغلال مريضة !
- طيف، مسمحلكيش تتكلمي كده
= المفروض أن حضرتك تكون قدوة لينا، بما أنك المدير، لكن أنك توهم مريضة بأنك بتحبها وهتخطبها عشان تكسب معركة أنت اللي خلقتها ؟
رد جاسم بعنف :-
- أنا ولا أنتي يا طيف !!
= لا أنت مش أنا، مش أنا اللي قولت عليها خطيبتي ومش أنا اللي صلحت غلط بغلط أكبر، أنا معملتش أي حاجة يا جاسم أنا كنت مجرد رد فعل ليك
قام نجيب ليهدأ بينهما فطلب من طيف أن تذهب إلى غرفتها وسيعاود الجلوس معها فوافقت وكادت أن ترحل لكن جاسم استوقفها :-
- لما أنتي كنتي عارفة أنها مسرحية، جيتي ليه ؟ ما أنتي كمان شاركتي فيها !
ردت باستفزاز :-
= كنت زهقانة، قلبت في التليفزيون ملقتش حاجة عجبتني، فقولت أدي فرصة للوجوه الجديدة
ثم رحلت وأغلقت الباب ورائها بعنف ..
نظر نجيب لجاسم الذي يخرج لهيبًا من وجهه قائلاً :-
= بصراحة ياجاسم، المرة ديه طيف مغلطتش
- ديه جاية تشمت فيا يا نجيب، جاية بتثبتلي أنها صح
= وليه متكونش فعلا صح يا جاسم ! أنت فعلاً اتسرعت وجدًا وأنا قولتلك، وبيني وبينك هي مغلطتش في موضوع المسرحية، بقى يا راجل في خطوبة يحضرها أربع أفراد منهم العريس والعروسة !!!
ضحك جاسم على طريقة نجيب وقال له :-
- ما أنت عارف أني في الإخراج مش أد كده
= درة ملهاش ذنب ياجاسم، متخليهاش طرف في مشكلة بينك وبين طيف
- أنا معاك أن درة طيبة، بس مش بالدرجة اللي أنت فاكرها ..
= بتحبك، للأسف حبتك وبتضحي علشانك كتير، بلاش تستغل ده
- حاضر
ذهبت طيف لغرفة حازم لكي تطمئن عليه ولكن غرضها الحقيقي هو مضايقة جاسم الذي حذرها في المرة الأخيرة ألا تقترب من مرضاه خاصة حازم ..

= حازم :- أهلاً دكتورة طيف
- طيف :- أزيك يا حازم، اخبارك إيه دلوقتي ؟
= أفضل كتير، مش محتاج غير أني أخرج
- أنا سمعت أن د. جاسم خرجك ؟ ده فعلاً !
= فعلاً، وخلاني أقابل زينة
- زينة مراتك !
= أيوة
- جاسم !!، قصدي دكتور جاسم خلاك تقابل زينة !!
شعرت بغصة في حلقها فظنت أنه إذا رأى حازم وزينة سيغير رأيه في اختيار درة، ولكنه اختارها فهل حقًا تتحرك مشاعره تجاهها ؟؟
في هذه اللحظة دخل جاسم لغرفة حازم ليصطدم بطيف في وجهه فقامت هي مفزوعة ولم تتفوه بأي كلمة بل رحلت في هدوء وكانت تتبعها نظراته حتى ضحك حازم فسأله جاسم عما يضحك ؟
= حازم :- أتكلم عادي ؟
- أتفضل
= باين أوي أنك بتحبها
- أفندم!!!
= أنا أسف يا دكتور بس حضرتك اللي سمحتلي
- ليه بتقول كده يعني ؟
= عشان شوفت في عيون حضرتك نظرتي لزينة من كام سنة فاتوا قبل ما أعترفلها
- أنت بقيت أفضل دلوقتي ؟
= جدًا يادكتور ومحتاج أخرج بقى
- قريب جدًا
عادت طيف إلى المنزل و تذكرت أمر الورقة التي أخذتها من جاسم فأخرجتها بحماس حتى ترى ماذا كتب لها ذلك المتعجرف ..
"تشبهين اسمك يا طيف، لا تحاولين من أجل أحد بينما يطوف الجَمْع من أجلكِ"
ضربت طيف كفًا على كفٍ، يا لهذا المعتوه !! باللّه من يحتاج الخضوع لطبيب نفسي ! إن لم يجد من يساعده فأنا موجودة وبالمجان ..
ذهبت طيف إلى المشفى بعدما هاتفت د. نجيب بخصوص التحقيق وسمح لها بالمجيء، وأول ما فعلته أن دخلت غرفة د. جاسم لتواجهه بحقيقة مرضه التي يكتشفها الجميع عدا هو ..
مدت طيف يدها بالورقة التي أهداها إياها بالأمس ثم سألته :-
= طيف :- تتذكر ماذا كتبت فيها، أليس كذلك !
-جاسم :- بالطبع
= هل شرحت لي قصدك منها ؟
- هل حصلتِ على كل هذه الشهادات ولا تعرفي أن تفسري إشتباك بعض الحروف ببعضها

البعض !
= أعتقد أن درة تعلم، سأعطيها تلك الورقة وهي تشرح لي
- لن تفعل ذلك
= لماذا كل هذه الثقة ؟
- ببساطة لأنكِ لا تملكين رقمها !
= ألا تخشاها !!!!
- ولِمَا !
= لأنكَ تغازلت بغيرها !
- ومن قال ذلك !
= هذه الورقة خير دليل
- لم أكتب سوى الحقيقة !!
= وما هي الحقيقة ؟
- الحقيقة أن طواف الرحمن لمن أستطاع إليه سبيلاً، أما طوافكِ فأنا مجبر على سبيله !
= ماذا تريد أن تقول يا جاسم ؟
- تاللّه لا أعلم، لكن هذا ليس شفيعًا ألا تناديني بلقبي، رددي خلفي، دكتور جاسم ..
تجاهلت طيف ما قاله وقالت في جدية :-
= متى سأبدأ معكَ في علاج سليم ؟
- لن تبدأي
= لماذا ؟
- ألا تتذكرين ما حدث في المرة الأخيرة !
= بلى، وأتذكر أيضًا أنكَ علمت من السبب
- أنتِ
ضحكت طيف وأنهت الكلام فما يهمها أن يصل غرضها لجاسم وقد حدث، فعادت لتكرر سؤالها مرة أخرى :-
= متى سنبدأ ؟
- لن تبدأي يا طيف، لن أجعلك تقتربين منه ثانيةً
= تعلم جيدًا أنني سأساعد في تعافيه
- شكرًا لمجهوداتك
= حسنًا كما تريد
أوقفها جاسم محذرًا إياها إن اقتربت من سليم دون علمه، هو من سيتصدى لها ..
خرجت طيف من الغرفة لتصطدم بدرة التي استقبلتها بنظرات قاسية فتجاهلتها طيف وتركتها ورحلت ..

طرقت درة باب جاسم فسمح لها بالدخول فعاتبته أنه لم يهاتفها أمس ولكنه أعتذر منها وأخبرها أنها ظروف عمله فسألته عما كانت تفعل طيف فثار بركانه وصرخ في وجهها قائلاً :-

-جاسم :- هو أنتي ناسية أن طيف دكتورة هنا !! ثم أن مينفعش تحاسبيني يا درة

= درة :- أنا أسفة يا جاسم مقصدش، أنا بس بغير عليك

رد الأخر بحزم :-

- مفيش غيرة في الشغل

= حاضر، أنا أسفة

تركته درة بعدما وجدته مشغولاً وإن صح القول اصطنع الانشغال ..

غضب جاسم من ردة فعل درة، هو يعلم أن من حق خطيبته الغيرة لكنها ليست أبدًا من حق درة ..

ذهب إلي نجيب ليقصَّ عليه ما حدث فأجابه نجيب :-

= نجيب :- وإيه الغريب في اللي حصل ! واحدة وبتغير على خطيبها

- جاسم :- أنت عارف أني بكره جو الغيرة والتملك والحاجات ديه، ثم أن مفيش بيني وبين طيف حاجة عشان تغير منها

= لا أنت بتحب جو الغيرة، بس لما تكون بتحب اللي بتغير

- تقصد إيه ؟

= مقصدش حاجة، بقولك يا جاسم صح فاكر لما قولتلي أن طيف بتغير من درة ؟ وقتها كنت مبسوط

- أنا مقولتش كده !

- ولكن عيناك فعلت ..

ترك جاسم نجيب بعدما أثار غضبه، فهو يشعر أنه أودى بنفسه إلى الهلاك، لقد تسرع عندما نعت درة بخطيبته لكن نجيب قد حذره أن هذا ليس حلاً، فماذا يجب عليه الآن !!

نزل جاسم ليطمئن على سليم وكان في حالة لا بأس بها، حاول أن يفهم منه مما يعاني لكن سليم لم يخبره بشيء واضح، لا يتفوه إلا بكلمات معدودة مثل " هي السبب، لم أكن أستحق منها ذلك، لِمَا فعلت ذلك بي " وأشياء مشابهة لذلك وعندما يحاول أن يعرف جاسم من هي التي فعلت به ذلك يرفض بشدة ..

اتجهت طيف إلى غرفة حازم في محاولة منها لمخالفة أوامر جاسم بعدما نجح في استفزازها، ولكنها سمعت منه ما لا تودّ سماعه ..

فعندما دخلت فاجأها حازم الذي قال لها دون أية مقدمات :-

= حازم :- أرجوكِ لا تكوني مثل زينة

- طيف :- عفوًا !!

= عندما فقدت زين، تأثرت زينة بفقدانه ولم تهتم بطفلها الأول فكان مصيره الهلاك حتى أنقذه الله وأعاده إليها مرةً ثانية

- هل لكما طفل أول !!

= هي لها

- هل توضح لي أكثر!
= أنا طفلها الأول
لم تندهش طيف مما قاله حازم فهي تعلم أن الرجل إذا أحب أعطى حبيبته كل شيء بداية من مشاعره حتى يتمنى أن يجتمعا في الجنة، فليس غريبًا على حازم أن يرى زينة أمه التي يطمئن بوجودها تارةً ومدللته التي يسعى لإرضائها دَومًا تارةً ..
- ماذا تودّ قوله يا حازم ؟
= أعلم أنك تحبينه
- من هو ؟
= دكتور جاسم
لم ترد طيف وتركته يكمل ..
= لم تقوليها ولن تقوليها لكن عينك تخبر من أمامك بكل شيء، سأرحل قريبًا جدًا ولا أريد أن تعاد تجربتي مع زينة، فعليكِ أن تحتويه، أتركِ لقلبك العنان يا دكتورة طيف ..
ما كاد يكمل جملته حتى دخل دكتور جاسم الذي اتسعت عيناه دهشةً لرؤية طيف، فهو حذرها أن تقترب من مرضاه بالأخص حازم وسليم، لكنه لأول مرة منذ أن عرف طيف تعامل بحكمة، فطلب منها الإستئذان وانتظاره بالخارج، وبدون تردد أخبر حازم أنه سيصدر أمر بخروجه اليوم ..
خرج جاسم ليمسك بذراع طيف بغلظة قائلاً بصوت منخفض لكنه أجش حتى لا يسمعه أحدًا :-
- وبعدين في العند ده ؟
لم تكن طيف في حالة تسمح لها أن تردّ عليه فكلام حازم ساهم في ارتباكها، فما إن غضب جاسم حتى اغرورقت عيناها بالدموع، فـ لانَ قلب ذلك المتعجرف وترك ذراعها وابتعد عنها قليلاً ثم أعتذر في هدوء مُبررًا موقفه
- جاسم :- يا طيف افهمي، احنا هنا في مكان شغل، كفاية عناد بقى مش شايفة وصلنا لإيه ؟
ردت بصوت منخفض ودموعها تتساقط :-
= طيف :- وصلنا لإيه !!
تمنى جاسم في هذه اللحظة لو كان بإمكانه ضمها بين ذراعيه والصراخ فيها عما جعلته يفعل، تمنى لو استطاع أن يخبرها أنها جعلته يرتدي دبلةً لا يريد إرتدائها قط ، لكنه التزم الصمت وتركها ورحل ..
مرت عدة أسابيع والحال كما هو، لا تهتم درة بعدم إعلان أمر خِطبتهم بل تهتم باختيار أثاث شقتها وتواجه ذلك بعدم اهتمام جاسم الذي بات يفتعل معها المشكلات لكنها تتفاداها بدهاء ومكر ليعجز جاسم في النهاية ويمر الأمر بسلام، تهتم طيف بعملها وقد أظهرت تطورًا واضحًا وبدأ اسمها يُذكر بين المرضى ..
أما عن سليم فقد أرهق جاسم بشهادة الجميع، فقد حاول معه بكل الطرق أن يفصح له عما يعانيه ولكنه لا يستجب، حاول أن يتواصل مع دائرة معارفه ولكن دون جدوى، مازال متمسكًا ببعض الكلمات التي تصعب الأمر ..
قررت طيف أن تقتحم غرفة سليم بعدما فشلت جميع محاولات جاسم، فلعلها تصل لشيء ..
انتظرت في المشفى حتى حلَّ المساء، وتأكدت أن سليم قد غاط في سبات عميق، ففتحت باب الغرفة

بحرص ودخلت بهدوء وهي تتكىء على أصابع أقدامها برفق دون إصدار صوت، وجدته نائمًا على السرير وفي يده قلم وورقة صغيرة واقعة على الأرض، فأخذتها برفق وفتحتها لتقرأ ما فيها ..
"بعدما أمضيت وقتًا لا بأس به في هذه المصحة الروتينية، قابلت المدعو جاسم حمدان وللحق هو طبيب ماهر، أعلم أنه الوحيد الذي سيساعدني أن أتعافى مرةً أخرى، رأيت أيضًا طيف، رأيت الغدر يخرج من عينيها، أعلم أنها ستنتقم يومًا ما ..
مرَّت الأيام ولم تمرَّ هي، مازالت تلك الغصة في قلبي تؤلمني، مازلت فاقدًا للثقة حتى لذاتي، بُهت وجهي، تبدلَّت ملامحي، صرتُ أشبه بالمومياء، لا يفصلني عن تعداد الموتى سوى تلك الأنفاس الضئيلة، فعلت بي مالا تفعله مشنقة الإعدام، أشعر بالكرب ولا أملك البوح، سئمت حنجرتي الصراخ، ذلك الثقب في فؤادي، ذلك الألم الذي يتوغل في جميع أنحاء جسدي، من ذا الذي سيضمده، جُفت دموعي، ما يرهقني حقًا أنني مازلت أشتاق لها، كنت أشكو لها منها، ودَّت لو ربتت بيدها عليَّ لأشعر بالراحة ولكن ما إن همّت لتفعل حتى في مخيلتي أشعر بنيران تخترق أنسجتي، تاللَّه لم أقدم لها سوى ما ترضاه وقدمت لي ما لا يرضاه اللَّه، كنت أرتوي من حبها فبعد رحيلها لم يرحل الظمأ عني، أشعر بالتعب والخذلان، تحملت الكثير لأصل بها لبر الأمان وعندما وصلت كنت أنا ثمن الرحلة، لقد تمت الموافقة عليها من قبل قلبي وعقلي فمن سيساندني الآن !!، أصبحت لاجئًا بعدما كانت مسكني، سأظل تائهًا للأبد بعدما فقدت بوصلتي، وقفت أمام المرأة ليالٍ أتأمل ملامحي التي كانت تكتب لها قصائد، أمازالت أدمية !!، كنت أتفادى الجميع من أجلها هي، كنت لا أرى غيرها، أعلنت سيطرتها على جميع خلاياي ثم تركتني، أريد أن أرتمي بين أحضانها، أريد أن أشعر أنني طفلها المدلل، اشتقت لنسمات الهواء وهي تتلاعب بشعيراتها الطويلة، تمنيت لو أن قلبي سامحها على كبيرتها لكنه أبى " ..
ما إن انتهت طيف من قرائتها حتى وجدت يدًا تمسك بمعصمها ..

ارتعشت يد طيف وألقت الورقة أرضًا حتى تلاقت أعينها بأعين سليم ..
- سليم :- ماذا تفعلين يا طيف !
تلعثمت كلمات طيف ولم تعرف بما تجب لكنه كرر سؤاله
- سليم :- أسألك ماذا تفعلين يا طيف !!
= طيف :- هل كنت تحبها لهذه الدرجة ؟
وكأن هذه الكلمة هي المفتاح لحل الموقف فجذبها من يدها برفق وأجلسها في إحدى أركان الغرفة هامسًا-:
- حتى لا تلتقطك الكاميرا
= عفوًا !!
شاور سليم بيده على إحدى الكاميرات المثبتة بعناية أقصى اليمين ثم هدأها لا تقلقي، هي لا تقتحم خصوصية الغرفة هي فقط تصور هذا المكان لعل المريض يريد أن ينهي حياته فحينها يتدخل البطل المنقذ جاسم ..
= هو من أخبرك بذلك ؟
- لا أحد يعلم بوجودها ! أنا من اكتشف ذلك
تذكرت طيف عندما دخلت لدرة وكانت تجلس في هذه الزاوية عندما وضعت لها الورقة ومن هنا

علمت كيف كشف جاسم أمرها ..
نظر سليم لأعلى وكأنه يتأمل اللا شيء ثم قال بصوت مهزوم :-
- لم أكن أحبها فقط، لقد وجدت حياتي عندما وجدتها، كنت إنسانًا روتينيًا لا يحمل هم الغد وما إن رأيتها حتى انتظرت ذلك الغد الذي يجمعني بها، لم تكن مثل البقية، لم تتعمد لفت انتباهي، قد فعلت عيناها دون مجهود، أنا من جاهدت حتى أظفر بها ، لم تكن ذات الجمال الفائق، لكنها في عيني أجمل ما خلق المولى، ضحيت من أجلها بكل شيء أملكه ولا أملكه، حتى انتهزت الفرصة وضحت بي ..
= من هي ؟
- لا أريد نطق اسمها مرة أخرى
= لماذا ودّدت الانتحار ؟
- لأنني لا أستطيع العيش معها ولا بدونها
= لماذا استجبت لندائي فقط !
- لأنك تشبهينها
= في ماذا ؟
- كانت تفعل بي كل ما يجعلني أسقط في الهلاك، وما إن همّمت حتى تناديني بصوت رقيق مصطنع "سلييم" لا تفعل ذلك ..
= لم أفعل بكَ شيئًا يا سليم !
- لكنك ستفعلين معه
= مع مَن ؟
- الذي جاء ببالك الآن ..
تركته طيف وهي تتعجب لحاله ! هل لمريض نفسي أن يتفوه بكل هذه القصائد !! كأنه يحاسبني عما يدور في بالي !! كيف يعلم أنني أنوي الانتقام من جاسم ! ألا يعلم ماذا فعل ذلك المتعجرف بي ! تاللّه لن أسامح ..
بعدما مرَّ وقتًا لا بأس به على خطبة جاسم ودرة، لم يعد جاسم متقبلاً ما وُضع فيه قسرًا، فحدد موعد مع درة لينهي ما بدأه بغير إرادته ..
- جاسم :- أنا تعبت من المشاكل يا درة
= درة :- أنهي مشاكل ؟
- احنا كل يوم بنعمل الف مشكلة
= وأنا بحلها
- حاسس أننا مش متفاهمين
= طب أنا هحاول أفهمك
- أسلوبك ده السبب
= أسلوبي ده اللي كنت بتحبه زمان
- عمري ما حبيته يا درة

= لا كنت بتحبه يا جاسم وبتحب أي حد يمدحك ويرضي غرورك
- أنا مغرور !
= لا أنا أسفة مقصدش
- أقصدي يا درة، بلاش أسلوبك ده، بطلي تحاولي تراضيني
= حاضر، حاضر والله أنت لحد دلوقتي مأعلنتش خطوبتنا وأنا موافقة عادي مش متضايقة
- بردوه!!
تجمعت دموع درة و انهمرت بغزارة لتسأله بصوت خافض :-
= طب أنت عاوز إيه و أعملهولك ؟
- مش عاوز يا درة، حصل خير
يكره جاسم هذا الأسلوب، إنه نوعًا من أنواع الابتزاز العاطفي، تعلم أنني لا أقوى على الصمود أمام دموعها، ليس لأنها درة بل لأنها أنثى، تخبرني دَومًا أنها ستفقد حياتها إن فقدتني ! فتجبرني على الاستمرار، لا يجب أن أتزوج من فتاة فقط لأنني أشفق عليها !!
اتجه جاسم لنجيب الذي يعي جيدًا أنه سيلقي اللوم عليه لكنه يحتاجه ..
- جاسم :- أنا تعبت يا نجيب ومبقتش عارف أتصرف ازاي
= نجيب :- طب منا قولتلك قبل كده وحذرتك كتير
- هو أنت هتساعدني ولا عاوز تطلعني غلطان وبس
= عاوزك تفوق يا جاسم لأنك مش هتطلع نفسك غلطان، ياجاسم ده جواز يعني لازم تفكر بعقلك وقلبك سوا، مينفعش ضفة تغلب على التانية ولو حكمت يبقى عقلك اللي يغلب يا جاسم
- كعقل درة مناسبة
= هو أنت بتفكر بعقلك ازاي ؟ عشان بتحبك وبتحاول تراضيك تبقى مناسبة ؟
- هتعرف تتعامل معايا
= طب وأنت ؟ عارف تتعامل معاها !
- يعني أنا كنت عارف أتعامل مع طيف ؟
= مين اللي جاب سيرة طيف يا جاسم ! ولا أنت بتتلكك !!
أنت ليه حصرت الموضوع في طيف ودرة !! وإن كنت شايف أن طيف مناسبة لكن لو أنت مش شايف ده مينفعش تجبر نفسك، أوقات كتير بنجبر نفسنا على مواقف مش مضطرين نتصرف فيها كده، دايمًا بيكون في باب تالت وفي الغالب بيكون هو الحل، بس احنا مش بنشوف غير أول بابين، يا إما أه يا إما لا، بنحط نفسنا جوه مكان مش شبهنا، احنا اللي بنأذي نفسنا، درة لسة مريضة يا جاسم ووجودك جمبها بيأذيها أكتر
- درة تعافت
= درة تعافت من صدمة والدها لكنها دلوقتي مريضة بالاحتياج، درة محتجاك مش بتحبك، مينفعش تتجوز حد لمجرد أنك بتسد خانة عنده، أنت كمان ليك متطلباتك، لو مش مرتاح متكملش يا جاسم
- طيب مش هأذيها ؟
= هتأذيها أكتر لما تعيش معاها وأنت مش بتحبها

- والمفروض أعمل إيه ؟
= بصفتك طبيب تعالجها، بصفتك خطيبها تمهدلها واحدة واحدة وتنسحب بهدوء لحد ما تتعافى منك ..
مر جاسم على غرفة حازم وقد وجدها خالية، فتذكر أن أخر من اجتمع معه هو طيف، تنهد ثم رحل ليقف أمام غرفة سليم ثم يطرق الباب فيأذن له بالدخول ..
- جاسم :- ألم يئن الوقت لتتحدث معي ؟
= سليم :- ماذا تريد أن تعرف !
- مما تعاني ؟
= من ألم
- ما سببه ؟
= هي ؟
- ألن تخبرني بهويتها ؟
= لا
- ماذا فعلت بكَ ؟
= لقد جعلتني أحبها وأبغضها في آنٍ واحد، أريد أن أكمل حياتي معها ولكنها أنهتها قبل أن ترحل، لا أعلم إن أحببتها حقًا أم أحببت ذلك الشعور الذي لا أجده مع غيرها
- لذلك تفكر في الانتحار ؟
= لا أفكر ، بل أخطط
- أنا هنا لمساعدتكَ
= هل انضمت لنا طيف ؟
- دكتورة طيف!!
= نعم أريد طيف
- هل دكتورة طيف ستجعلك تتحدث !
= ربما
هاتف جاسم طيف لتحضر في الحال وأصرّ أن يلقبها بدكتور طيف حتى يقلده سليم، فجاءت مسرعة ليقابلها سليم بإبتسامة لا يعلم معناها سواهما، فغضب جاسم حيال ذلك لكنه آثر الصمت ..
جلست طيف على مقربة من سليم الذي راقبها بعينه، ينظر من حين لآخر إلى جاسم بنظرات مشفقة ، فقطعت طيف الصمت قائلةً :-
- طيف :- كيف حالك اليوم يا سليم ؟
= سليم :- بخير، ماذا عنكِ
تدخل جاسم في الكلام ولم يستطع أن يخفي غيرته أكثر من ذلك قائلاً :-
- هل تقابلتما قريبًا ؟؟
ليرد سليم سريعًا :-
= سليم :- لا

ثم نظر لطيف وكرر تلك الإبتسامة ..
- جاسم :- هل تودَّ أن تتحدث معها منفردًا، أما أشارككما ؟
= سليم :- ودَّدت أن أراكما سويًا
طيف وجاسم في آنٍ واحد :- عفوًا !!
هنا تعالت صفرات الإنذار وتمت مناداة دكتور جاسم حمدان ليرى الكارثة التي حدثت، جرى جاسم بسرعة حتى وجد آثار الدماء على الأرض ..

جرى جاسم دون أن يحدد وجهته، كان فقط يتتبع آثار الدماء، حتى وجد نفسه يتجه نحو غرفة درة ..
وجدها مُلقاة على الأرض ومن حولها فريق الإسعاف يحاولون إسعافها سريعًا وهناك من يمسك بذراعها ليمنع تساقط الدماء ..
اقتربت منها وأبعدتهم عنها ثم حملتها برفق واستعنت بفريق من الأطباء المساعدين، بحمد اللّه تدخلنا في الوقت المناسب وتم إنقاذ درة ..
عادت مرة أخرى إلى غرفتها، جلست بجانبها حتى فاقت، فما إن رأتني بجوارها حتى مسكت يدي وظلت تبكي، ربتت على كفها ومسحت على شعرها برفق وحاولت تهدئتها فاستجابت لي ولكنها لم تكف عن البكاء ..
جاسم :- أهدأي يا درة، لم يحدث شيئًا، أنتِ بخير
ردت درة بصوت خافت ضعيف :-
= درة :- أصبحت بخير عندما وجدتك
- وأنا الآن بجانبك، لا تبكي
= لقد خشيت عليَّ الموت، أليس كذلك ؟
- بالطبع
= لأنك تحبني، صحيح !
سكت جاسم ولم يتفوه، فقد تسرع مرةً ونطق كلمةً أجبرته على فعل لم يكن يريده، فلن يكرر خطأه مرةً أخرى
ولكن درة عادت لتسأل ثانيةً
= جاسم، أنت تحبني، صحيح
- لا تتحدثين يا درة، فأنتِ متعبة
= لا يهمني التعب بقدر ما تهمني أنتَ
- وأنا بجانبك، فقط ارتاحي
= لقد فعلت كل ذلك من أجل أن تنطقها، ولا تريد!!
- استرخي يا درة، فأنتِ تحتاجين للراحة
=أنتَ راحتي
- تحتاجين النوم
= لا أحتاج سواكَ

بدأت تسترخي درة حتى دخلت في سبات عميق إثر المهدأ الذي أعطاه لها جاسم وتركها ورحل ليذهب إلي صديقه نجيب ..
وجد جاسم أن نجيب ينتظره وقد اشتد غضبه وما إن رأى جاسم حتى وجه له لكمات على هيئة كلمات ..
= نجيب :- أنت راضي عن اللي حصل ؟
- جاسم :- لا
= يبقي تحل مشاكلك خارج المستشفى
تقصد إيه يا نجيب!
= أقصد أنكَ نسيت أننا هنا في مستشفى، وأنك دكتور، وأن اللي حصل أن كان فيه بنت هتموت بسببك، بسبب أنك عنيد، بسبب أنك مش عايز تعترف أنك بتحب طيف أو حتى مش قادر تحدد إن كنت بتحبها ولا لا، حتى لو مش بتحبها ليه قررت تظلم درة ! قولتلك درة محتاجة تتعالج بس أنت كابرت، أنت دخلت حياة درة في وقت صعب جدًا ومحدش عرف يتعامل معاها غيرك وكانت فاقدة الثقة في كل الناس إلا أنت، كان من الطبيعي أنها تدور عليك أول ما تبدأ تتعافى، مكنش ينفع تفضل موجود بنفس الشكل اللي كنت موجود بيه قبل كده، كان لازم تنسحب تدريجيًا لحد ما تختفي خالص، لكن اللي حصل أن طيف ظهرت، وأنتو الإتنين بتدخلوا المرضى في مشاكل ابتكرتموها عشان كل طرف يرضي كبرياءه
- نجيب، أنا..
قاطعه نجيب ولازال غاضبًا :-
= أنا حذرتك يا جاسم، حذرتك لأن اللي بينا أكبر من شراكة، أتمنى تعود لصوابك مرة تانية
خرج جاسم ولأول مرة يشعر أنه انهزم، ليس لأن درة حاولت الانتحار، بل لأن صديق عمره حدثه كما لم يحدثه أحد من قبل، على الرغم من مصداقية كلامه لكنها كانت كالطعنات، فتولى جاسم نصيبه منها ثم صعد إلى الكافتيريا التي جمعته بطيف أول مرة واختار منضدة بعيدة ثم جلس وظل يتأمل مياه النيل الصافية ..
حتى وجد من خلفه يدًا تربت عليه فأدار رأسه ليتفاجأ بطيف ولكنها قالت برفق :-
= طيف :- هل سمحت لي أن أجلس معكَ ؟
- جاسم :- تفضلي
= أسفةً لما حدث لدرة
- شكرًا يا طيف
= هل الأمر له علاقة بوالدها ؟
- لا
= إن أردت أن تحكي فأنا هنا
لأول مرة يستغرب جاسم تصرف طيف، فهو اعتاد عليها وهي مجنونة، عنيدة، تريد أن تنافسه، تثبت له أنها الأفضل، أما الآن فتحاول أن تشاركه همومه ! للأسف هو مضطر أن يتحدث معها، ليس فقط لأنه ليس سواها بعدما رفضه نجيب لكنه يظن أنه سيجد الراحة معها.
لم يفكر جاسم فيما سيقوله ولم يرتب كلماته كما اعتاد طوال حياته، بل قرر أن يأمر خلاياه المسئولة

عن النطق أن تبدأ في العمل ثم ترك لها العنان بالكامل دون أية قيود ..
- لا أعرف كيف بدأ الموضوع بالضبط لكنه بدأ، دعينا نتكلم في وقتنا هذا، أنا جاسم حمدان، الدكتور جاسم حمدان، ميسور الحال إلى حد كبير، أساهم بجزء كبير في هذه المشفى، أمارس مهنتي بدقة واحترافية، لم أفشل في علاج أية من الحالات مهما بلغت صعوبتها، لم يستطع أحد مواجهتي سواكِ
= ولكنني لست من بدأت بذلك
- أعلم، ولكنكِ اقتحمتي الطاولة
= لم أكن أعلم يا جاسم !!
- كان من المفترض أن تعلمي
= دعكَ من هذا، وأكمل
- تفتعلين معي المشاكل، ولا تستخدمي إلا سلاح العند، وجدت نفسي في دائرة لم أكن أعلم حدودها، وجدت كل همي أن أضايقكِ
= رأيت !! أنت من تريد مضايقتي
- أو ربما كنت أفعل ذلك لنتعامل بأكبر قدر ممكن
= عفوًا
- أحب التعامل معكِ يا طيف وإن كنتي تعانديني
= لربما تغضب درة إن سمعت ذلك الكلام
هنا صمت جاسم ونظر للمياه مرةً أخرى ثم تنهد ونظر لطيف قائلاً :-
- لا أهتم
= لكنها خطيبتك !
- أعتقد أنه أكبر خطأ قد اقترفته في حياتي
= خطأ !
- نعم يا طيف ، وأعلم أنكَ تعلمين أنه خطأ
= لكنكَ تحبها !
- إن كنتي تريدين مضايقتي، فهذا ليس وقتًا مناسبًا
= لم أكن أقصد
- تاللّه وأنا لم أكن أقصد أيًا مما حدث
رنَّ هاتف جاسم ليتم إخباره بأن سليم يريده ليتحدث معه، فطلبت طيف أن تأتي معه فلم يعارض .. قبل أن تدخل طيف سأل جاسم سليم أولاً إن كان يريدها فوافق علي الفور ..
جلست طيف بجوار جاسم وجلس سليم أمامها وظل يتأملهما لدقائق قبل أن يتفوه قائلاً :-
= سليم :- هل إذا تحدثت، ستخرج من عقلي ؟
- جاسم :- بالطبع يا سليم، فقط تحدث
= طيف :- من هي ؟
هنا نظر جاسم نظرةً حادة لطيف فلم يكن عليها أن تشعر سليم بأن فضولها هو من يحركها، عليها

أن تسمعه جيدًا حتى يطمئن فيقول ما بداخله وإن كان قليلاً ثم تشبع فضولها ..
رجع سليم بظهره إلى الوراء قليلاً ثم نظر إلى السقف قائلاً :-
= سليم :- تُدعى رقية، كنت أكبرها بخمسة أعوام، ظننت أنني وجدت معها ما لم ولن أجده مع غيرها، قدمت لي كل سُبل العشق، حتى وقعت في شباكها وكنت كالأسير، كنت لا انتظر أن تطلب حتى تتحقق أمانيها، عندما يشاهدنا أحد يحذرني منها فكنت أنهال عليه ضربًا مُبرحًا واعتذر منها كثيرًا، ذات مرة ذهبنا سويًا إلى مقهى حينها نظرت لعينيها بتأمل، هذه هي المرة الأولى التي لم أشعر معها بالأمان، الغريب في الأمر أن نظراتها لم تتغير، لربما أنا لم ألاحظ منذ البداية ..
هنا تدخل جاسم قائلاً :-
- حسنًا، يكفي هذا القدر اليوم، أذهب أنت لتأخذ الدواء ثم استرح
ثم رحل هو وطيف الذي عاتبته على الانسحاب فأقر لها أنه هو التوقيت المناسب، فدموع سليم بدأت بالسقوط فإن كان تذكر أكثر من ذلك لدخل في نوبة هلع نحن في غنى عنها، فردت هي :-
= لكنني كنت أريد معرفة الباقي
- نحن هنا لنعالج المرضى، ليس لنسمع قصص تقضي على فراغنا
نظرت له بحدة ثم كادت أن تطلق كلماتها في وجهه لكن ممرضًا تدخل في الوقت الأنسب وأخبره أن درة قد استيقظت وتريد مقابلته ..
ذهب جاسم لدرة ليجدها مازالت منهمكة في البكاء فحاول أن يقترب منها ليهدئها
- جاسم :- لماذا تبكين يا درة !
= أنتَ لا تحبني ، صحيح ؟
- لِمَا هذه الأسئلة في ذلك التوقيت !! أنتِ متعبة
= حسنًا، لن أسألك مرةً أخرى لأنكَ لا تريد أن تجيب، يكفى أن جعلتكَ تخاف عليَّ
لم يعد جاسم يتقبل كلام درة المعسول ويريد أن يتخلص منه في أسرع وقت، فهز رأسه مجبرًا لترد هي :-
= لقد فعلت ذلك من أجلكَ، فرجاءًا كن بجانبي
- حسنًا يا درة
لم تقتنع طيف بكلام جاسم فأصرت أن تدخل لسليم حتى يكمل ما بدأه، فدخلت غرفته دون أن يراها أحد، ثم اقتربت من سليم لتشبع فضولها ولكن ما حدث لم يرضي أحدًا على الإطلاق ..
فما إن لمحها سليم تتسلل داخل غرفته حتى صرخ في وجهها منعتًا إياها بالخائنة هي الأخيرة، فأيضًا رقية كانت تتعمد كسر أوامره، ولم تكن تنصت له كما فعلت هي تمامًا، حاولت أن تجعله يهدأ أو على الأقل يخفض من صوته حتى لا يحدث ما تخشاه، ولكنه غضب أكثر فارتفع صوته حتى سمعت صوت جاسم من الخلف يصرخ فيها قائلاً :-
- ماذا تفعلين هنا يا طيف !!!!!!!

ظنت طيف أن جاسم سوف يجذبها من يدها ويقوم بصفعها على وجهها، لأول مرة تشعر أنها تخشاه، لكنه فعل عكس ذلك تمامًا ..
فما إن أدارت وجهها إليه ورأى دموعها حتى تجرد من صراخه وهرع إلى سليم وظل يطمئنه ثم

أعطاه مهدئًا جعله يغوص في سبات عميق، فحمله جاسم بمساعدة طاقم التمريض ووضعه على السرير ثم ذهب لطيف وطلب منها في هدوء أن تخرج ..
لازالت طيف تشعر أن هذا الهدوء الذي يسبق عاصفة جاسم، وقف أمامها ثم قال :-
-جاسم :- أيمكننا أن نتحدث قليلاً !؟
لم ترد طيف بل أومأت برأسها ..
صعدا لأعلى ثم جلسا على منضدة معزولة عن الزحام ثم طلب لها ليمونًا بالنعناع وطلب منها أن تهدأ أولاً ثم بدأ حديثه بعتاب :-
- جاسم :- لقد أخبرتك ألا تقتربي من سليم وأنتِ بمفردك !
= طيف :- لم أكن أقصد
- أعلم يا طيف ، لكنه مريض، من الممكن أن يفكر في الانتحار ثانيةً
= نعم
- تعلمين ، لم يسبق لأي حالة في هذه المشفى أن لم تُشفى
= أعلم
- هذا يعني أنكِ لن تفعلي شيئًا بدوني ثانيةً !!
كانت تودّ أن تقول نعم لكنها تذكرت ذلك القسم الذي أقسمته أكثر من مرة أن تنتقم من جاسم، فمهما رأت منه الآن لن تنسى ما فعله بها مُسبقًا، فهو تسبب في سقوط دموعها وهذا شيء لا يغفر لديها ..
قطع جاسم حديثها مع نفسها قائلاً :-
- طيف، أليس كذلك !؟
حينها لم تكن قادرة على التفكير، ماذا عن الانتقام، القسم، دموعها، ما فعله بها !! ولكن سرعان ما جاءتها الإجابة فهي تستطيع أن تنتقم دون أن تجرحه، عليها تولي حالة سليم وعليه أن يُشفى بفضلها هي، حينها ستكون حققت ذاتها وأثبتت للجميع وأولهم جاسم أنها تستحق الالتحاق بهذه المشفى،
فنظرت لجاسم ثم قالت :-
= حسنًا أعطي لي الأذن بمعالجة سليم
- بمفردك يا طيف !!
= إن أردت مشاركتي فلا بأس
- لن تستطيعي علاجه بمفردك
= فلنتشارك إذن
- موافق
كان هذا الحديث بمثابة معاهدة سلام بين طيف وجاسم، فسيتخلى جاسم عن مضايقته لها وستتخلى هي عن عنادها بشرط أن تعالج سليم بمجهودها، فهي أُرغمت على الموافقة أن يشاركها لكنها تعلم جيدًا كيف ستجعل سليم لا يثق إلا بها ..
صعد جاسم إلى درة ليطمئن على حالتها فوجدها أفضل من أمس لكنها فاجأته بسؤالها عن طيف !!
= درة :- هل طيف بخير !
- جاسم :- نعم لماذا !

= هل تثق بها ؟
- أي ثقة تقصدين !
= لقد سمعتها ذات مرة وهي تسترق السمع بينك وبين دكتور نجيب
- ماذا تقولين يا درة !!
= أقسم لكَ
لم تكن تنوي درة أن تخبر جاسم لكنها شعرت بمدى تطور علاقته مع طيف خاصة الفترة المقبلة فأرادت أن تدخل الشك قلبه حتى لا يثق فيها بسهولة، ومن الجهة الأخرى طرد جاسم هذه الأفكار لأنه يعلم جيدًا أن درة تحبه وتغير عليه فستحاول تشويه صورة أي أنثى تحاول الاقتراب مني ..
مرت الأيام سريعًا حتى تعافت درة، أما عن سليم فتارةً يستجيب لهم وتارةً لا، وبدأت طيف في خطتها وجعلت سليم يلين معها ويخبرها بما لا يخبر جاسم به، ربما كان يراها مكان حبيبته !!
ذات يوم دخلت طيف على سليم فوجدته يخفي دموعه عنها فجلست بجواره وجلست تربت على كتفه فمال على كتفها ثم انهمر في البكاء ..
لم تستطع طيف أن توقفه أو حتى أن تبتعد عنه فهي تقدر ما به الآن، فظلت تربت على كتفه فقط دون أن تتفوه بكلمة ..
رفع رأسه لأعلى ثم نظر لها قائلاً :-
"لقد اشتقت لها، لا أعلم لِمَا لا ترحل من داخلي كما رحلت من عالمي، لقد تعرضت للخيانة منها بعدما تصديت لأمي، أخبرتني أمي أنها لا تناسبني وعندما سألتها عن السبب قالت ثمة شعور بداخلي، لم أهتم لشعور أمي وتقدمت لخطبتها حتى هاجرتني والدتي ولكنني كابرت وأقسمت ألا أكمل حياتي مع سواها، قمت بخطبتها رغمًا عن أمي، لأكتشف بعد ذلك أنها لم تحبني قط، هي فقط أحبت ما كنت أقدمه لها، كانت تحتاج أن تشبع ما تفتقده ليس إلا، ولأنني أعطيتها قلبي رأيت كل أشياء الدنيا لا تضاهي حياتي معها، كنت أقدم لها كل ولائم الطاعة وأقابل هذا بعند وتكبر، جميع من حولي كان يقسم لي أنها لا تبادلني المشاعر لكنني كنت أرى حبي في عينها، أعتقد أنني الوحيد الذي رأى ذلك الخداع، كانت تطلب الكثير من المال وكنت أصغى لأوامرها، كنت أسمع أمي تدعو اللّه أن يخلصني منها فكنت أبغض أمي أكثر وأحيانًا أعنفها، وعندما علمت ما وجدت بجانبي سوى أمي، لذلك أردت التخلص مني، ليس لأنني لا أستطع العيش بدونها فحسب، بل لأن نفسي قامت بإيذائي، قامت باختيار أسوء مخلوقة على وجه الأرض ووثقت فيها، لا أريد أن أثق في أي سيدة مرةً أخرى، فأنتن خليفات إبليس على الأرض"
لم تعقب طيف على كلامه فقد علمت من جاسم مؤخرًا أن تعطي المريض مساحته الخاصة حتى وإن أخطأ، عندما يتعافى سيدرك كل صحيح ..
قام سليم وتجول في الغرفة وهو يكمل حديثه :-
"رغم كل ذلك اشتاق إليها، لربما الأمان الزائف الذي شعرته معها، كنت أراها دقيقةً فيضطرب قلبي لأعوام، كانت كالشمس، استمد من ضوئها حتى أنير عتمة قمري الداخلي، كانت دائمًا ما تفوز بإصلاح ما تُلف بداخلي، كانت المحاولة ياء بالنسبة لي"
هنا تدخلت طيف قائلةً :-
= أشعر أنكَ أيضًا كنت تشبع احتياجًا ما، أظن أنك أوهمت نفسك بحبها، بينما تمدح فيها تصدر

منك كلمات تذمها ولا تشعر، فهي لم تبادلكَ الحب، لم تساندك، كما أنك أخبرتني أنها قامت بخيانتك !!

- هل لكِ تجربة حب سابقة ؟

= لا

- لماذا ؟

= لم أجد من يستحق قلبي

- وإن وجدتيه، هل ستصوني قلبه ؟

= بالطبع

كانت درة ترغب في إعلان خطبتهما لكن جاسم يرفض ولا تريد أن تفتعل معه مشكلة، ففي الفترة الأخيرة هو يفتعل مشكلات لا حصر لها وهي تتفادها بكل ما أوتيت من قوة، فهي لن تجعل جاسم يفلت من قبضة يديها بعد أن ألبسها هذه الدبلة حتى وإن كانت بغير إرادته ..

أما نجيب فكان منهمكًا في إدارة المشفى، ورغم انشغاله لم يتخلَ عن صديقه جاسم، فكان دائمًا ما يقدم له النصائح، سعيدًا بما وصل إليه الأمر بينه وبين طيف، مؤكدًا عليه في كل مرة ألا يخبر أحدًا بأمر خطبته لدرة وأن يتخلص من هذه الخِطبة في أسرع وقت، وبدأ جاسم أن ينصاغ للأمر ..

فبدأ يهمل درة، وللحق هو لم يبدأ فهو يهملها منذ أن أُجبر على خطبتها، لا يجيب على مكالماتها، لم يعد يجلس معها على منضدتهما، لم يعد يجلس معها في الأساس، كلامها المبالغ فيه تجاهه يشعره بالضيق، حتى أنه لم يعد قادرًا على مساعدتها في أن تتخلص من الاحتياج ..

دخل جاسم بمفرده لسليم بعد أن سأل طيف فأخبرته أنها كانت عنده بالأمس فيمكنه الدخول بدونها، فدخل ليجده بحالة جيدة إلى حد ما فسأله :-

- جاسم :- أرى أنك بحالة جيدة اليوم، أليس كذلك ؟

= من المفترض !

- ليس هناك شيء مفروضًا عليك، فما تشعر به أخبرني إياه دون تردد

= لم أقصد ذلك، أقصد أنه من المفترض أن أكون بحالة جيدة بعدما تحدثت مع طيف

شعر جاسم بالغيرة تجاه هذه الكلمات لكنه لا يملك الحق في الرد، ولو أنه أراد أن يلكم هذه الوجه الوسيم حتى يدميه، اصطنع جاسم الابتسامة ثم رد عليه قائلاً :-

- نعم، فدكتورة طيف تعلم قواعد مهنتها جيدًا، فلا تفعل شيئًا سوى ما درسته في الكتب

وكأن جاسم أراد أن يبلغ سليم أنه مجرد حالة مريضة عند طيف وأنها لا تعامله معاملة خاصة، هي فقط تمارس مهنتها التي أشرف عليها ..

فرد سليم-:

= أعلم أنك أمهر منها، لكنها جيدة

- هل هناك ما تخبرني به اليوم ؟

= نعم

- حسنًا، أسمعك جيدًا

= ذات يوم كنا نتحدث سويًا، وأخبرتها بنقاط ضعفي، فردت بوجه ملائكي أنها بجواري وستساعدني لأتخطى أي مشكلة

- جيد وماذا بعد ؟
= عندما قصّصت عليها أول مشكلة أمر بها في الوقت الحالي، أخبرتني أنني إن لم أجد لها حلاً ستتركني ..
- هل تركتها لهذا السبب ؟
= لا لقد أوجدت حلاً من أجلها، فلم أكن أتخيل حياتي بدونها، حينها حدثتني والدتي التي أعطتني خاتمها لكي أبيعه وأخرج من المأزق الحالي أن هذه الفتاة لن تساندني، فأنا لم أطلب منها سوى الدعم النفسي لكنها وجدته أكثر مما استحق
- وماذا كان رأيك في حديث والدتك !!
= كنت أراها تبالغ، فكيف ستساندني رقية وهي لا تمتلك المال، وإن كانت تمتلكه فليس لي حقًا لأطالبها به ..
- لكنك قلت أنك تحتاج الدعم النفسي
= لا عليكَ
أدرك جاسم أن عقل سليم لازال متمسكًا بصورة رقية الحسنة، ربما لم يقوى بعد على تقبل الحقيقة، فآثر جاسم إنهاء الحديث حتى هنا وطمأن سليم وهدأه ثم تركه ورحل ليجلس مع صديقته المقربة الجديدة وهي طيف ..
= طيف :- هل أنت على ما يرام ؟
اندهش جاسم من سؤال طيف، فهي التي كانت تتمنى رؤيته بحال سيء تسأله اليوم إن كان به شيئًا !!، اغتنم الفرصة ورد سريعًا :-
- جاسم :- لقد كنت مع سليم وأخبرني بعدة أشياء
= ما هي ؟
- دعينا منه، ماذا سيكون رد فعلك إن أخبرك أحدهم بنقاط ضعفه ؟
= إن كان مريضًا سأ...
قاطعها جاسم سريعًا قبل أن تكمل حديثها قائلاً :-
- ليس مريضًا، شخص قريب منك
ما كادت أن تجيب حتى رنَّ هاتف جاسم فنظر ليرى المتصل فإذا بها درة فقام بإغلاق الهاتف ثم طلب من طيف أن تكمل ..
= لن أجعله يعلم أنها نقاط ضعف
- كيف ؟
= سنعالجها سويًا حتى يشعر أنه انتصر عليها، فلم تكن ولم تعد نقاط ضعف إذن ..
وكأنها الإجابة التي أراد سماعها، فجاسم مثله مثل أي شخص يحمل نقاط ضعف ونقاط قوة ولكنه يفضل أن يظهر بمظهر القوي دائمًا، فلديه عزلة يمكنه الانهيار فيها كما يشاء ..
- ماذا عن نقاط ضعفك ؟
= هل تريد استغلالها !
- ولِمَا !

= ولِمَا لا تستغلها ؟
- لا احتاجها يا طيف، فإن أردت مضايقتك فعلت ذلك بدون مساعدات
= تودّ أن تعود الحرب ثانيةً، أليس كذلك ؟
- لا، تاللّه لا أريدها، هكذا أفضل
= بالفعل، هكذا أفضل
هل تريد أنتَ أن تخبرني عن نقطة من نقاط ضعفك ؟
- ستكونين جديرة بالثقة يا طيف، صحيح ؟
= أقسم لكَ
- لم تكن حياتي كما هي ظاهرة للجميع يا طيف، لقد عانيت كثيرًا، أكثر مما يمكنني قصّه، أعلم أنك لم تحبين التعامل معي مسبقًا، لكنني أكره العند، وأنتِ تمارسينه بجدارة، فكان عليّ أن أحاربك بسلاح أقوى من سلاحك ..
ما كاد يكمل كلماته حتى وجد درة تأتي من بعيد وتبحث عنه بعينيها ..

التقت أعين درة بأعينه فظن أنها ستثور وتغضب وتبدأ في رفع صوتها وهي منهمكة في جذب طيف من شعرها، ولكن ما حدث عكس ذلك تمامًا ..
سحبت درة كرسي وجلست بجوارنا ثم وضعت يدها على وَجنتها كما يفعل الطفل عند سماع الحواديت وطلبت منا أن نكمل حديثنا ..
لم تندهش طيف من ردة فعلها وكأنها توقعتها فوجَّهت كلامها إليّ قائلةً :-
= طيف :- كما كنت أقول، سليم توهّم الحب
قاطعتها درة بسرعة :-
= درة :- عفوًا !!
ابتسمت طيف رغمًا عنها وكأنها قصدت أن تقول تلك الجملة حتى تجذب انتباه درة، فجرت الأمور كما خُطط لها، فردت :-
= طيف :- توهّم الحب، كان من الواضح جدًا أن رقية لا تحبه أو على الأقل لا تبادله نفس المشاعر، فجميع من حوله لاحظوا ذلك عدا هو، لأنه كان لا يريد أن يلاحظ، خُيل إليه أن هذه الفتاة ستكون جنة الأرض بالنسبة له لكنه لو استعان بعقله لتأكد حقًا أنها ستودي به إلى الهلاك، كان عليه أن يستمع لمن حوله، أن يعلم أنها ليست مناسبة له، فإذا تعرضنا للاحتياج نحاول أن نجد حلولاً، لا يمكن أبدًا أن نربطه بشخص لا يرغب في وجودنا ...
هنا قاطعتها درة مرةً أخرى، لربما أغضبها حديث طيف الموجَّه لها في الخفاء فقالت لها :-
= درة :- عفوًا ولكن من هي رقية ؟
هنا تدخل جاسم الذي كان يتابع الحوار في صمت و يترقب ردة أفعالهما قائلاً :-
- جاسم :- لا تهتمي يا درة، إن طيف توجه كلامها إليّ
هنا شعرت طيف أنها أخطأت بعض الشيء فنظرت إلى الأرض في خجل ثم انسحبت من هذا التجمع الثلاثي ..
= درة :- هو احنا ليه مبقناش نتكلم زي الأول ؟ لازم انتحرلك يعني !

- جاسم :- أنا أسف جدًا يا درة بس أنا عندي شغل ضروري، هخلص وأكلمك
ثم انسحب دون أي كلام ..
ضغطت درة على يدها حتى كادت أن تدميها من شدة غضبها لكنها نظرت إلى هاتفها، فنسيت أمر جاسم وطيف واتسعت ابتسامتها وملأ الشر وجهها عندما تأكدت أن الأمر تم بنجاح ..
لحق جاسم بطيف ثم نظر إليها بعتاب قائلاً :-
- مهما كانت مشاكلك مع درة مينفعش تفشي أسرار مريض عندك، صح ؟
شعرت طيف بالأسف، فهي أرادت أن توصل لدرة رسالةً معينة لكن خانها التصرف فاعتذرت على الفور ..
ذهبا سويًا إلى غرفة سليم فوجداه يكتب بعض الكلمات وما إن رأى جاسم حتى أخفاها بسرعة، فطمأنه جاسم أنه لن يرى سوى ما يريده هو أن يراه، فمن حقه أن يحتفظ ببعض الخصوصية لنفسه، لكن سليم نظر إلى طيف ثم ابتسم لها ابتسامة خفيفة لاحظها جاسم ..
سأله جاسم عن حاله اليوم فرد سليم :-
= سليم :- بخير
- جاسم :- هل هناك ما تريد إخباري به ؟ فقط لأساعدكَ !
= نعم ، أريد الاعتذار لأمي
- سأتصل بها على الفور
= لا تفعل ذلك
- لماذا ؟
= لا أريد أن تراني على هذا الحال
- لكنك بخير وستصبح بخير في القريب العاجل
= سأراها عندما أصبح بخير
- حسنًا كما تريد، فأنا هنا لأساعدكَ
= لقد علمت، قلتها مسبقًا
ثم وجَّه سليم حديثه لطيف :-
= سليم :- وماذا عنكِ ؟
فرد جاسم بدلاً منها :- هي أيضًا تريد مساعدتكَ
= سليم :- ولِمَا لا تلفظها هي ؟
نظر إليهما جاسم وقد بدت الغيرة عليه فزاد سليم من استفزازه وخاطب طيف ثانيةً :-
= سليم :- ماذا عنكِ يا طيف ؟
- طيف :- كما قال لكَ دكتور جاسم
كانت هذه الإجابة كافية لترضي جاسم وتمنع غضبه من الانفجار، فسرعان ما طلبت من سليم أن يتحدث فهما ينصتون إليه ..
= سليم :- أعلم أنني مريض ولكنني مريض بها، لا أعلم كيف وصل بي الحال لذلك، جميعهم كانوا على حق ماعدا أنا، لقد شاهدت العديد من الناس يمرون بتجارب فاشلة ويتخطونها، فلِمَا أنا لم

يحدث معي ذلك ؟ لِمَا يا دكتور جاسم لم أتخطى رقية ؟
- جاسم :- لأنكَ لم تريد ذلك!
= سليم :- ومن أفترض ذلك ؟
- لم أفترض، بل أرى تصرفاتك
= لكنك لم ترى ما بداخلي
- إن أردت أن تطلعني عليه فأنا هنا
= تتحدث هكذا لأنكَ طبيب
- بل أنت من تتحدث هكذا لأنكَ مريض
هنا صرخ سليم في جاسم وكأن هذه الكلمة أشعلت الرماد المتبقي منه قائلاً :-
= ليس لكَ الحق في الحكم، إن كان هناك مريضًا فبالطبع هو أنتَ
ظنت طيف أن جاسم سيقوم بتعنيفه سريعًا لكنه تقبل الكلام بأريحية بل رد على سليم قائلاً :-
- حسنًا، أتفق معكَ، فمن منا لا يشكو من مرض نفسي، ولكن هل لكَ أن تخبرني بمرضي ؟ لربما يمكنكَ معالجتي !
هنا هدأ سليم واقترب من جاسم ثم همس له :-
= سليم :- أريد أن أتخلص من الجزء المتبقي منها بداخلي
- جاسم :- ستفعل ذلك وقريبًا
أخذ جاسم طيف من يدها بعدما غادرا غرفة سليم ثم صعدا إلي مكتبه سويًا، فما إن جلست حتى طلب لها مشروبها المفضل وطلب لذاته قدحًا من القهوة ..
= طيف بندم :- أنا بجد أسفة، مكنتش أقصد أخرج أسرار سليم
-جاسم :- هو أنتي كنتي عايزة توصلي لدرة إيه ؟
شعرت طيف بالارتباك ولم تستطع أن تجيب وكأن الكلمات قد أُسرت في فمها فهمهمت :-
= هـا !!
ضحك جاسم ثم نظر لها بخبث وقال لها :-
= كنتي عاوزة توصلي لخطيبتي إيه ؟
ما إن تلفظ بهذا اللفظ حتى ظهر الغضب على وجهها وكأنه يرد لها ما فعله سليم، فأمسكت بالكوب الذي أمامها ثم ارتشفت منه وهي تضغط على فمها دون أن تجيب، فدَوَت ضحكاته المكان بأكمله .. حتى طُرق الباب فأذن جاسم للطارق بالدخول فإذا هو نجيب ..
- جاسم :- لقد اشتاقت لكَ جدران الغرفة يا نجيب
ضحك نجيب ليجامل جاسم على دعابته السخيفة ثم قال :-
= نجيب :- أخيرًا كتب لي القدر أن أجلس مع طيف وجاسم دون شجار!
ضحكت طيف ثم قالت :-
- طيف :- لا تقلق فنحن على أعقاب شجار قادم
= نجيب :- لن تفعلي
ثم نظر إلى جاسم ليكرر عليه نفس الجملة :- لن تفعل

فهم جاسم مقصد نجيب فخشي أن يعرضه للإحراج أمام طيف، فسأله عن سبب مجيئه فأخبره أن هناك حالتين من حالات طيف قد تعافا تمامًا وسيصدر لهما أمرًا بالخروج ..
هنا اتسعت ابتسامة طيف و زينّ الفخر ملامح وجهها، فسرعان ما أمر جاسم بصرف مكافأة لها، فبادلته الابتسامة ..
خرجت طيف من غرفة جاسم وهي فخورة بعملها ثم اتجهت إلى غرفة سليم في خفة، فهي تريد أن تطّلع على الكلمات التي كان يكتبها ..
- طيف :- هل ستريني إياها ؟
= سليم بخبث :- ماذا تقصدين ؟
- ما كنت تكتبه
= لِمَا تريدين الاطلاع عليها ؟
- لأنك تحب أن تقصّ عليّ ما تشعر به، أليس كذلك ؟
كانت طيف تظن أنها تسير على نهج دكتور جاسم لكنها لا تعلم أن سليم في أشد حاجة للاهتمام، فما تفعله ربما يعرضها لأشياء هي في غنى عنها، خاصةً مع جاسم ..
أخرج لها سليم الورقة التي كان يكتب فيها ثم بدأ يقرأ لها ما كتب :-
"لقد رأيتها، أقسم، لم يكن حُلمًا، لكن شعرت برائحتها، طيفها الذي يملأ المكان، لم تأتي إليّ منذ أخر لقاء، لكنها جاءت ليلة أمس، كنت أودّ الحديث معها لكنها امتنعت، كانت ترتدي لباسًا فضفاضًا زادها هدوءًا وجمالاً، كانت تشبه الملائكة، طالما كانت كذلك"
كانت طيف تستمع بهدوء وتحاول تحليل الكلمات لكن سليم فاجأها عندما قال لها :-
= سليم :- هناك شيء غريب يا طيف ؟
- طيف :- وما هو ؟
= عندما كنت أخطُ هذه الكلمات كنت أشعر أنني أرى رقية أمامي، لكن الآن لم أعدّ أشعر بذلك
- وبماذا تشعر إذن ؟
أحمرت وجنتي سليم إثر سؤال طيف ولم يجيبها وطلب منها أن تأذن له بالنوم، فرحلت على الفور ..
مرت الأيام سريعًا وحال سليم يتطور بشكل ملحوظ والفضل الأكبر يعود لدكتور جاسم المعلن ومجهود طيف في الخفاء، ولأن جاسم يعلم أن طيف تساعده في علاج سليم فيجعلها تشاركه لكنه إن شعر أن سليم لا يستجب لها فسيغتنم تلك الفرصة ويمنعها من الحديث معه ..
كانت طيف تجلس على المنضدة المطلّة على النهر وإذا بجاسم يأتي من خلفها ويسحب كرسي ويجلس أمامها دون أن يستأذن، وظل يتأمل المياه معها حتى قاطعته هي :-
= طيف :- ما هي مواهبك يا جاسم ؟
اندهش جاسم للسؤال فلم يهتم به أحد لهذه الدرجة ولم يتطرق لهذه الأسئلة من قبل لكنها أجابها :-
- جاسم :- ليس لدي مواهب
فضحكت ثم قالت-:
= وماذا عن الغرور ؟

ليرد عليها بثقة :-
- إنها صفة متأصلة
= ليس هناك إنسانًا بلا موهبة
- هناك أنا، أدعى جاسم حمدان
= ألا تريد أن تخبرني أليس كذلك ؟
- لا أريد أن أخبر سواكِ، وأنا صغير كنت أدندن
اتسع فم طيف من الدهشة ثم قالت بصوتٍ مسموع :-
= أنت !! أنت تغني ! أنت تمتلك حنجرة ذهبية ؟ كيف !!!
- أخفضي صوتك، لا تنسي أنني أعمل هنا مديرًا
= أنت تمزح معي !
غضب جاسم من أسلوبها وهمّ أن يرحل لكنها أمسكت بيده واعتذرت له ثم بررت موقفها أنه صارم طوال الوقت فلم تظن أنه يخفي مجموعة من المشاعر بداخله لكنه أجابها أنه لم يغني طوال هذه الفترة، كان يفعل ذلك منذ قديم الأذل لكنه امتنع وعندما سألته عن السبب فضّل ألا يجيب لكنها ألحت عليه فأخبرها أن والده منعه من ذلك بحجة أنه مجالاً ركيك غثّ لا يليق بنا
= ألم تحاول أن تقنعه
- مرارًا وتكرارًا، لكنه أبى
= هل ذلك كان سببًا في تعجرفك ؟
- تعجرفي !! لا يا طيف لم يكن سببًا لكنني ذات مرة سمعت شخص يدندن فعندما تتبعت الصوت وجدته أبي !
= ولِمَا لم تواجهه !!
- لقد فعلت، لكنه أخبرني أن والده أورث له فكرة أن هذا المجال سُوقيّ
= هل لي بمقطع عذب صغير ؟
- ليس عندي ما يمنع ولكن إذا أقنعتِ شخصًا بات قرب الثلاثين عامًا يترنم في الخفاء ..
همّت طيف أن تتحدث لكنها وجدت درة تضرب بيدها على الطاولة وترفع صوتها على جاسم قائلةً :-
= درة :- لقد أخبرتني أنكَ ستنهي عملك ثم تخاطبني، لِمَا تجلس مع هذا الشيء!!
كادت طيف أن ترد إهانتها لكن جاسم وقف سريعًا وضغط على ذراع درة وظل يهزّها بعنف وهو يصرخ فيها ثم أمرها أن تعتذر لطيف على الفور، فاعتذرت رغمًا عنها بسبب ألم ذراعها، فما إن اعتذرت حتى ترك ذراعها في عنف فسقط هاتفها على الأرض فأسرعت لتمسك به وظلت تبحث فيه عن شيء لا يعلمه سواها، ما إن وجدت التسجيل مازال محفوظًا حتى هدأت ورحلت هي ودموعها

عاد جاسم لطيف التي ارتسمت علامات الانتصار على وجهها ثم اعتذر منها وجلس ثانيةً قائلاً :-
- جاسم :- دعينا نكمل حديثنا، ما رأيك فيما وصل إليه سليم حتى الآن ؟
= أشفق عليه، لقد أعطى قلبه لمن ليس لها قلب، رقية لم تحبه بل أحبت ما يقدمه لها

- هل هذا سبب للخيانة في رأيك ؟
= ليس هناك سببًا للخيانة، فمن ذا الذي سيضطرب قلبه لامرأة أخرى وهناك ملكة متوجة على عرش فؤاده، كيف ينظر لغيرها وهي لا تغيب عن عينه، كيف رآها جميلة حتى يتغزل في ملامحها
- لربما لم يشعر معها بشيء، فقط هي من أغوته
= ومن الذي أعطاها الحق لتفكر في ذلك ؟
- ألا تخطئين !
= بلى، كثيرًا، لكنني لا أخون
- أراكِ قاسية بعض الشيء
= لا أراه عيبًا، فكما أغوتك تلك، أترك ذاتك لغيرها، لربما ترى مقصدك في إحدى المرات، أراه عدلاً وليس قسوةً
- لم أكن أعرف أنكِ بتلك القسوة
= لازلت تردد لفظ قسوة !
- نعم
= هل لي بسؤال ؟
- تفضلي
= ماذا ستفعل إن وجدت من أهدتها قلبكَ قد أهدت قلبها لغيرك !
- سأقتلها
= لم أكن أعرف أنكَ بتلك القسوة
- لا تقلقي، سأكون رحيمًا في قتلك
= عفوًا !
- ألا تمزحين يا طيف !!
= لا
- حسنًا، خذيها على محمل الجد إذن
تجاهلت طيف ما قاله قائلةً :-
= لنكمل، أشفق على سليم مما تعرض إليه، فلقد تخطى أراء جميع من حوله وحارب من أجلها، تمكَّن حبها في قلبه وتأصَّل، فخانت حبه لها، قامت بأسوء طريقة رد يمكن أن يتبعها المحبوب في أذى حبيبه ..
- هل وقعتي في الحب مُسبقًا يا طيف ؟
اندهشت طيف من سؤال جاسم ولكنها أرادت أن تجيب فقالت :-
= كنت أظن ذلك
- وماذا حدث ؟
= لم أشعر بالأمان
- كيف وقعتي في حبه ولم تشعري بالأمان ؟
= لقد ظننت أنني وقعت في حبه، كان شخصًا مناسبًا إلى حد ما، لكنه كان عمليًا بعض الشيء فتقدم

لخِطبتي ولكنني لم أوافق على الفور وطلبت منه أن نعرف خَصال بعض أولاً بشكل أوضح من ذلك، لم نكن نهتم بالقدر الكافي ، تتراوح مكالماتنا بين النصف ساعة والساعة كل يوم، نتقابل مرة أو مرتان في الأسبوع، لقد حظى على موافقة عقلي ، حينها ظننت أنني أحببته، صرنا أقرب لبعضنا البعض، زادت مكالماتنا ومقابلاتنا، كنت أشعر بالسعادة بجواره حتى جاء اليوم الموعود

- وما هو ؟

= لقد تعرضت لخذلان من إحدى صديقاتي المقربات، فلجأت إليه ولم أجد منه سوى ردة فعل معتادة ! لأول مرة أشعر أنني أفتقر الأمان بجواره، ثم اكتشفت أنني لم أشعر به قط، فلم يكن هناك داعي للتأكد من الأمر فعندما احتاجت الأمان لم أجده ، قررت أن أعطيه فرصة ثانية، مرت عليّ ليالي كنت أرتعش من الخوف، كان يهاتفني كثيرًا ويحاول أن يطمئنني، لكنني لم أشعر بالأمان، علمت حينها أنه هناك شيء خاطئ، لم أريد أن أظلمه معي ولا أن أظلم نفسي فتحدثت معه ثم انسحبت بهدوء ..

- لم تقعي في الحب إذن ؟

= ربما ! ألن تذهب لدرة ؟

- هل تريدين ذلك !

= بالطبع لا

ضحك جاسم إثر رد طيف التلقائي فأكملت سريعًا :-

= لأنها قامت بإهانتي، أمامك

رد وهو مازال يضحك :-

- نعم نعم، أفهم ذلك

مرت عدة أيام أخرى ليست بالقليلة و لم يهاتف فيها جاسم درة، بل كانت هي من تأخذ الخطوة الأولى دائمًا، كان كلامهما قليلاً يكاد يكون منعدمًا، ولأول مرة قلت محاولات درة في طلب رضاه، ربما بدأت تتعالج حقًا وتسيطر على احتياجها، على الجانب الأخر كانت علاقة جاسم وطيف في تطور ملحوظ، اقتربا الاثنان من بعضهما البعض في فترة وجيزة، يتسامران كثيرًا، لأول مرة تشعر طيف بالأمان معه وخير دليل على ذلك أنها قصَّت له مالا يعرفه أحد وهو كذلك، أصبحا بئر أسرار لبعضهما البعض، كانت طيف تتفاجأ مما تفعله معه، فكأنها شخص أخر، بدأت تشتاق إليه، قلَّ عنادها كثيرًا، دائمًا ما كان يحاول إبعادها عن سليم بسبب غيرته المفرطة عليها التي لاحظها الجميع عدا هي، وللحق هي كانت تلاحظها لكنها لم تشعره بذلك، كانت تتعمد أن تثير فيه جانب الغيرة حتى تبدأ النيران في الاشتعال فترتسم الابتسامة على وجهها ثم تبدأ في تهدئته بكلمة لا أكثر ..

أما عن سليم فأتجَّه إلى جاسم في الفترة الأخيرة، كان يقابله أكثر من طيف ويقصَّ عليه ما يشعر به، قد تخطى جزءًا كبيرًا مما كان فيه، عندما كان يقابل طيف كان لا يخبرها عن رقية بل يتحدث عن ذاته ومدى تطور حالته، ومن حين إلى أخر كان يحدثها عن الثقة وأنه يرتاح في الحديث معها ..

استيقظ جاسم مُبكرًا ثم هاتف طيف، وقد أصبح شيئًا اعتياديًا، استقل سيارته ثم ذهب إلى المشفى ليتفاجأ بصراخ سليم فجرى إليه ليرى أسوء نتيجة لمجهوداته في الفترة السابقة، سليم يصرخ بشدة وقد تبدلّ حاله منذ أمس وما إن رأى جاسم حتى بدأ يبكي ويضع يده على قلبه قائلاً :-

= سليم :- لِمَا لا يرحل هذا الألم ؟ لقد مرّ العديد من الوقت، لقد رحلت ذكراها ولم يرحل الألم، كل ليلة أشعر بالخذلان ولا أستطيع أن أفعل شيئًا، اقتربت منك الفترة الأخيرة لأنك أمهر وأذكى، كنت أظنك ستساعدني، لقد ساعدتني بالفعل وهي أيضًا، لكن هذا الألم لا يُحتمل، أنه ليس جسديًا ..
اقترب منه جاسم وظل يهدئه بكلامه المعسول المهني حتى استجاب له سليم في استسلام ومازال يبكي، في هذه اللحظة دخلت طيف فتبدلّ حال سليم مرة أخرى وظل ينظر لطيف حتى هدأ تمامًا، فثار جنون جاسم لكن مهنته حتمت عليه ألا يتفوه، لكن سليم لم يقف عند هذا الحد فقد تحدث إلى طيف قائلاً :-

= سليم :- سينتهي هذا الألم، أليس كذلك ؟

- طيف :- سينتهي وسيتبدلّ إلى سعادة، سعادة أبدية فقط

كأن سليم كان ينتظر تلك الجملة البسيطة حتى يهدأ، لكن تلك الجملة كانت سلاح ذو حدين فكما ساعدت سليم، أثارت جنون جاسم الذي يعلم جيدًا أن طيف لم تفعل سوى ما تتطلبه مهنتها منها، لكن عليها أن تكون أكثر حزمًا خصوصًا في وجوده ..
صعدا سويًا إلى مكتبه وقد أخبرتها نظراته بمدى غيرته عليها بينما قابلتها هي بسعادة غامرة ففاجأها بسؤاله :-

- جاسم :- ألم تجدي الأمان ثانية ؟

= طيف :- عفوًا ؟

- لقد قُلتي أنك تفتقرين الأمان منذ أخر مرة، ألم تجدينه مع رجل أخر!

= لا

- حتى الآن ؟

ضحكت طيف ثم قالت :-

= لقد قُلت لا

بادلها الضحك هو الآخر عندما فهم مقصدها، فسألها ثانيةً :-

- ماذا تريدينه أن يكون ؟

= متعجرفًا

- أتقصدين مثلي ؟

لم ترد طيف ولم يضغط عليها جاسم فتركا العنان لنظراتهما ..
ذهب جاسم إلى نجيب ليخبره بقراره الجديد بعدما تأكد من مشاعره ..

- جاسم :- جئت لكي أشاركك قراري المحتم ولكي تكون أول شاهد عليه

= نجيب :- وما هو ؟

- سأنهي تلك المسرحية السخيفة

= أي مسرحية ؟

- خِطبتي أنا ودرة

= حقًا!!

- نعم ، لقد حان الوقت

= هل لطيف دور في ذلك ؟
لم يرد جاسم بل اكتفى بالابتسامة الواسعة التي ارتسمت على شفتاه، حمد نجيب اللّه عما وصل إليه جاسم ، فهو يعلم أنه لم ولن يحب درة وأنها فُرضت عليها ولابد من إصلاح الأمر فرد قائلاً :-
= وكيف ستخبرها بذلك ؟
- سأذهب لوالد درة وأخبره بذلك
= وكيف ستذهب إليه ونحن لا نعلم مكانه !
- لدي هاتفه
= وكيف حصلت عليه ؟
- من درة!
ضحك نجيب كثيرًا حتى شَهِقَ، لم يفهم جاسم سبب هذا الضحك المبالغ فيه فسأل نجيب ليجيب الأخير :-
= ومن أين حصلت عليه درة ! لقد نسيت تمامًا أننا لا نعلم هوية والدها يا جاسم، فكيف لنا أن نحصل على هاتفه !!
رد جاسم والشك سيطر عليه :-
- مَن هاتفت حينها إذن..!!!

وقف نجيب وهو واثقًا في نفسه ثم نظر لجاسم قائلاً :-
= نجيب :- أتظن أنك الوحيد الذي يملك خُططًا !!
- جاسم :- عفوًا ؟
= عندما تحدثت مع درة في أمر الخِطبة، جاءتني هي على الفور وطلبت مني أن أعطيها رقم والدها في سرية تامة حتى تعطيه لكَ، حينها فكرت ماذا لو سلبت فكرتك عندما أردت استغلال طيف ولكن هذه المرة لصالحكَ ! فطلبت منها أن تعطيني مهلةً ليوم واحد فقط، قمت بشراء الرقم الوهمي وأعطيته لها وقررت أن يحادثك جاري العزيز كأنه والد درة ..
لم يغضب جاسم من فعلة نجيب بل ودَّ أن يشكره، فهذا أفضل تصرف فعله نجيب منذ أن عرفه ..
جلس نجيب أمامه ثم بدأ في إعطاء النصائح له كالأب الذي يلقن ابنه التعليمات قبل دخوله المدرسة ..
= نجيب :- لقد أخطأت يا جاسم، منذ أول مرة رأيتك تخطيء، أنت طبيب ماهر لا جدال في ذلك ولا يجرؤ أحد أن يشك حتى، تستطيع أن تفرق بين عملك وحياتك الشخصية، لم يسبق لكَ أن أخطأت ولو مرة واحدة في المشفى، رغم أسلوبك الذي يغلب عليه طابع العنف والقسوة يرتاح معكَ المرضى ، تعلم مرضاك ألا يصلحوا خطأ بخطأ أخر ولكنك فعلت، علينا أن نواجه أخطائنا وأن نعالجها بالطريقة المثلى، ليس عيبًا أن تخطيء ولكن العيب أن تشرك أحدهم في إصلاح خطأ لا ذنب له فيه حتى وأن ودَّ هو المساعدة حينها لابد من قول لا ..
إن أردت أن تدخل أحدًا حياتك تحت أي مسمى سواء صديق، شريك حياة، زميل عمل .. إلخ، تأكد أولاً أنكَ لن تضره بمشاكلك النفسية وأن علاقتكما ستكون سوية ثم رحب به في عالمك الخاص ..
رحل جاسم من غرفة نجيب وقد أزال همًا كبيرًا كان يقبض فؤاده، فأصبح قرار الانفصال متوقف

على أن يخبر به درة ليس إلا ..
ذهب جاسم إلى سليم ليجده منهمكًا في البكاء كما هو حاله في الآونة الأخيرة، لا يأكل ولا يشرب، تلعب المحاليل دورًا هامًا في بقاءه على قيد الحياة، فقد وزنه بشكل ملحوظ، لا يتحدث كثيرًا ..
لكن هذه الأعراض طبيعية جدًا لمن يعاني من مرض الاكتئاب، لكن حمدًا لله يستجيب له في بعض الأوقات ..
- جاسم :- أرى لديك الكثير لتخبرني به
= سليم :- أريد أن أتعافى دون أن أؤذي غيري
- ماذا تقصد ؟
= لا أريد أن أنسى رقية بفتاة أخرى
جاء لذهن جاسم أنه يقصد طيف فتمنى من اللّه ألا تكون هذه الحقيقة حتى لا يهشم رأس سليم، آثر أن يسمعه أولاً ثم يسأله في النهاية ..
-هل وضحت لي أكثر ؟
= لقد أخبرتني ذات مرة أنني سأتعافى وسأنساها وأخبرتني أيضًا أنني سأقابل فتاة أخرى أحبها وستحبني بصدق، ستجعلني أندم على كل مرة بكيت فيها على رقية
- نعم لقد قلت ذلك فعلاً
= لا أريد أن أقابل هذه الفتاة قبل أن أتعافى تمامًا، لذلك أريد منك طلبًا
- بالطبع
= أريد أن تساعدني أنت فقط أن أتعافى
قرر جاسم أن يغتنم الفرصة فالآن سليم هو من طلب، فأراد أن يسبقه هو قائلاً :-
- تقصد أنك لا تريد دكتورة طيف ، صحيح ؟
= نعم
لم يصدق جاسم ما سمعه ولكنه خشي أن يكرره ثانيةً لربما يغير سليم رأيه، فقال :-
- كما تريد يا سليم وأنا معكَ بالطبع وسأساعدك
= طيف أيضًا كانت تساعدني، لكن جميعنا يعلم أنك تتخطاها علمًا، فأنت ستساعدني بطريقة أسرع، وأنا سأتبع تعليماتك، أريد أن أتعافى يا دكتور جاسم
- حتمًا ستتعافى، فما مررت به كان أمرًا يسيرًا، كلانا عانى من فراق أناس لم يكن يتوقع فراقهم لكنه القدر يا عزيزي، إنها قواعد الحياة لابد أن تسير علينا، لكن في النهاية جميع الأمور تمرّ ويعود الإنسان أفضل مما كان عليه
= لا أتفق معكَ يا دكتور جاسم، قد يُهزم المرء مرةً واحدةً فيركض طيلة حياته في محاولة بائسة للتعافي ولكنه لا يتعافى
- تتحدث هكذا لأنكَ مريض
= وأنت هنا لتساعدني
ترك جاسم سليم ثم ذهب لغرفة طيف وطرق الباب فسمحت له بالدخول وما إن دخل حتى قال لها أنه يريد التحدث معها فوافقت على الفور لكنه طلب منها أن تسمح له بتناول الغداء سويًا في الخارج، رفضت في البداية لكنها في النهاية وافقت ..

ذهبا سويًا إلى أقرب مطعم من المشفى ثم أعطاها قائمة الطعام لتطلب ما تشتهي، فطلبت ما تريد ثم أعطى للنادل طلبهما وانتظراه ..

- جاسم :- كيف حالك يا طيف ؟

= طيف :- طيف تريد أن تسمعك ولكن بعد أن تعطيها تفسيرًا لهذه ..

ثم مدت يدها لتقدم له الورقة التي أعطاها لها يوم خِطبته هو ودرة ..

فرح جاسم أنها لازالت محتفظة بها ولم يفتحها ثم ردّ قائلاً :-

"تشبهين اسمك يا طيف، لا تحاولين من أجل أحد بينما يطوف الجَمْع من أجلكِ"

اندهشت طيف أن جاسم مازال يتذكر تلك الكلمات فسألته :-

= هل لي بتفسير ؟

- ماذا تريدين أن تفسري ؟

= ما معنى هذه الكلمات ؟

- معناها أنكِ أخذتي نصيبك من اسمك، تُدعي طيف قريبة من الطواف، لا تحاولين أن تلفتي الأنظار فجمالك يفعل دون مجهود، ولا تتعمدين إثارة غضب أحد فعنادك يفعل وبجدارة، لا تخشين أحدًا بينما يخشاك الضعيف، لا تحاولين من أجل أحد بينما يطوف الجَمْع من أجلك

= وماذا عنكَ ؟

- أطوف يا طيف، أطوف ولا أعلم متى وكيف ولِمَا !

أرادت طيف أن تغير مجرى الحديث بعدما زادت ضربات قلبها واحمرت وجنتاها خجلاً فقالت :-

= ألن تُسمع طيف مقطوعة صغيرة ؟

- ليس عندي ما يمنع ولكن إذا أقنعتِ شخصًا بات قرب الثلاثين عامًا يترنم في الخفاء ..

= لن يكون هناك خفاء ثانيةً

- أعدكِ أنني إن استطعت ستكونين أنتي أول مستمعة

هنا جاء الطعام وتناولا طعامهما وهما ينظران لبعضهما من حين إلى أخر، يتحدثون تارةً عن أنواع الطعام، هذا شهي، هذا يحتاج للشوي قليلاً، حتى انتهوا من الطعام فجلبت طيف حقيبتها فنظر لها جاسم بحدة يترقب ماذا تنوي فعله، فأكملت ما تفعله ثم أخرجت نقودها ..

هنا تدخل جاسم ليقبض على يدها بشدة حتى تألمت هي فتركها ثم همس لها :-

- يمكنكِ فعل ذلك عندما تكونين مع صديقتك المقربة

= جاسم، لا يمكن أن..

قاطعها ثم قال في حزم قائلاً :-

- قلت صديقتك المقربة فقط

نظرت له طيف نظرة لن ينساها طوال حياته، فهذه هي المرة الأولى التي تفصح عينها عما بداخلها، لقد شعر بسعادتها ..

قاما سويًا ليستقلا السيارة التي على الجانب الآخر من الطريق فسبقته هي بخطوتين فقط فوجدت من يتعرض لها ويضايقها قائلاً :-

"هو القمر رايح فين ؟"

كان هذا هو التساؤل الوحيد الذي فعله ذلك المجني عليه قبل أن يتلقى لكمة دامية من يد جاسم، التفت طيف إثر صراخه فوجدت جاسم ينهال عليه ضربًا كالأسد الذي يحصل على فريسته بعد جوع دام لأسبوعين كاملين ..
اجتمع الناس حولهم فتركه جاسم بسرعة ثم ذهب إلى طيف وأدخلها السيارة، هنا ظنت أن الأمر قد انتهى لكنه أغلق عليها السيارة وعاد ثانيةً ليكمل معركته في صالة المصارعة ..
عاد لها بعد دقائق بعدما هرب من ألقى عليها السؤال فدخل جاسم السيارة ولا يظهر عليه أية أثار لعراك، فقط بذلته المهندمة لم تصبح كذلك ..
ظنت طيف أنه سينهال عليها كما كان يفعل فاستعدت لصراخه لكنه فاجأها عندما سألها هل هي بخير ؟ فردت هي هل أنت بخير !! فرد نعم ولِمَا لا أكون هكذا !!
سقطت دموع طيف رغمًا عنها، هي التي لا تحب أن يرى أحد دموعها وقد كسر جاسم هذه القاعدة لديها فنظر لها ثم سألها لماذا تبكي ؟، لم ترد عليه لكنها ردت بداخلها قائلةً :- هذا هو الأمان الذي كنت افتقده ..
سألها ثانيةً لماذا تبكي فتحججت بأنها تسببت له في مشكلة، هنا صرخ فيها فهي لم تفعل قط، فآثرت الابتسامة ..
عندما وجدها مستمرة في البكاء وجد نفسه يدندن لها للمرة الأولى بعدما رفضه والده قديمًا ..
لكن صوته لم يكن واضحًا بالشكل الكافي حتى أنها لم تميز لمن يغني أو ماذا يغني، لكن يكفي أنه حاول من أجلها فنظرت إليها لتجده يسحب يدها في هدوء ثم يعتذر منها عما حدث ويطمئنها بأنه جلب لها حقها ..
عادا إلى المشفى ليصعد هو إلى مكتبه وتدخل هي إلى سليم فلم يخبرها جاسم بقرار سليم الأخير بعد ..
دخلت إليه فوجدته كما هو فسألته عن حالته فقال لها :-
= لقد أخبرني جاسم بأنني مريضًا
لم تندهش طيف فهي تعرف طريقة جاسم جيدًا فحاولت أن تصلح ما فعله قائلةً :-
- ومن منا ليس مريضًا يا سليم !، كلانا يحتاج الخضوع لعلاج نفسي
= لم أغضب من قوله، فأعلم بكوني مريضًا لكن أريد أن أتعافى
- ستتعافى يا سليم
= سئمت المرض، سئمت البكاء، سئمت أنني لا أنساها
- بل نسيت جزءًا كبيرًا منها، لا تفكر فيها، لا تترك لنفسك وقتًا حتى تفكر فيها، أطلب من جاسم ما تريد فعله، سيساعدك كثيرًا
= حسنًا
خرجت طيف من غرفة سليم فوجدت جاسم يبحث عنها فسألته ماذا حدث، أخبرها أنه لم يحدث شيئًا فقط كان يعلم أنها ستدخل لسليم ونسى أن يخبرها بقراره الجديد فأخبرها وتقبلت هي الموضوع، فلم تعد تريد أن تنتصر على جاسم في أي شيء، يكفي ما فعله من أجلها ..
صعدت مكتبها ثم تذكرت ذاك الموقف وكيف تصرف جاسم، لم ينظر لمهنته ولم يخشى أن يحدث له مكروهًا، لم يتعرض لها الولد بمد الأيدي كان من الممكن أن يتعامل وكأنه لم ينتبه، لكنه جعلها

تشعر بأفضل ما يمكن أن تشعر به المرأة حِيال الرجل الذي استطاع سلب جزءًا من فؤادها رغمًا عنها ..
هاتفت درة جاسم وأخبرته أن يحضر لها في الحال، فذهب إليها ليجدها تنوي افتعال مشكلة جديدةً
= درة :- هنفضل كده كتير ؟
- جاسم :- أنا تعبت يا درة
= أنا عارفة، عارفة كل حاجة يا جاسم
ظنَّ جاسم أنها تلمح عن علاقته بطيف، فلم يهتم فهو يريد أن يخبر العالم بأجمعه أن تلك المخلوقة استطاعت أن تغير من طباع دكتور جاسم حمدان وأعلنت سيطرتها الكاملة على قلبه، لكن درة فاجأته ..
= عارفة العلاقة اللي بين طيف وسليم
- أنتي بتقولي إيه !؟
= هي طيف مقالتلكش !! طيف وسليم بيحبوا بعض يا جاسم
لم ينتبه جاسم لكلام درة فهو يعلم جيدًا أنها تحبه وستفعل أي شيء من أجل أن يكره طيف وهذا لن يحدث ، فلم يرد على كلامها وأعطاها ظهره ليرحل ، لكنها لم تصمت ثم قالت في غضب :-
= طيف بتدخله كل يوم من غير ما تخلي حد يشوفها وأنت مغفل يا جاسم
لم يجعلها جاسم تكمل جملتها، فوجدت صفعةً قاسيةً على وجهها محذرًا إياها ألا تنطق اسم طيف ثانيةً ..

لم تفق درة من صدمتها فظلت تنظر لجاسم الذي ابتعد عنها وهو يغلق الباب وراءه بعنف في دهشة، فهذه هي المرة الأولى التي تجد فيها جاسم على هذا الحال !! هل استطاعت طيف أن تجعل منه وحشًا يفترس كل من يفكر في الاقتراب منها ؟ إنه حتى لم يسألني عن السبب وراء قولي ذلك ! لم يهتم أن يتأكد من صحة الكلام أو عدمه ! فقط نطقت حروف اسمها فتلقيت صفعةً قوية !!
لم يكن هذا جاسم الذي أحببته ..
توقفت درة عند هذه الكلمة ثم كررتها ثانيةً، أحببته!
هل حقًا أنا أحب جاسم ! أم أحب ما يقدمه لي ؟ هل قدم لي شيئًا من الأساس أم أنه كان يمارس مهنته الطبيعية !! هل أنا من ترجمت أفعاله بشكل خاطئ ! أم كنت أتعمد فعل ذلك ! أعطيت لجاسم مشاعر كثيرة ولم يكن يرد بالمقابل ! لا أعلم إن كنت أريده حقًا أم أبحث عن شخص يعوضني!
عادت درة لتسأل نفسها سؤالاً أخر ، متى نعرف أننا نحب ؟ أي ماذا يحدث لكي أعي أنني أحب هذا الشخص ؟ هل هناك أعراض متعارف عليها ! أم أن الأمر يحدث عنوةً، ماذا يجيب المحب عندما يُسئل عن محبوبه !!
تأكدت درة في هذه اللحظة أن علاقتها الوهمية هي وجاسم قد انتهت للتو ، علاقة لم تحدث على أرض الواقع، رُسمت في خيالها فقط ! حتى هي الآن لا تعلم هل كان جاسم بطلها أم لا، لربما أعجبت به إعجابًا عابرًا، إنه يمتلك قدرًا لا بأس به من الوسامة، ترى فيه طباع أهل الصعيد متأصلة، لا يقبل إهانته ولا إهانة من تتربع على عرش فؤاده، جاسم من النوع النادر الذي يصدق إذا أحب والذي يعطي أضعافًا مما يُعطى له ، لديه عملاً خاص به، ميسور الحال ماديًا، يعرف جيدًا كيف يكون لطيفًا فقط إذا أراد ذلك ..

كانت هذه الصفات كافية لدرة حتى تختاره شريكًا لحياتها القادمة، كانت تظن أنه سيحبها عندما تقدم له مشاعرها على طبق من ذهب، لكنها كانت مخطئة، الجميع كان على حق عدا هي، الآن تعترف أمام نفسها للمرة الأولى أنها لم تحب جاسم بل أحبت مميزاته، ظنت أنه سيعوضها عما فعله والدها قديمًا، ستعيش معه حياة تطغو عليها الرفاهية والحب، ستصبح زوجة دكتور جاسم حمدان مدير هذه المشفى العريقة، سترافقه في المؤتمرات الهامة، رسمت لنفسها حياة مع شخص لا تعني له سوى أنها مريضة، نعم هذه هي الحقيقة ..

تأكدت درة أنها كانت بحاجة لهذه الصفعة حتى تعود لصوابها، ولكنها ترى وجوب تعرض سليم لصفعة مثلها حتى يعود لصوابه هو الأخر ..

هاتف نجيب جاسم لكن جاسم لم يرد، فكرر الاتصال، أيضًا دون استجابة، فذهب له المكتب فوجده يشتعل من شدة الغيظ فسأله عما به وكأن جاسم انتظر هذه السؤال ليفجر ما بداخله فقال :-

- جاسم :- أنا تعبت يا نجيب، والله العظيم تعبت، أنا مكنتش أعرف أن العلاقات متعبة بالشكل ده، أنا فضلت تلاتين سنة لوحدي، عمري ما حسيت اللي أنا حاسه دلوقتي، أنا متلغبط يا نجيب، دايمًا بعرف أحدد هدفي وأختار، المرة ديه لا، أنا تايه، ورطت نفسي مع درة، مش فاهم اللي بيحصلي مع طيف، ازاي قدرت بالسرعة ديه تخليني كده ! ديه أول واحدة توحشني يا نجيب، دايمًا عاوز أشوفها وأتكلم معاها، بحكيلها حاجات أنا نفسي بطلت أحكيها أدام المراية، بتجبرني أكون معاها شخص مختلف، مش عارف ازاي وامتى وليه بقول كده بس أهو ده اللي حصل، لأول مرة مش عارف أسيطر على نفسي وعلى مشاعري، حاسس أن قلبي هو اللي موجهني، موجهني ناحية طيف وبس ..

ظهرت السعادة على وجه نجيب فهذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها جاسم بهذه الطريقة، فالآن تأكد أن طيف أعلنت سيطرتها الكاملة على قلب جاسم حمدان، هي الأولى التي وصلت إلى هذه النقطة، لم تتجرأ أي أنثى من قبلها أن تفعل عُشر ما فعلته طيف، والألطف أنها لم تقصد فعل ذلك فماذا إن قصدت !! حينها سنرى جاسم آخر ..

فمنذ أن عرف جاسم ودرس نقاط شخصيته علم جيدًا أن من ستحظى بحبه لن تكون كالباقية، فهذا الرجل القاسي المتعجرف لابد أن يقابل أميرته الخاصة التي يراها هو فقط بعينه حتى يقدم لها قلبه على الرحب والسعة ..

وها قد قابل الأمير جاسم أميرته طيف وقد اضطربت دقات قلبه عند رؤيتها، تهتز أطرافه عندما يلامس يدها عنوةً، يشعر بقوته عندما يجذبها بقوة إذا أخطأت أو أثارت غيرته، يتفاجأ أيضًا بمدى حنانه عندما تسقط دموعها فيودَّ أن يحتضنها بذراعه ليخفيها عن العالم بأكمله ..

ردّ نجيب على جاسم قائلاً :-

= نجيب :- وأنت إيه اللي مضايقك يا جاسم ! ما تمشي وراء قلبك مرة واحدة في حياتك

- جاسم :- خايف

= من إيه ؟

- أكون هختار غلط

= بس أنت المرة ديه مش بتختار

- تقصد إيه !

= أقصد أنكَ مجبر يا جاسم، ولا أنت شايف أنك تقدر تبعد عن طيف !!
- لا
= يبقى متخافش، طالما مش عندك القدرة أنك ترفض يبقى كمل
- لا يانجيب، عمرها ما كانت كده، كل اللي فشلوا قبل كده مكنوش قادرين يرفضوا في البداية
= عارف مشكلتنا إيه يا جاسم ؟
- إيه !
= أننا بندور على الكمال والمثالية في العلاقات وده عمره ما هيكون موجود، الكمال للّه وحده يا جاسم، مينفعش تعجب بشخص لأي سبب سواء شكله أو طبعه أو شخصيته أو حتى طريقة كلامه وبعدين تبني قصة خيالية في ذهنك أنت بس عن حياتكم المستقبلية من غير ما تراعي الفوارق اللي بينكم، وعلى أساس الخيال اللي صدقته قررت تكمل مع الشخص، فمجرد ما بتصطدم بالواقع بتحس أن فيه حاجة غلط وحصلك ERORR تلقائي، طب فين المشاعر اللي تخيلتها ! فين ردود الأفعال اللي كنت مستنيها، ألف سؤال بيبدأ بفين وإجابتهم واحدة، الإجابة في خيالك، الشخص ده موعدكش أنه هيعيشك القصة اللي أنت كتبتها لوحدك لأنه في الأصل ميعرفش عنها حاجة، فبالتالي بتوجد المشكلة، أنت منتظر منه حاجات مش عنده فبتبدأ تحس أن في حاجة ناقصة، أو أن مش هي ديه العلاقة اللي أنت مستنيها، لدرجة أنك مبقتش بتنبهر بالمبهر لأنك منتظر الأكثر إبهارًا، إحنا بشر يا جاسم، وارد أنا عندي شيء ناقص أنت تكملهولي أو العكس، وارد نتفق أو نختلف في وجهات النظر، أهم حاجة أننا لما نختار شخص نختاره بعيوبه قبل مميزاته، نختار العيوب اللي هنقدر نتعامل معاها، لازم الموضوع يكون فيه مصداقية وشفافية، مينفعش تجامل في العلاقات، الحب ممكن يخلي العلاقة تبدأ لكن عمره ما بيخليها تكمل، الحاجات اللي بنكتشفها في نص العلاقة أو أخرها لازم نعرفها قبل ما نقرر نخوض التجربة، الموضوع ممكن يبان صعب لكن لو عملت توازن بين عقلك وقلبك هتفرق كتير ..
- كلامك حلو يا نجيب، بس هل التطبيق سهل !!
= التطبيق لابد منه لو بتدور على علاقة ناجحة نسبية، لأن مفيش نجاح مطلق، هتيجي أوقات والعلاقة تكون قوية جدًا، أوقات هيحصل فتور وقتها لازم تدور على حل يرجع الشغف تاني، كل ده متوقف على رصيدك يا جاسم
- رصيدي !!
= رصيدك الحلو، دايمًا خلي عندك رصيد حلو يغفرلك غلطاتك، بس خليك دايمًا متأكد أن ممكن موقف واحد بس يمحي كل رصيدك ..
كانت طيف في الوقت ذاته تفكر فيما طرأ على حياتها الفترة الأخيرة، هي التي كانت تعتقد نفسها لا تصلح للعلاقات الغرامية، كان حلمها كبقية الفتيات أن تحصل على شعور الأمومة ولكنها كانت متأكدة من أنها ستحصل عليه بطريقة تقليدية بحتة، سيتقدم لخطبتها رجل مناسب تنطبق عليه المعايير المتداولة فتوافق ثم ترعى أولادها، ليس أكثر ..
حتى عندما قررت أن تخوض تجربة ما، لم تشعر بالأمان، أهم صفة لابد أن تشعر بها المرأة مع الرجل الذي ستكمل معه بقية حياتها، فلمن ستلجأ إذا شعرت بالخذلان، لمن ستركض إذا تعرضت للإهانة، لابد أن تشعر بالأمان حيال وجوده على الأقل ..

عندما قابلت جاسم لأول مرة لم تكن تفكر في الارتباط، حتى أن مقابلاتهما الأولى لا تدل على ذلك مُطلقًا، كانت لا تريد سوى الإنتقام ، كانت تراه عدوها الألد، أقسمت كثيرًا على أن تنتقم منه مهما رأت منه طيبًا لكنه أجبرها على أن تستغفر وتصوم حيال قسمها ، هي لن تقوى على الإنتقام منه، لا تعلم كيف تقول هذا الكلام ! لكنها فعلت، من هذا الرجل الذي قلب موازين طيف !! قالت هذه الجملة وهي تنظر في المرآة تتأمل ملامحها التي أشرقت من جديد عندما تذكرته، لم ترى رجلاً مثله من قبل، لا تتحدث هنا عن مستواه المادي أو تفوقه في مهنته أو حتى عمله المرموق وجسده الممشوق، هي تتحدث عن ذاته، لقد أجبرها أن تطيعه دون أن يسعى لذلك، ترى نفسها سعيدة معه، تنصت إليه أشد الإنصات، تحب أن تهون عليه ما يقلقه، لأول مرة تشعر بأنها ضعيفة ! تشعر بضعفها أمامه، لكنه ليس ضعفًا عاديًا، بل ضعف يحتاجه، عندما يغيب عنها تشعر بالقلق حيال كل شيء، تبحث عنه بأعينها في كل مكان، تنتظر مقابلاته التي باتت كثيرة في هذه الأيام، تلاحظه عندما يختلس النظر إليها، تشعر كم هي جميلة عندما يغار عليها، تتعمد إثارة غضبه حتى ترى تلك الشرارة التي تخرج من عينه إثر غيرته عليها فيضطرب قلبها، لا تعلم ما الدافع وراء استجابتها لأفعاله لكنها تفعل ذلك دون وعي ..

كانت تخشى أن تكون العلاقة التي ستخوضها غير مناسبة أما هذه المرة فهي تخشى ألا يكون جاسم هو المناسب ..

كان سليم جالسًا في غرفته يتأمل الأشياء التي حوله ويسأل نفسه عن السبب الذي أودى به أن يكون سجينًا هنا ! هل هي رقية أم هو من أوقع نفسه في هذا الفخ !! هو ليس الإنسان الوحيد الذي تعرض للخيانة ! يعترف أن المشهد كان صعبًا فهو كان ذاهبًا إليها بعدما أخبرته أنها مع أختها في المكان الذي كانا يتقابلان فيه ليعلمها بميعاد زفافهما فوجدها جالسة بجوار صديقه الذي تلتف ذراعه حول رقبتها بينما يحتضن كفه الأيسر كفها الأيمن !!

كان هذا المنظر كفيلاً بأن أنهي حياتي حينها ، لقد حاربت العالم كله من أجلها ولم تحارب هي صديقي ! هل كان هو حبها القديم ثم سلبتها أنا منه !! لكنها أخبرتني أنني الأول والأخير ! وعدتني بأنها لن تتركني ! لم أفعل لها شيئًا سيئًا ! حتى ظروفي لم تكن كأغلب الشباب في هذه الآونة ! لقد تمردت على أمي من أجلها ! وعندما أحدد اليوم الذي بعده سنجتمع في بيت واحد أجدها بين ذراعي صديقي!

كانت هذه هي الطعنة الأولى، لم أسيطر على نفسي حينها فوجدتني أركض تجاههما ثم وجهت عدة صفعات ولكمات وحتى ركلات عشوائية لهما هما الاثنان، فوقفت هي أمامي لتدافع عنه وتتلقى اللكمات بدلاً منه، لم أنتظر طعنةً أخرى لكنها لم تكتفي فأعلنت زواجهما بعد هذا الحدث بشهر واحد وكانت هذه الطعنة الثالثة والأخيرة !!!!

لو كانت تريده لِمَا أدخلتني حياتها إذن !! لِمَا تركتني أفعل من أجلها كل ما فعلته ! أم أنا من كان المخطئ ! هل أعطيتها حجمًا أكبر من حجمها الطبيعي ! هل هو خطأي لأنني لم ألاحظ أنه هناك محتلاً سبقني وسلب فؤادها ! أم ألوم ذاتي لأنني على هذه الحالة بسببها !! لكنني قررت أن أتعافى، ليس من أجلها، بل من أجل ذاتي أولاً وحتى أبدأ حياةً جديدة مع أنثى جديدة دون أثار باقية لتلك الخائنة ..

هنا طرقت درة باب سليم فسمح لها بالدخول ثم تفاجأ من زيارتها !

هي لم تتفوه كثيرًا بل وقفت أمامه ثم قالت له في ثبات :-
"لا تثق في طيف، فهي لا تساعدك، هي فقط تحاول أن تساعد معشوقها جاسم، حتى أن جميع أسرارك تصل إليه"
ثم أخرجت هاتفها وإذا بتسجيل لطيف وهي تتحدث عن سليم أمام جاسم ودرة عندما أرادت مضايقة درة ، لكنها لم تعلم أن درة كانت تقصد أن تجعل طيف تضايقها حتى تقع في هذا الخطأ فتحصل على هذا التسجيل لكي تستخدمه ضدها في هذا التوقيت تحديدًا ..
نظر جاسم على الكاميرات دون قصد فوجد درة في غرفة سليم !! ركض تجاهها حتى يلحق بها لكنها سبقته وذهبت إلى غرفة طيف وفتحت الباب دون استئذان ثم وضعت شيئًا ما على مكتبها قائلة :-
"أصبحت لا أملك الحق في هذا الآن"
وهمَّت أن ترحل لكنها أدارت وجهها مرةً أخرى لتخبر طيف بأنها تعترف أنها مريضة ولكنها لا تريد أن يعالجها جاسم مرةً أخرى فهناك أطباء ماهرين في المشفى، فعليها أن ترشح لها أحدهما ..
هنا تدخل جاسم وكاد أن يفرغ غضبه في درة دون أن يصغى لها ولكن طيف وقفت أمامه سريعًا حتى تتفادى أي فعل هما في غنى عنه ..
صرخ جاسم في وجه طيف قائلاً :-
- جاسم :- لقد كانت عند سليم
ثم وجّه كلامه لدرة بغلظة أكثر :-
- ماذا كنتي تفعلين عنده !! وبمَا أخبرتيه !!!
لم تبدو على درة أية ردة فعل فقالت في عدم مبالاة :-
= درة :- سليم يشبهني كان يحتاج لصفعة مثل التي تلقيتها، فساعدته
صرخت طيف في وجهها متسائلة عما فعلت فأجابت درة بثبات :-
= لقد نصحته ألا يثق بكِ مرةً أخرى، وألا يكرر خطئي، لقد وثقت في جاسم، ظننته يبادلني المشاعر لكنه كان يمارس مهنته فقط، فعلى سليم أيضًا أن يعي جيدًا أنكِ تمارسين مهنتك لا أكثر ..
ثم أخرجت هاتفها وقامت بتشغيل ذاك التسجيل فدُهلت طيف وضغط جاسم على أسنانه من شدة الغيظ ثم صرخ في وجهها :-
- مريضة، أقسم لكِ أنك مريضة يا درة
لم تبالي درة وأكملت في سيرها ..
هنا عادت طيف إلى الخلف في حالة من الصدمة ثم بدأت دموعها تتساقط واحدة تلو الأخرى، وكأن درة هي القشة التي قسمت ظهر البعير، فطيف تعيش تحت ضغط الفترة الماضية إثر اقترابها من جاسم ومشكلات المشفى والمرضى وحتى سليم، كادت أن تسقط فساندها جاسم وأجلسها على المقعد ثم طلب لها ليمونًا بالنعناع حتى تهدأ ..
تكلمت طيف في إرهاق مخاطبة جاسم :-
= طيف :- لماذا يحدث معي هذا كله في آنٍ واحد !!

وضع جاسم يده فوق يد طيف ليسألها ماذا بها فسحبت يدها بسرعة ثم نظرت له وهي تمسح دموعها :-

= أنتَ ، يحدث أنتَ

- لا أفهم قصدك يا طيف ؟

= لم أكن يومًا على هذا الحال، هذه ليست طيف التي عاشت معي ما يزيد عن عقدين، نتحدث كثيرًا، أجد الأمان بجوارك، كلماتك البسيطة تضطرب قلبي، ألجأ إليكَ في كل مرة، في كل خيبة، في كل نكسة، دائمًا ما تفوز بإصلاح ما تُلف بداخلي، كأنكَ عقارًا لكل أدوائي الماضية، كأنكَ حصاد ليالٍ حزينة كثيرة مرت، أنتظر رؤيتك على أحر من الجمر، أخبرك بهذا الكلام ولا أعلم كيف ومتى اكتسبت هذه الجرأة !!

لم يكن يصدق جاسم ما يسمعه، أخيرًا شعرت به طيف، هل من تتحدث أمامه هكذا هي دكتورة طيف علوان !!! كاد من فرط السعادة أن يضمها لكنه تراجع حتى لا تفقد ضلعًا من ضلوعها ..

نظر لها ثم قال :-

- لم تتحدثي عن فرط غيرتي عليكي ؟

لم تتفوه هي بكلمة لكنها نظرت لعينيه ثم ضحكت ناظرةً إلى الأرض في خجل، فأمسك يدها ثم أوقفها ووقف أمامها ثم رفع كفها ببطء وطبع قبلة صغيرة أعلاه متأملاً في عينيها قائلاً :-

"بحبك يا طيف"

اتسعت عين طيف إثر ما سمعته فكررها ثانيةً :-

"بحبك يا طيف"

"أحبك منذ أول مرة رأيتكِ فيها ولم أكن أعلم، لقد نجحتي في سلب فؤادي، كنت أظن أنه لم ولن تُولد من تظفر به لكنكِ فعلتي، كنت أظن أنني لا أمتلك قلبًا من الأساس حتى يحب لكنكِ أحييته، بشهادة الجميع فلن يقع جاسم في ما يسمونه المراهقون حبًا لكنكِ أوقعتيني عشقًا، لا أعلم من أين أتيت بهذه الكلمات لكن أقسم لكِ أنها نابعة من صميم فؤادي ..

ثم ترك يدها ورفع يديه الاثنين مستسلمًا وهو يقول :-

"لقد حظيتي بدكتور جاسم حمدان يا طيف وجعلتيه يعلن ضعفه أمامك، بحبك"

وضعت طيف يدها على وجهها بتلقائية لتخفي حُمرة وجنتيها ثم امتلأت عيناها بالدموع، لكن هذه المرة كانت دموع فرحة مختلطة بقليل من الصدمة، فهل ما تسمعه حقًا !! هل انهزم دكتور جاسم حمدان أمامها ؟ هل جعلته يقع أسيرًا لحبها ؟ أم هي من وقعت في أسر سيدوم بقية الحياة !!

على كل حال هي سعيدة الآن ..

رَنَّ هاتف جاسم فلم يرد لكنه عاد الكرة فنظر إلى شاشة الهاتف ليجد نجيب فرد ليجد نجيب قائلاً :-

= اذهب لسليم الآن، فهو طلبك تحديدًا

نظر جاسم لطيف في أسف لكنها أيدته أن يذهب لسليم مطمئنة إياه أنها ستنتظره، فبادلها الابتسامة ثم خرج ..

لأول مرة يتجول دكتور جاسم المشفى وهو في هذه الحالة، فقد اتسعت شفتاه ابتسامًا وأشرقت

البهجة في وجهه ولمعت عيناه بطريقة ما ..
ذهب إلى سليم فوجده جامدًا لا يتحدث، فعرف أن درة أفسدت ما فعله منذ شهور لكن سليم فاجأه بردة فعله ..
= سليم :- أعلم أنك تعرف ماذا فعلت درة هنا
اندهش جاسم لمعرفة سليم وكاد أن يسأله لكن سليم سبقه وشاور بإصبعه على مكان الكاميرا، فراقب جاسم تصرفاته لكن سليم جلس على المقعد وطلب من جاسم الجلوس ..
= لن أصدق درة وإن كانت صادقة
- هي ليست صادقة فأسـ..
قاطعه سليم قائلاً :-
= أسرار المرضى لا يطّلع عليها أحد، لكن بطريقة ما وصل إليك ما كنت أقصّه على طيف
حاول جاسم تبرير موقف طيف وفي نفس الوقت الحفاظ على حالة سليم فقال :-
- لم يكن الأمر كذلك بل ..
قاطعه سليم للمرة الثانية :-
= لا أريد معرفة أصل الأمر، سأسألك بصفتي مريض وأنت طبيبي، ما رأيك في أوراقي ؟
- أوراقك!!
شعر سليم أن جاسم يجهل أمر الكلمات التي كان يخطُها ويقصّها على طيف فهدأ روعه واطمأن قلبه ولكنه أراد أن يتأكد فسأل جاسم ثانيةً ولكن بطريقة أخرى :-
= الأوراق التي وجدتها طيف في صندوق القمامة ؟
- لا أعلم عنها شيئًا !!
= لقد كنت أخطُ بعض الكلمات عن رقية فقرأتها طيف وقالت لي أن حالتي تتحسن، فكنت أريد أن تؤيد رأيها
- ما مضمون هذه الكلمات ؟
= تارةً كنت أشعر أنني أحبها، تارةً أخرى أبغضها، أحيانًا أشتاق إليها .. هكذا
- هذا أمر طبيعي يا سليم، فأنت مازلت تفكر بها، عليك...
قاطعه سليم سريعًا :-
= لم أعد أفكر بها
تعجب جاسم من ردة فعل سليم السريعة فمن المستحيل أن يكون قد تخطاها وهو على هذا الحال، ربما يريد أن ينساها بغيرها، هنا سنقع في مشكلة أخرى فعلينا أن نتجنبها من الآن ..
نظر جاسم إلى سليم ثم قال له :-
- عليكَ ألا تفكر بها، ولكن لذاتك ليس لغرض أخر، لقد فعلت لكَ مكروهًا ولكن عليكَ أن تقتنع أنه النصيب، فإن كانت لكَ تاللّه كنتما ستجتمعان ثانيةً، هناك خطأ يرتكبه أكثر من ٩٠% منا، عندما نريد أن نتخطى تجربةً، شخصًا، أمرًا ما نتظاهر بالتجاهل، نمضي وكأننا لم نمر بهذا الموقف من الأساس، ولكن عندما يُطرق أي باب قريب من هذا الأمر نعلن انهيارنا دون سابق إنذار، التجاهل شيء مهم ولكن في وقت معين، بعدما نتأكد أننا قمنا بإزالة رواسب الأمر ذاته، سيمضي وقتًا حتى نصل لهذه المرحلة، لكن أن نمضي وقتًا حتى نتعافى أفضل من أن نتظاهر بأننا تعافينا وأثر الندبات

لازال موجودًا ..
فهم سليم مقصد جاسم جيدًا ووافقه الرأي فعليه أن يتخطى مشكلته مع رقية أولاً ثم يتطرق ليفتح ثنايا قلبه لملكته الجديدة ..
قرر سليم حينها أن يتجاهل ما أخبرته به درة وأن يسير على نهجه الذي خطط له منذ فترة ليست بالطويلة ..
عاد جاسم لطيف في لهفة كأنه تركها منذ خمس سنوات فوجدها تراقب ما تركته لها درة فاقترب منه ثم فتحه ليجد المجوهرات التي جلبها لها ..
فهمت طيف على الفور عند رؤيتها لهم فنظرت لجاسم حتى ترى ردة فعله، فأزاحهم بيده جانبًا ثم قال لها أمامك نصف ساعة فقط حتى تحددي المكان الذي ستختارين منه مجوهراتك ..
ردت طيف :-
= مجوهراتي ؟
نظر لها جاسم ثم رد مازحًا :-
- شبكتك يا عروسة
ثم جذبها من يدها وخرج بها وسط الجموع رغمًا عنها، فزادت حُمرة وجنتيها وحاولت سحب يدها لكنه كان يضغط عليها بشدة ويتجول أمام العاملين والمرضى كأنه يريد إيصال رسالةٌ معينة، ألا وهي قلب دكتور جاسم حمدان أصبح مِلك تلك الملكة ..
كان الجميع ينظر لهما ! هل هذا دكتور جاسم حمدان !!! هل هذه دكتورة طيف علوان ! هل ما نراه صحيحًا !! هل أوقعت هذه الفتاة شباك دكتور جاسم ! كانت الأعين تلاحقهما وكانت طيف تتفادى هذه النظرات بينما يسير جاسم رافعًا رأسه، راسمًا ابتسامة مبهجة، متجهًا إلى غرفة نجيب ..
- جاسم :- ستكون الخِطبة هذه المرة حقيقية
وقف نجيب إثر ما سمع ونظر إلى يد جاسم وهي متشابكة في يد طيف فجرى على صديقه ليحتضنه في شوق، أخيرًا استجاب جاسم لنداء قلبه، أخيرًا قرر أن يُدخل شريكًا معه في هذه الحياة العسيرة، ثم بارك لطيف التي لا تجيب من شدة الخجل ..
جذبها جاسم للخارج بعدما أخبر نجيب بقراره وهو مازال مُمسكًا بيديها، نزلا للأسفل ثم خرجا سويًا من المشفى، فتح لها باب السيارة في رومانسية واضحة ثم أدخلها ليجلس بجوارها في الكرسي المجاور ثم نظر لها قائلاً :-
- كيف فعلتي بي كل هذا، كيف جعلتيني أفعل ما فعلته !!
لم ترد طيف فهي ذاتها مندهشة من تصرفاته الطائشة كأنه شاب في الثامنة عشر من عمره يقابل حبيبته لأول مرة، لكنها لن تنكر أنها سعيدة جدًا بهذا الطيش ..
ترك لها العنان في اختيار ما تريده من مجوهرات وللحق هي لم تختار شيئًا فخشيت أن تثقل عليه ورغم أنها لم تتحدث في ذلك لكنه ابتسم حِيال ذلك فهو يعي جيدًا ما تفكر به لذلك أرغمها أن ترتدي هذا وذاك وتلك وجلبها لهم جميعًا ..
ثم مسك يدها ليجرب خاتم الخِطبة في إصبعها فنظرت له طيف قبل أن ترتديه ثم قالت :-
= ألن ترحل يا جاسم ؟

فرد جاسم على الفور :-

"لقد سلبتي وَتِيني ، فلن أستطع العيش إلا بكِ"

مرَّ اليوم هادئًا على طيف وجاسم حتى وصلا كل منهما إلى سريره فرجع جاسم بظهره إلى الوراء يسترجع ما حدث له في الفترة الماضية، اقتحمت طيف حياته كما اقتحمت قلبه، لم تحتاج مجهودًا حتى تلفت انتباهه، فقد صار جاسم شخص آخر بفضل هذه الصغيرة، كان متأكدًا أن من ستوقع به في عش الزوجية ستجتاز جميع اختبارات جاسم العقلية المعقدة دون أي عاطفة حيث أنه قرر منذ فترة ليست بالقريبة أن وظيفة قلبه الوحيدة هي ضخ الدماء، لا أكثر ..

لكن طيف غيرت هذه القاعدة بل كسرتها وحولتها إلى فُتَات غير نافع، ظل يتأمل صورتها قليلاً حتى غاص في سبات عميق ..

في الجهة الأخرى طيف تنظر للمجوهرات التي جلبها لها جاسم، كانت تريد أن تشاركها عائلتها مثل هذا الحدث لكن هذا الأمر لم يصبح مُتاحًا فمنذ أن استقلت طيف هاربةً من المشاكل ولم تعد على تواصل دائم معهم لكنها هاتفتهم وأخبرتهم فلم يبدوا أي ردة فعل !

تذكرت طيف نظرات عينيه في الصباح ثم سألت نفسها هل تسرعت في الأمر لكن سرعان ما جاءت الإجابة من قلبها وعقلها معًا أنها قد تأخرت كثيرًا حتى تفتح قلبها لجاسم، فطيف كانت ولازالت وحيدة، دائمًا ما تحتاج إلى شريك لها لكنها لا تجرؤ على طلب ذلك حتى قابلت جاسم، كان الأمر في البداية يبدو عراكًا لكنها لم تعارك جاسم قط، لربما نجحت في استفزازه عدة مرات لكنها لم تُقبل على أذيته حتى عندما سنحت لها الفرصة تراجعت سريعًا وما إن وجدت الأمان معه نسيت كل ما أقسمت به وكل ما كانت تنوي فعله، فقط الأمان ..

عاشت طيف طوال عمرها تبحث عن الأمان فلم تجد أبًا يحنو عليها ويحتوي مراحلها المختلفة لكنها لا تقوى على الاعتراف بذلك أمام أحد حتى جاسم أخفت عليه هذا الأمر، لم تجد أمًا قريبة منها تسمع قصصها الرتيبة وتقوم بنصيحتها ..

تذكرت طيف ذلك الموقف ثانيةً، وجاسم يبرحه ضربًا فقط لأنه نعتها بالقمر !! ماذا لو كان تعرض لها أو اقترب منها !! على الأرجح كانت ستجهز الآن لزيارة جاسم المقبلة قبل أن يصدر أمرًا بإعدامه ..

لا يقتصر الأمان على القوة الجسدية فقط وإن كانت مطلبًا هامًا في بعض الأحيان، لكن لربما كلمةً تضمن لكَ الأمان، نظرةً، حتى الصمت أحيانًا بجوار أشخاص معينين يبث الأمان ..

أعتقد أنه شعور لا إرادي، فربما تقابل شخص مفعم بالعضلات ويمتلك كلامًا جاشًا لكنك لا تشعر معه بالأمان وهناك شخص أخر لا يتعدى وزنه الأربعون لكنك تمتلك العالم بجواره، فالأمر أشبه بإشكاليات الدجالين التي لا نفهمها فيطلبون منكَ كف يد نملةً تعرضت للطلاق خمس مرات مع عين تمساح صارع الملك نبوخذ نصر الثاني وانتصر عليه حتى يجلب لها " مقرود " التي تحبه منذ عشرات العقود ..

فالحب أشبه بذلك، تنجذب وراء أشياء لم تكن من اهتماماتك ذات يوم، ولا تعي لها معنى لكنك في النهاية تقع تحت أسره ..

ناما الاثنان وهما في قمة سعادتهما فلم يصدق أحد أن يجتمع جاسم وطيف أو أن يجتمع جاسم أو طيف مع شريك لهما !!

استيقظ جاسم وذهب إلى المشفى بعد أن هاتف محبوبته المُدللة واطمئن عليها ثم ذهب لسليم ليرى ما وصل إليه ..
وجده جالسًا والحيرة تبدو على وجهه فسأله جاسم عن السبب فرد سليم :-
= سليم :- لا أعلم، لكنني متأكدًا أنني لست بخير
- جاسم :- رقية !!
= نعم
- هل تشتاق لها أم لأفعالها ؟
= ما الفرق ؟
- ستعلم حينما تجب، ما الذي تشتاق إليه تحديدًا!!
= رقية، اشتقت إليها، لسماع صوتها، لنظرات عينيها، اشتقت لمقابلتنا الغرامية، للأماكن التي كنا نذهبها سويًا، اشتاقت أن يهتم بي أحد، أجد من يحنو علي، من أقصّ عليه تفاصيل يومي، ودّدت لو كان بإمكاني أن أتزوج من محبوبتي، لا أقتنع بما يطلقون عليه زواج صالونات !! كيف سأعيش مع فتاة لا أعرف عنها شيئًا، ولا هي أيضًا !! كيف سنفهم بعضنا البعض ! هل فترة الخِطبة كافية !! كلا إنها فترة زائفة ، يجاهد الاثنان فيها حتى يخرجا أجمل ما عندهما وما إن ينغلق عليهما بابًا واحدًا تظهر جميع العيوب ..
- وماذا أيضًا !
= لا أريد أن أخوض هذه التجربة بهذا الشكل التقليدي، كانت رقية هي الأنسب لي لكنها رحلت
- أرأيت ؟ إنك لا تحب رقية بل كنت تحب كونك في علاقة غرامية
= عفوًا!!
- عندما سألتك عن الشيء الذي تفتقده تحديدًا، أخبرتني أنها رقية لأن عقلك يريد إثبات ذلك أو أنك أنت من تريد ترسيخ ذلك في ذهنك ومن ثم بدأت تتحدث عما كنت تفعله معها، كسماع صوتها أو مقابلتها ثم ظهر السبب الحقيقي أنت تخشى أن تخوض تجربةً دون دراسة كافية فعاد عقلك ليفكر برقية مرة أخرى، أنت توهم نفسك بحبها، تودّ قول أنك تخشى زيجة تقليدية، صحيح ؟
= نعم
- وهل استمرت علاقتك بمن اخترتها بطريقة غير تقليدية ؟
= لا
- هل كنت تتعمد إظهار عيوبك أمام رقية ؟
= لا
- أي كنت تجاهد لتخرج أجمل ما عندك وما إن ينغلق عليكما بابًا واحدًا تظهر جميع العيوب ..
صمت سليم ولم يتفوه بأي كلمة فقد أقنعه جاسم بكلمات بسيطة وأوضح له ما يدور في ذهنه تمامًا، تحدث جاسم ثانيةً قائلاً :-
-هكذا هو الإنسان يا سليم، عندما يقع في مشكلة ما لا يبحث عن حلها بل يكون هدفه الأول أن يصير ضحيةً بأي شكل من الأشكال، وما إن يتوهم السبب يبدأ في إيجاد مبررات لتصرفاته المضطربة بل ويقتنع أنها أسبابًا منطقية لعدم تعافيه، لكن إن فكر في الأمر بشكل أخر وبطريقةً أخرى سيختلف الأمر تمامًا، كما تأخذ رأي صديقك في مشكلة لكَ فيبهرك بسيل من الحلول لكن ما

إن وقع نفس الشخص في نفس المشكلة لا يجد لها حلاً، لأن هدفه في المقام الأول حينها أن يصبح ضحيةً ثم يصدقها دون أن يفكر في حل للمشكلة ذاتها ! فتزال قائمةً ..
في هذه اللحظة تأكد سليم أنه أخذ قرارًا سليمًا عندما أبعد طيف واختار دكتور جاسم حمدان لعلاجه، فهو سيقتصر الطريق سريعًا حتى يتعافى سليم تمامًا، حينها سيعود لطيف مرةً أخرى ..
هاتف جاسم طيف ليجدها في مكتبها فصعد إليها ثم طلب منها مقابلة أهلها فتوترت هي وبان ذلك عليها بوضوح، فظن أنه تسرع في الطلب أو طلبه بطريقة غير مناسبة فاعتذر منها على الفور، وما إن سمعت اعتذاره حتى انهمرت دموعها مما سبب دهشته !!
فآثر الصمت في هذا الموضوع ولكنه ظل يطمئنها بكلامه الهادئ ولكن ما إن تفوه ازدادت دموعها فصمت تمامًا وبات بجوارها ..
كانت طيف في هذا الأمر تفكر هل عليها أن تخبره بحقيقة علاقتها مع أهلها أم تكتمه سرًا باقية حياتها ! هل إن عرف ستتغير نظرته لها أم سيعرف أنه ليس لها أحدًا يجلب لها حقها منه إن ضايقها ؟ ماذا يجب عليها أن تفعل ؟ هل تصارحه وتعتبره عوضًا من اللّه عما حدث معها أم تأسرَّها في نفسها !
هنا تحدث جاسم بعد أن فهم أن الأمر يتعلق بعائلتها فبادر هو قائلاً :-
-جاسم :- لم أخبرك بما عانيته من أهلي من قبل، هل تسمعين ؟
نظرت له طيف في استغراب ثم رددت كلمته :-
= طيف :- عانيته ؟
- نعم، لم أخبر أحدًا بهذا من قبل لكن شيء ما بداخلي يحثني أن أخبرك، أرجو ألا يكون مخطئًا
= لن يكون كذلك، أنا أسمعك جيدًا
- لقد عانيت من أبي كثيرًا، لقد كان رجلاً فظًا، لا يتكلم بل يده من ترد بدلاً عنه، كانت أمي تخبره تكرارًا ومرارًا أنني رجل لا يجوز ضربي لكنه لا ينصت لها ويستمر في سياسته، حتى جعل مني هذا الشخص القاسي، المتعجرف كما تقولين
ضحكت طيف إثر الجملة فابتسم هو لأنه نجح في مهمته الصغيرة ثم أكمل كلامه :-
- كنت أخشى أن يعرف أحد ما أقوله لكنني معكِ لا أخشى شيئًا، لا أخشى سوى أن يمسّك ضررًا وأنا غير موجود
= وأنت غير موجود !
- نعم لأنني وأنا موجود لن يجرؤ أحد على التفكير بذلك
كادت طيف أن تخبره عن عائلتها بعد تلك الجملة لكنها تراجعت حتى تفكر ثانيةً وتأخذ قرارًا مصيريًا ..
أكمل جاسم قائلاً :-
- بينما كان يتعامل الجميع معي كـ سوي يا طيف كانت تتصارع الأمراض النفسية بداخلي من ستلتهمني أولاً
= لن أنكر ذلك، لقد رأيت فيكَ هذا
- رأيتي فيا ماذا ؟
تأكدت طيف أنها جرحت جاسم دون أن تدري فهمَّت أن تعتذر لكنها قد أفسدت الأمر بالفعل، فانقلب

وجه جاسم وشعر بالحرج منها لكنه أكمل رغمًا عنه ليسألها :-
- هل حقًا تعتقدين أنني مريضًا نفسيًا ؟؟
= لا، لم أقصد ذلك، بل قصدت ..، أن..
- لا عليكِ يا طيف، قد فهمت
قامت طيف مسرعة وجلست بجواره ثم لامست كفه ولم تتحدث بل اكتفت بالنظر فنسي هو ما قالته منذ ثوانٍ ..
قام جاسم من عند طيف وهو يفكر في ما قاله لسليم هل من الممكن أن يكون مثله ؟ هل من الممكن أنه يريد خوض علاقة غرامية !! هل هو أيضًا يعيش الأمر ذاته مع طيف !! لكنه سرعان ما طرد هذه الفكرة من ذهنه عندما تذكر أنه لا يلين إلا معها، لا يرى سواها، لا يتكلف في الحديث معها فيترك العنان للسانه ليخبرها بما يريد أن يخبرها به، يغار عليها، تذكر عندما أخذ درة لتختار مجوهراتها وعندما أخذ طيف، لم يكن يشعر بشيء مع درة لكنه شعر بكل شيء مع طيف، كان يريد أن يجلب لها المحل بأكمله، بل محلين، ثلاثة، جميع ما تختاره هي ..
تذكر عندما كان يفتعل المشاكل مع درة على أتفه الأسباب وعندما لمحت له طيف اليوم أنه مريض نفسي، فعندما لامست يده ونظر لعينيها ارتجف عقله وتوقف عن عمله وهمَّ ليقع مجددًا في حبها ..
ثم نظر لصورتها المحفوظة في هاتفه ثم قال :-
تاللَّه ما كنت مجبورًا، لقد اخترتكِ بكامل إرادتي العقلية وقوايّ القلبية ..

في الوقت ذاته كانت تفكر طيف في علاقتها مع جاسم، هل هي في المسار الصحيح ! أم أنها تتوهم ذلك !! لم تكن طيف تخشى العلاقات حتى خاضتها، حينها افتقرت الأمان فأصبحت تتلاشاها حتى تعرقلت في جاسم فباتت تسير وراء أوامر فؤادها دون الرجوع للعقل ..
قررت أن تطلق العنان لعقلها ولو لمرةً واحدةً في علاقتها مع جاسم، فإن نظرنا للماديات فهو على قدر عالٍ منها، أما المستوى الاجتماعي فهو واجهة مشرفة بشهادة الجميع، يعيش بمفرده، لديه مسكن مستقل يصلح جيدًا للزواج، يعلم جيدًا كيف يتحمل مسئوليته ومسئولية من بجواره، والأهم من ذلك وذاك أنها لم تشعر بالأمان طيلة حياتها إلا بجواره، هذا ما اكتشفته طيف مؤخرًا وصدقت عليه ..
ولكن هل هذه الصفات كافية لاختيار شريك الحياة !! هل العقل وحده كافٍ ؟ بالطبع لا، تعتقدون أنني سأقول أن للقلب رأي هام ! بالطبع لا أيضًا، عندما نتعرقل في شريك حياتنا لا نخضع لمبادئنا التي كنا نردّدها أعوامًا، بل نجدنا نسير وراء أهواءٍ لم تكن من خصالنا يومًا ولم نطرق لها خاطر وكنا نعتقد أنها لن تطرق لنا بابًا، نعيش أعمارنا تحت خدعة فتى أحلامنا التي تتراوح صفاته بين الكمال والصفات السامية والمقاييس الدقيقة ثم نكتشف أن من اخترناه بكامل إرادتنا لا يملك أية منهما !!
والمدهش حقًا أننا نصل لقمة الإقتناع بذلك الشخص، كأنه سلبَ قلبك دون أدنى مجهود، كأنه مسخرًا لذلك ..
لذلك رفضت طيف فكرة أنها ستنظر لغير جاسم وإن كان يتخطاه صفاتٍ، فالأفضل لا يفوز في كل الأوقات، لأن لفظ الأفضل هو نسبي في الأصل، فأنت من تحدد الأفضل بالنسبة لكَ، وعليكَ ألا تتأثر بوجهات نظر من حولك في اختيار شريك حياتك، فمن الممكن أن تنصت لخبراتهم ولكن ليس بالضروري أن تنفذ نصائحهم، فبنسبة ضئيلة جدًا ستتماشى أفكارهم مع أفكارك، عليك أن تتقصى مرة واثنين وستة وستون ولكن في النهاية أرجع القرار لكَ، لكَ وحدك لأنك من ستتحمل مسئوليته

بالكامل ..
حينها تذكرت طيف جزءًا من قصيدة "لا تصالح" للشاعر "أمل دنقل" والتي يقول فيها :-

أترى حين أفقأ عينيك .. ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى ؟
هي أشياء لا تشترى

على الرغم من أن غرض القصيدة الأساسي لا يتطابق مع ما يدور في ذهن طيف الآن لكن بطريقة ما ربطتهما طيف، فعلى الرغم من أن الجواهر من الأشياء النفيسة لكنها لا تجدي في كل الأحوال فإن بدلتها يومًا بما هو أدنى من قيمتها المالية -بالنسبة لكَ- فستصير كفيفًا !!
هكذا الأمر بالضبط، ما يراه غيرك غاليًا وثمينًا قد يسبب لكَ ضررًا لن تُشفى منه..
فربما يجد البعض جاسم متعجرفًا ولا يجيد التعامل مع الآخرين لكنه يتعامل مع طيف برقة ولين بشكل ملحوظ وهذا يكفي بالنسبة لها ..
لكن لسوء حظها فقد أمسكت هاتفها قبل أن تخلد إلى النوم وظلت تقلب في بعض مواقع التواصل الاجتماعي وتقرأ كل ما يقع أمامها ..
استيقظ جاسم مبكرًا ثم ذهب إلى المشفى وكان يريد الاطمئنان على حالة سليم، فما إن وصل حتى طرق باب غرفة سليم فوجده جالسًا ينظر للباب كأنه يعلم بوجوده وينتظره ..
- د. جاسم :- كيف حالك الآن ؟
= سليم :- لا أعلم ولكنني أبدو جيدًا!
- تبدو!
= نعم
- وما الذي يجعلك غير ذلك ؟
= أفتقر الثقة في اختياراتي
- أتفتقرها لأنك أخطأت مرةً في اختيار!!
= لم تكن مرةً، بل مرات، عندما أخطأت وأنا في مراهقتي، وعندما أخفيت عن أمي مصائبي مع أصدقائي، وعندما اتجهت للمخدرات يومًا، وعندما تعافيت منها أيضًا ..
- أخطأت لأنك تعافيت من التعاطي ؟
= نعم، لربما كنت في حال أفضل الآن، ناهيك عن اختياري لرقية وعندما تجاهلت سماعي للآخرين، لم أعد أثق في قراري، لابد أن يدعمه أحدًا !
- قد يكون الآخرين أصابوا تلك المرة لكن ليس بالضروري في كل المرات.
= ماذا تقصد ؟
- أقصد أنه ربما كان رأي الجميع في رقية صحيحًا لكن هذا لا يعني أن جميع آرائهم في جميع المواضيع صحيحة.
= هل وضحت لي بطريقة أسهل ؟
- لا يوجد إنسان على وجه الأرض لم يخطئ من قبل -إلا من رحم ربي-، فأصل نزول جنس آدم على الأرض هي الخطيئة، فلو لم يخطئ آدم ما نزل الأرض ولله الحكمة الأعلى بالطبع، حتى بعدما

استقر على سطح الأرض بدأت أول جريمة في تاريخ البشرية وهي قتل الأخ لأخيه، فلا جرم أن نخطئ عن سوء جهل أو عن ضعف إيمان ولكن الجرم حقًا ألا نفيق سريعًا ونستغفر ونتوب توبةً صالحة بعزم، وأن نتعلم من أخطائنا وألا نكررها على قدر الإمكان ..
فعليك أولاً أن تثق بنفسك وبقرارك وعليك أن تدعم قرارك حتى وإن عارضه من حولك طالما لا تضر غيرك به فإن نجحت فسوف تنسب كل الفضل لكَ وحدك وإن لم يكن ستعيد تفكيرًا في خططك وستطورها قدر الإمكان ..
ثم نظر جاسم لسليم قائلاً :- عليك أن تحب ذاتك أكثر من ذلك يا سليم، أغلب المشكلات التي تواجه الإنسان وُجدت لأنه لا يحب ذاته أو لا يعرف كيف يحبها أو لا يهتم من الأساس إن كان يحبها أم لا، فاللَّه -سبحانه وتعالى- كرم جنس آدم وفضلهم على كثير من المخلوقات، فأنت يا سليم عندما تحب شخصًا تحاول بكل الطرق أن تنْل رضاه، فلِمَا لا يكون ذلك شعورك حيال ذاتك ! لِمَا لا تخشى عليها الحزن ؟ لِمَا لا تطورها وتعطيها حقها ! لِمَا لا تلوم نفسك على إهمالها لذاتها؟ لِمَا لا تكافئها ! ألف لِمَا يا سليم لو فعلنا جزءًا منها لباتت حياتنا أفضل ..
وقف جاسم ثم نظر لسليم وألقى عليه جملةً أخيرة قبل أن ينصرف :-
ثق في اختيارك يا سليم، أدرك الأمر جيدًا ثم أدرس جوانبه بما يناسبك ويناسب طبيعتك، ثم توكل على اللَّه وأشرع فيما وصلت له ..
كأن سليم كان ينتظر هذا الكلام من أي شخص وكأنها إشارةً لِمَا يشغل باله الفترة الماضية، فقرر أن ينصت لكلام جاسم ويشرع فيما هو متردد فيه ..
خرج جاسم من غرفة سليم ليصطدم بطيف تمر من أمامه فنظر لها نظرةً حادة لم تفهم سببها ولكنه سحبها من يدها هامسًا :- تعالي معايا
تعجبت طيف من أسلوب جاسم فلأول مرة بعدما أعلن لها عن حبه يعاملها بتلك الطريقة الجافة، ذهبت معه إلى المكتب ورغم أنها خطوات قصيرة لكنها باتت أميال بالنسبة لها فجاءتها كل مخاوفها، ودارت العديد من الأسئلة في ذهنها، هل عاد جاسم لتعجرفه ؟ هل ستتلقى صفعةً على وجهها الآن؟ هل انتهت الفترة اللطيفة بينهما ؟ هل كانت مخطئة عندما أحبته !!
لم تكمل جملتها حتى أفاقها صوت فتح باب غرفة جاسم فدخلت أولاً ثم دخل خلفها وقفل الباب، اقترب منها ثم قال لها في حزم :-
- جاسم :- هو إيه اللي أنتي كنتي بتعمليه ده ؟
= طيف :- كنت بعمل إيه يعني !!
زادت حدة جاسم في الكلام وارتفعت نبرة صوته قائلاً :-
كنتي واقفة تضحكي وتهزري بمد الإيد مع الممرضين، ده طبيعي ؟
تعثرت كلمات طيف ولم تعرف بماذا ترد ولكنها أصرت أن تكمل هذه المعركة فقالت :-
= حتى لو، أنا حرة
كاد جاسم أن ينفجر وأن يضع أحشائها مكان هذه الزهور القاطنة أعلى المكتب لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة وهدأ تمامًا مخرجًا نفسًا عاليًا ثم جلبها من يدها برفق وأجلسها على الكرسي ثم جلس على الكرسي المقابل لها وتحدث لها برفق :-
- هو أنتي فعلاً شايفة أنك حرة ؟

لم يكد أن يكمل جملته حتى قاطعته طيف بحدة قائلةً :-
= أيوة
أطلق زفيرًا آخر محاولاً السيطرة على أعصابه، فقال لها ثانيةً :-
- تمام أنتي عاوزة توصليلي أنك حرة وأني مليش الحق أرفض صح ؟
لم تستطع طيف السيطرة على أعصابها فهي لا تسمح أن يتحكم بها أحد ولن تسمح بذلك فهي لها مطلق الحرية في اتباع أساليب حياتها كما يروق لها، حتى وإن أخطأت منذ دقائق فالأمر يعود لها بالكامل، فأصرت على موقفها حتى لا تعطي جاسم رخصةً للتعليق الدائم على تصرفاتها فهذا ما قرأته ليلة أمس، فقد قرأت عن تجربة فتاة كانت تسمح لحبيبها أن يتدخل في كل شئون حياتها حتى انتهى الأمر بالانفصال، فخشيت أن تخوض طيف التجربة ذاتها فقررت أن تضع حدًا من البداية، لكنها كانت مخطئة ..
فقامت ثم قالت في عزم :-
= بالظبط كده
فهز جاسم رأسه متفهمًا ثم عاد ليجلس على كرسي مكتبه وهو لا يتلفظ بأي كلمة فقط يضغط على يده ويطرق بها على طرف المكتب، فخرجت طيف ذاهبة إلى منزلها دون مقدمات ..
ما إن علم أنها خرجت من المشفى حتى هاتفها لكي يطمئن عليها لكنها لم ترد وقامت بإغلاق الهاتف، مما زاد الطين بلة، فأنكر جاسم هذا الفعل فهما لم يعدا صغارًا على هذه التصرفات، فهو لم يصدر منه أي تصرف قاسٍ بل تعامل مع الأمر بحكمة وهذا عكس طبيعته !
أرسل لها رسالةً وكتب فيها :-
"لم أكن ولن أكون ذلك الشخص الذي تودينه الآن، فإن لم يكن لديكِ استعدادًا للمناقشة، فلن أكون مناسبًا لكِ"

لحسن الحظ لم تفتح طيف هاتفها في الطريق، لكنها فتحته بمجرد أن دخلت منزلها فوجدت تلك الرسالة من جاسم، فلم تأخذ وقتًا طويلاً حتى انهمرت في البكاء ..
فهذا هو جاسم الذي اختارته بعقلها وقلبها بل بروحها أيضًا !، هل كان يتصنع اللطف معها بينما يسيطر التعجرف عليه ويطغى على أسلوبه ! كانت تنتظر منه أن يلاحقها ويلحُّ حتى ينْل رضاها لكن ما حدث عكس ذلك تمامًا، ظلت تسأل نفسها هل ذلك إثر ما قرأته ليلة أمس؟ هل تأثرت بقصة الفتاة وخشيت أن تصير مثلها؟ أم أنها تعطي عقلها الآن مبررات حتى تحافظ على صورة جاسم كما كانت! فقدت الثقة في السيطرة على نفسها لكنها أقسمت أن ما حدث لن يمر مرور الكرام ..
في الجانب الآخر كان يضرب جاسم أخماس في أسداس جراء ما فعلته تلك العنيدة، فهو لم يصدر منه إلا رفقًا وليًنا فلماذا تعجرفت هكذا ؟، هل حقًا هي محقة وهو مازال لا يملك حقًا لكي يعلق على ما يزعجه من تصرفاتها !! حتى لو كان لا يملك الحق الفعلي فشخصيته لا تسمح له أن ترى من اختارها شريكةً لحياته تتصرف بهذا الطيش ويظل هو صامتًا !!
قطع تفكيره طرقات باب مكتبه، فإذا به نجيب يسأل جاسم عما حدث بينه وبين طيف فاندهش جاسم كيف عرف نجيب بما حدث لي فجأة نجيب برده قائلاً :-
= نجيب :- المشفى كلها تتحدث عما حدث يرددون أنك جذبت طيف من يدها بشدة وسحبتها لمكتبك وكان الغضب يعلو ملامحك !

- جاسم :- ألم يضيفوا أنني صفعتها على وجهها عدة صفعات ثم قمت بقص شعرها ونظفت به الجدران؟
= أتمزح يا جاسم !! أسألك عما حدث
- لم يحدث شيء ، فقط تريد أن تحصل على لقب الفيمنست التي تكسر قواعد خطيبها بجدارة وأنت تعلم أنني لست هذا الشخص يا نجيب
= ماذا حدث بالضبط ؟
قصَّ جاسم ما حدث لنجيب ليقابل الأخير كلامه بضحك هستيري ويسخر من موقف كلاهما، ففي وجهة نظره الأمر لا يستحق وكان من الممكن أن يقوما بحله بطريقة أسهل من ذلك لكنه العند وحب الأنا ..
اقترب نجيب من جاسم وجلس بجواره وصوبّ نظره حيال نظر جاسم ثم قال في حزم :-
= أنتو لسه مفهمتوش يعني علاقة بين اتنين، ارتباط يؤدي لخطوبة يؤدي لزواج يؤدي لحياة مستقرة وأولاد، المشاكل بتحصل كتير وبشكل دائم بس ازاي أقدر أواجهها واتصرف معاها صح، أنتو الاتنين غلطانين يا جاسم ولازم تعترفوا بده، أنتو مقدرتوش تقيدوا حدود المشكلة فكبرت منكم وبقت أكتر من مشكلة في بعض، يعني بدل ما كنت بتتخانق معاها عشان بتهزر وتضحك بصوت عالي، ضيف على ده أنها كلمتك بأسلوب وحش، وأنها قفلت تليفونها ومش بترد عليك، شوفت بقت كام مشكلة ! وهي كمان هتلاقيها دلوقتي بتفكر في الطريقة اللي اتكلمت بيها وأنك سبتها تمشي من غير ما تهديها وأنك مطمنتش عليها ..
تعجب جاسم من حكمة نجيب ولا يستطع أحد أن ينكر أن نجيب مُحقًا، فاستكمل نجيب حديثه :-
= لازم تحدد يا جاسم أنت عاوز تحل المشكلة ولا تنتصر؟
- مش فاهم!
= يعني دلوقتي نفترض أن طيف غلطت في حاجة، اللي يهمك أن الشيء ده يتصلح ولا أنها تعترف بغلطها وتعتذر؟
فهم جاسم مقصد نجيب وتبادل الابتسامات حتى أكمل نجيب :-
= بالظبط كده زي ما فهمت، أنت اللي يهمك أنها متهزرش وتضحك تاني ولا يهمك أنها تعتذر عن الطريقة اللي اتكلمت بيها !، طبعًا هدفك الأول أنها توقف الفعل اللي ضايقك وبعد كده نتناقش ونتفق على الطريقة اللي هنقدر نتعامل بيها، حدد يا جاسم أنت مستني الفعل ولا الأسف، وخلي بالك البنات عمومًا مبيحبوش اللي يغلطهم حتى لو هما نفسهم معترفين بالغلط لكن لو واجهتها بغلطها هتعند وتكابر وتتمادى فيه، احتويها واتكلم مرة واتنين وعشرة وفهمها أن الفعل ده غلط وهي عشان مبتغلطش مينفعش تعمله، افتكر يا جاسم أن دايمًا الطريقة بتفرق ..
اقتنع جاسم بكلام نجيب الذي يكون صوابًا في كل مرة فهمَّ لكي يهاتف طيف ويتناقشا سويًا لكن للأسف قد فات الأوان بالنسبة لعقارب ساعتها، فما إن هاتفها حتى صرخت في وجهه قائلةً :-
" تقدر تيجي تاخد شبكتك وقت ما تحب"
اندهش جاسم من اندفاع طيف، فهو اعتاد تلقائيتها واندفاعها وعصبيتها لكن ليس بتلك الطريقة فماذا حدث حتى تتخلى عنه بتلك السهولة ؟ هل من أول خلاف ينقطع الوصال ؟ هل هذه شخصية طيف التي لم يكتشفها جيدًا ! تغلب شيطان جاسم عليه وأقسم أنه لن يبذل مجهودًا حتى ترجع العلاقة كما كانت، فإن أرادت طيف كان بها وإن لم تأتي فلا بأس هذا قرارها وعليها تحمل عقوباته ..

خرج جاسم سريعًا من المشفى تاركًا الحالات التي عليه متابعتها اليوم، وهذه هي المرة الأولى التي يقصر في عمله وكان ذلك بسبب طيف ..
مر أسبوعان وجاسم وطيف لا يتحدثان وإن تقابلا صدفةً لا يلقيان السلام حتى صاروا حديث المشفى بالكامل ..
يأخذ جاسم أوامره من حب الأنا والغرور وطيف من العند وكلاهما يرفض تدخل نجيب لحل المشكلة وكلاهما يشعر بالسوء ..
تفاجأ جاسم بطيف تقتحم مكتبه ثم تضع علبةً مغلفة على المكتب فنظر لها ليفهم أنها بذاك الفعل تقطع ما تبقى بينهما تمامًا فجذبها من يدها لكنها صرخت في وجهه وأمرته أن يبتعد عنها وألا يقترب منها ثانية، ظل يحاول معها لكنها أبت بشدة ..
في هذا الوقت كان جاسم لا يهتم بمرضاه عدا سليم الذي أتم مراحل شفاءه كاملةً ولا يحوله عن الخروج سوى بعض المتابعات التي ستنتهي قريبًا ..
كانت حالة سليم بمثابة التحدي بالنسبة لجاسم ، دكتور جاسم قد مر عليه العديد من الحالات المتعثرة وقد نجح في علاجها بطريقته الفريدة لكن سليم لم يكن يشبه أي منهما فلذلك تطلب مجهودًا مضاعفًا ولم يبخل عنه جاسم ولا يوم حتى في أسوء لحظاته النفسية فتارةً كان يستجيب وتارات لا، لأول مرة يوافق جاسم أن يشاركه طبيبًا في معالجة أي حالة لكنها كانت طيف ..
كثيرًا منا ما يعامل مرض الإكتئاب كأنه غير موجود ويتعامل مع مريضه أنه مدلل لا يقوى على مواجهة صعاب الحياة، تلك هي النظرة التي ينظرها المجتمع لمن يعاني من الاكتئاب أو الحزن المفرط ولو بحث كل فرد منا بداخله لوجد نفسه من أشهر مرضى هذا المرض اللعين، الذي لا يظهر في التحاليل والأشعة، في الآونة الأخيرة انتشرت العديد من الأمراض الجسدية التي يسببها الاكتئاب وعندما يقوم الطبيب بإخبار أهل المريض أن الاكتئاب والحالة النفسية لها عامل رئيسي يتهمونه بعدم احترافية المهنة ! طالما يحصل الإنسان على مقدوره اليومي من الطعام والشراب فهو بخير، هذا هو النهج الذي نسير عليه دون وعي ..
في حينٍ آخر، لو علم الأهل أن ابنهم مصابًا بمرض السكر لاهتموا به كثيرًا وبطعامه ولو يعلم الناس فإن مرض الاكتئاب أخطر وأشد، فهو يؤدي إلى الهلاك دون مؤشرات ملحوظة للبعض، لا يلاحظها سوى من يعاني منه فقط ..
علينا أن نتعامل مع مريض الاكتئاب بحذر وأن نراعي ما يزعجه ونبتعد عنه، علينا أن نسانده حتى يخرج من تلك المحنة، فإن وقع الإنسان في أسر الاكتئاب لن يخرج منه أبدًا وإن خرج سيكون فاقدًا ما يبقيه على قيد الحياة ..
رجاءًا رفقًا بمريض الاكتئاب فهو لا يملك رفاهية الشكوى ..
ليس من العيب أن تعترف أنك تعاني من الحزن أو فقدان الوزن بسبب أمرًا ما قد يبدو تافهًا للبعض أو حتى للجميع، فوحدك من يملك الحق أن يقيم الأمور التي تجري معه فلم ولن يعيش تفاصيلها المؤلمة غيرك، لن يشعر بما تمر به في الثانية عشرة ليلاً على وسادتك سواك ..
لذلك عندما تعافى سليم بفضل مجهودات دكتور جاسم الذي لم يمل أبدًا من علاجه وبعدما اقتربا من عام كامل من المحاولات، نجح جاسم أن يعيد سليم لأفضل مما كان عليه، كان يعامله بمنتهى الحرص حتى أنه لم يخبره بأمر خطبة طيف أو حتى الإنفصال عنها فكان يخشى عليه سماع أي شيء يتعلق بالعلاقات، لذلك كان ينتظر يوم خروجه بشدة حتى يتباهى بما فعله أمام نفسه أولاً ثم أمام

الجميع ..
دخلت طيف غرفة سليم دون أن تخبر دكتور جاسم - باعتباره متابعًا لحالته ومديرًا للمشفى - فوجدته في حالة جيدة، لوهلةً افتخرت بحبيبها السري جاسم لكنها أخفت هذا الشعور سريعًا عندما تذكرت أنهما لم يعدا أحباب الآن ..
ما إن رآها سليم حتى لمعت عيناه ووقف سريعًا مخاطبًا إياها في سعادة غامرة قائلاً :-
"لقد أوشكت على تحقيق حلمي، لا يتبقَ سوى موافقتك"

لم تفهم طيف غرض سليم، فقالت عفوًا !!
فأجابها صراحةً :- أنتِ حلمي يا طيف.
لقد تخطيت كل صعاب المرحلة السابقة من أجلك أنتِ فقط، لقد تعافيت حتى أحظى بكِ.
لم تكن طيف بحاجة لسماع أكثر من ذلك فجرت مسرعةً على غرفة جاسم، ناسيةً أمر انفصالهما، فقد اعتادت إن وقعت في مشكلة أن تهرع إليه وتحتمي به، وهذا ما فعلته دون تفكير ..
اندهش جاسم لحالها وسألها عما بها؟، لم ترد، ظلت تتأمل ملامحه، فتاه هو في سحر عينيها واقترب منها ثم همس :- ألم يحْن الوقت ؟
فاقت من غيبوبتها وفهمت طيف أنه يقصد أمر عودتهما مرة أخرى فقالت :- فقط إذا سمحت لي بالتقاط صورة سويًا.
رفع جاسم حاجبه الأيسر إثر تعجبه ثم سألها عما قالت، فكررت ما قالته منذ ثوانٍ ..
أمسك جاسم هاتفه ثم رفع يديه ليلتقطا صورةً لكنها رفضت على الفور، وطلبت أن يقوم أحد بالتقاطها لهما !!
أبى غرور د. جاسم أن يطلب مثل هذا الطلب من إحدى العاملين عنده، فجذب طيف وذهبا إلى غرفة دكتور نجيب وطلب منه أن يلبي غرابة طيف المزعومة !
فعلها نجيب بهاتف طيف، فأخذت هاتفها ورحلت دون كلام !!
نظر جاسم لنجيب ثم قال :- عندها ٤/٣ ضايع والله العظيم.
اعتادت طيف طوال فترة انفصالها عن جاسم أن تلتقط صورًا لها، فكانت في كل صورة تصير أسوء من سابقتها، كانت ملامحها باهتة تختفي تحت ستار الحزن وكانت عيناها تملؤها الدموع..
نظرت لصورتها بجانب جاسم وكأنها تبدلت بشخص آخر، شخص مليء بالحيوية والسعادة، لن تنسى أبدًا لمعة عينيها وهي بجواره، ظلت تتأمل ملامحها بجواره، كيف أصبحت كالطفلة التي حصلت على دميتها بعد بكاء متواصل ..
في الوقت ذاته كان يحاول سليم أن يصل لطيف لكن دون جدوى، فهو يريد مقابلتها شخصيًا وهذا لن يحدث إلا إذا دخلت هي لغرفته ..
قررت أن تخبر جاسم بموافقتها على العودة ولكن هذه المرة ليست للخطبة بل لعقد قرانهما وعليه أن يخبر الجميع بذلك، فهما لم يعدا بحاجة لفهم بعضهما البعض، كما أنها تتمنى أن تجتمع بحبيبها وترافقه طوال ساعات يومه في أقرب وقت ..
لم تفكر طيف بما قاله لها سليم وكأنها لم تسمعه، ففرحتها بعودة جاسم طغت على مثل هذه الأشياء التي ليست لها قيمة عندها، فأخبرت جاسم بشرطها الوحيد فوافق قبل أن تكمل كلامها، فمنذ أن رآها وقد شعر بشعور غريب لم يجده مع غيرها، بدأ الأمر بعراك مفتعل ثم عناد وغيرة حتى انتهى الأمر

بأن كل منهما لا يستطيع الاستغناء عن الآخر وهذا ما لا يمكنهما إنكاره ..
بدت الأجواء سعيدة، جاسم وطيف يجهزان لعقد قرانهما، يتسامران قليلاً لأنهما منهمكين في التجهيزات، تبحث هي عن فستانها، يؤكد عليها جاسم ألا يثير غيرته وإلا كلفها الأمر العديد من أعضائها التي ستُفقد، يتفقان على الطعام والشراب، تنبه طيف عليه أن يرتدي قميصًا يتماشى مع درجة طلاء أظافرها!
لم يتخيل جاسم قط أن يهتم بتلك التفاهات، لكنه مع طيف فعل كل ما هو كان مستحيلاً بالنسبة له..
لم يتبقَ سوى أيام قليلة تفصل بين جاسم وطيف حتى يصبح زوجها رسميًا، فذهب للمشفى حتى يلبي رغبتها ويخبر الجميع بأمر ارتباطهما ..
وقد قرر أيضًا سليم أن يخبر جاسم بحقيقة مشاعره تجاه طيف طالما هي لا تعطيه فرصةً حتى يعبر لها عما بداخله ..
وصل جاسم المشفى وأخبر كل من يقابله أمامه ويقابل ذلك بفرحة عارمة، بل هناك إحدى الممرضات ظلت تزغرد تعبيرًا عن فرحتها بدكتور جاسم، حتى وصل لغرفة سليم، لم ينتظر أن يرحب به بل أول ما تلاقت عينه بأعين سليم قاله له :- عليكَ الخروج لشراء بذلة حتى تحضر عقد قراني على طيف.
لم ينطق سليم ولم يتفوه بأي كلمة وظل يتأمل ملامح جاسم كأنه يسأل ذاته عما يتميز به هذا المخلوق عنه حتى تفضله طيف ؟ ماذا رأت منه ! هل المشكلة في طيف ! أم أن سليم لا يصلح للارتباط ؟
ألهت فرحة جاسم تركيزه على تصرف سليم، فقد أخبره ودعاه للحضور ثم رحل مسرعًا حتى يخبر باقي طاقم العمل، حيث لم يكن المرضى من ضمن المدعوين لكنه استثنى سليم حتى يشاركه فرحته ظنًا منه أن ذلك سوف يساعده ..
بعدما أخبر جاسم الجميع، أنهكه التعب ففضل أن يذهب إلى منزله حتى يستريح قليلاً ..
ما كاد جاسم أن يحتفل مع طيف بقرب موعد عقد قرانهم، حتى أبلغه فريق التمريض الساعة الثالثة فجرًا بأن عليه الحضور في الحال وقد سمع بعض الصرخات المكتومة ..
فُزع جاسم وذهب مسرعًا إلى المشفى فوجد إحدى الممرضات مغشيًا عليها ومُلقاة على الأرض، فثنى على ركبتيه حتى يسعفها لكن أحد زملائه أشار إليه على غرفة سليم، نظر إلى الأرض فوجد دماءًا على الأرض، ارتعشت أطرافه واهتزت قدمه ولكنه أصر على المضي، فتح باب الغرفة وكأنه بابًا من أبواب الجحيم، فقد وجد سليم مُلقى على الأرض، ناهيك عن الدماء المتناثرة في كل جدار لتضفي للون الجدار البني بعض التغيير، قد انفصلت أطراف أصابعه عن يده وكذلك أظافر قدمه حتى أن جزءًا من لسانه قد بُتر، تقيأ جاسم على الفور وسقط مغشيًا عليه ..
هاتف نجيب طيف لتحضر على الفور، فما كان لها إلا أن تنهار وتبكي بشدة، فهذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها لمثل هذه البشاعة، فهي واقفة أمام جثة سليم وإن صح القول أشلاء سليم، يحاوطها رجال الشرطة من كل جانب، جاسم في حالة حرجة، لا تفهم ما يحدث حولها لكنها تجاهد لكي تبقى بجانب جاسم.
اقتربت إحدى الممرضات من د. نجيب وهمست له في أذنه أنها وجدت ورقة بجوار سليم فأخذتها وخبأتها قبل أن تأتي الشرطة، فأخذها منها على الفور، فهي آخر ما تبقَ من سليم ..
"خسرت حلمي للمرة الثانية، أو الثالثة، أو ربما التاسعة، لا أعلم بالضبط لكن ما أعلمه أنها المرة الأخيرة، ما أبشع أن يضع الإنسان جميع خططه المستقبلية في شخص لا يملك سطوةً على قلبه،

ستتزوج طيف، ستتزوج من أعطتني أملاً في الحياة، ستتزوج بمن وجدته مناسبًا، لم تكن مناسبًا يا سليم لأي شخص، لابد من الانتقام منكَ، لابد من الانتقام من أطراف أصابعك التي كانت تكتب لها أشعارًا، لابد من الانتقام من أظافر قدمك التي كنت تأقلمها من أجلها، لابد من بتر لسانك الذي قال لها كلامًا معسولاً، لابد من الموت بأبشع طريقة"
لم يصدق نجيب ما قرأ، فهل كانت طيف هي السبب في انتحار سليم؟ هل كان يحبها بينما كانت تقدم قلبها لجاسم؟ قرر أن يخفي هذه الورقة عنها وعن رجال الشرطة ..
لقد كان جاسم على حق، لم يتعافى سليم من أجل ذاته، لقد أوهم نفسه بشيء لم يلمس أساساته على أرض الواقع، هذا الخطأ الذي نقع فيه دومًا، نخطىء ثم ننتظر نتيجة مرضية لهذا الخطأ وهذا لن يحدث ..
لو وثق سليم في جاسم وسمع كلامه لم تكن تلك نهايته ..
ساعدت علاقات نجيب في أن يُخفى الأمر تمامًا عن أعين الصحافة، وسُجلت كحالة انتحار لمريض يعاني من الاكتئاب وفُقدت السيطرة عليه، ولولا تدخل دكتور نجيب الألفي لصارت الأمور أسوأ بكثير ..
كانت طيف لا تهتم بكل هذه الأمور، فهي تريد أن يفيق جاسم من غيبوبته ويعود لعافيته، وأخبرت نجيب أنها على أتم استعداد لتفعل أي شيء حتى يحدث ذلك، مهما كلفها الأمر ..
اتفقت طيف مع نجيب على خطة صغيرة لكي تساعد جاسم في أن يستعيد قواه مرة أخرى، فكان نجيب يمتلك بيتًا بالقرب من المشفى ولكنه لا يستخدمه فقرر أن يجعله في أقرب شكل للمشفى وأن تقوم طيف بجلب أشخاص كأنهم مرضى وتلقنهم بما سيقولون حتى يستيقظ جاسم فيجد حياته الطبيعة وما إن نقترب من التعافي نوضح له الحقيقة شيئًا فشيء ..
بالفعل تمت الاستعدادات وتحول المنزل إلى مشفى خاص وقامت طيف بتجهيز كل شيء كأنه أقرب للواقع ..
لم يفْق جاسم من نوبته هذه إلا بعد أسبوعًا كاملاً، قضاه نجيب في حل المشكلة حتى لا تُمس سمعة المشفى، تارةً يهدأ من صراخ والدة سليم، تارةً ينهي الإجراءات القانونية، حتى تم الأمر بسلام، فقد تقبلت عائلة سليم ما كتبه اللّه عليهم، واقتنعت الشرطة بآراء نجيب كطبيب مهني، ويعود الفضل الأكبر لعلاقاته الواسعة ..
عندما أستيقظ جاسم لم يلاحظ شيئًا غريبًا بل كان كل شيء على ما يرام ! استقبله مدير المشفى د.نجيب الألفي واطمأن بنفسه على حالته وأخبره أنه أرهق نفسه كثيرًا الفترة الأخيرة وأن عليه الاستمتاع بإجازته ..
وجد جاسم تغييرًا في ألوان المشفى التي أعتاد عليها لكنه لم يعلق، أخذ إجازة لمدة أسبوع واحد فقط لم يهاتف فيه طيف! وهي أيضًا لم تحاول فقد كانت منهمكة في تجهيز خطتها، ثم عاد إلى المشفى ليتعامل معها بنفس المعاملة الأولى التي يطغى عليها العناد والتكبر والتعجرف!
قررت طيف أن تجلب خمسة مرضى ولقنتهم بما عليهم قوله أمام جاسم بالضبط فكانت تتعامل معه بطريقته، هي تعلم جيدًا كيف يعالج مرضاه فكانت مريضة الغرفة الأولى المزعومة تعاني من التجارب الفاشلة، ومريضة الغرفة الثانية تعاني من التعجرف والأسلوب الحاد، أما مريض الغرفة الثالثة فهو ضحية الوسواس القهري، مريضة الغرفة الرابعة ترفض كونها فعلاً بل هي رد فعل فقط لأفعال الجميع، مريضة الغرفة الخامسة كانت تتعرض للرفض في فترات عديدة من حياتها مما أثر

على شخصيتها بالسلب.
كانت طيف تختار صفاتٍ لا يكاد جاسم يخلو من خصال منها، وكانت تقصد أن تعرف طريقته في حل هذه النقاط حتى تتبعها معه فيما بعد إن زاد الأمر عن حده، لقد كانت تُدخل مواقف حقيقة حتى يقترب من الحقيقة أكثر ..
كان جاسم يتحسن بشكل واضح وكانت ثقة طيف كطبيبة تزداد بشكل ملحوظ، فظلت تتأمل جاسم وشخصيته وتحركاته حتى تذكرت عراكًا قد دار بينهما انتهى بجملةٌ لن تنساها قط ألا وهي :-
= طيف :- أسئمت الطواف ؟
- جاسم :- أقسم لكَ لم ولن يحدث ولو سقط عجازي مُعلنًا نهاية المطاف ..
جاء اليوم الأخير ليقابل جاسم مريضة الغرفة السادسة وقد كانت طيف بذاتها بعد أن جرت عدة تغييرات في شكلها وملامحها، قررت أن تخبره بما حدث لجاسم بطريقة غير مباشرة، تأثر جاسم في البداية وكاد أن ينهار لكنها عالجت الأمر بشكل سريع، ولكن كانت المفاجأة ..
بعدما أنهت طيف تلك المسرحية ضحك جاسم بشدة، فاندهشت لردة فعله! فما إن أخبرها أنه يعلم كل شيء من البداية، ويعلم بأمر خطتها الساذجة..
- جاسم :- ألم تدرسين طب نفسي من قبل؟
= طيف :- عفوًا!
- أي مرض ذاك الذي كنتِ تظنين أنه أصابني ؟
= لا أعلم، لكنك كنت لست على ما يرام
- بالطبع، لكنك لم تخبريني، أي مرض كنتِ تظنين لكي تقومي بإعادة ما حدث بطريقة ساذجة، بل وتتعمدين ذكر مواقف خاصة لا يعلمها سوانا؟
= لِمَا تفعل ذلك يا جاسم؟
-ألم تضعي شرطًا حتى نعود؟
= نعم ولكنها مجرد صورة!
- لم تكن كذلك، فإن كانت مجرد صورة لِمَا قررتِ العودة بعدها؟
لم ترد طيف إثر دهشتها من جاسم وأفعاله الغريبة ! فأكمل هو قائلاً :-
- كان عليَّ أن أكتشف ماذا ستفعلين عندما يقع زوجك في مشكلة، هل تظنين أنك ستتزوجين من لاعب كرة سلة؟ يخشى حالات الانتحار! أنا فقط صُدمت لأنني بذلت مجهودًا في علاج سليم ورأيت بعيني أنه تعافى بالفعل، كما أن منظر الدماء وأشلاؤه لم يكن بالسهل عليَ خاصة أنه لي مكانه خاصة، -رحمه اللّه وغفر له وأدخله فسيح جناته-.
التزمت طيف الصمت لأنها إن تكلمت لن تتفوه بل ستصفع جاسم على وجهه، لقد فعلت ذلك كله من أجله، هل كانت حمقاء لهذا الحد ! أم أنها حقًا لا تقوى على الانتصار عليه ، هل عليها الاعتراف بهزيمتها أمامه؟ أم أن حبها وقلقها عليه هو من قاد الموقف دون أن تستخدم عقلها؟
= تودّ أن تضيف انتصارًا آخر في معاركك، أليس كذلك ؟
- نعم، لقد حصلت على انتصار بالفعل، أنتِ، أنتِ يا طيف.
كادت طيف أن تصرخ فأي درجة من المرض النفسي وصل لها هذا الشخص حتى يصير وكأنه شيزوفيرينا متحركة على الأرض ! كيف يغير أسلوبه بهذه السرعة ! هل هي الحمقاء أم هو المجنون !

شعرت طيف بالخزي حيال ما وصلت له، فجاسم محق أي مرض ظنت أنه أصيب به حتى تعيد عليه الأحداث مرة أخرى، هل كانت تنتظر الفرصة التي ستثبت فيها لجاسم أنه يعاني من المرض النفسي؟ هل أغفلها حبها عما درسته طوال السنين الماضية؟ هكذا يصبح الأمر عندما يقترب من الأشخاص التي نحبها، فعندما وجدت حبيبها في مأزق لم تستخدم عقلها بل هرعت وراء أهوائها، على الرغم من أنه كان من الممكن أن يكون قد أصيب بصدمةً بالفعل وكان تصرفها سيكلفهما الكثير، كما يفعل الأهل معنا تمامًا أو الأشخاص المقربين يعطون نفسهم حب التصرف ظنًا منهم أنه الأصلح لنا دون النظر لاحتياجاتنا الفعلية، دون الاهتمام هل تصرفهم ذاك سيؤثر بالإيجاب أم السلب، يريدون إثبات نظريات خُلقت في عقلهم هم فقط دون النظري لعقلية من يجاورهم، هؤلاء من يؤذوننا بحجة حبهم.
لم تأخذ طيف وقتًا طويلاً حتى تفكر، فقد أنهكتنا الدروب وسئمت العيش وحيدة وبغضت افتعال العراك مع من يعشقه قلبها، فكلانا يخطىء لكنها الحياة ..
على أية حال فهي تعي جيدًا أن جميعنا مرضى نفسيين بدرجات متفاوتة، فستكمل حياتها مع هذا المريض النفسي لأنها لم تعرف للأمان طريقًا إلا معه ..

تمت بحمداللَّه

جيهان سيد

من إحدى غرف المصحات النفسية

هل لديك الرغبة في الدخول
لعالم الأمراض النفسية؛ فهيا
بنا لندخل الغرفة الأولى لنرى ما
بداخلها ومن بعدها أنصت جيداً
لما يحدث في الغرف المجاورة ..